حركات التشكيك

في

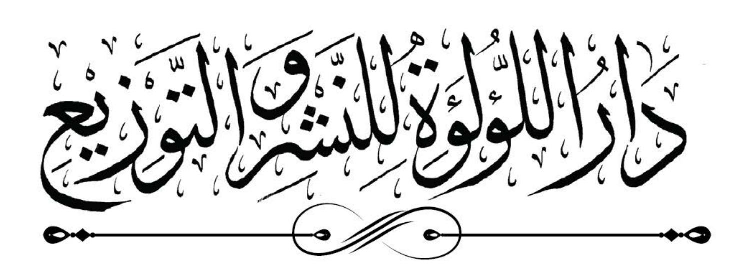
السنة النبوية

الشبهات والمآلات



الطبعة الأولي

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

حركات التشكيك
في
السنة النبوية
الشبهات والمآلات

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور

إسماعيل محمد علي عبد الرحمن

رئيس قسم أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر فرع بورسعيد

ورئيس فرع المنظمة العالمية لخريجي الأزهر بدمياط

إعداد

محسن محمد حسن عيسى

عضو لجنة الفتوى الفرعية بالأزهر الشريف بشربين – دقهلية

ماجستير أصول فقه - جامعة الأزهر




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د/ إسماعيل عبد الرحمن

رئيس قسم أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر فرع بورسعيد

ورئيس فرع المنظمة العالمية لخريجي الأزهر بدمياط

إذا كان الله عز وجل قد تكفل بحفظ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩] فالسنة المطهرة من الذكر الذي تكفل الله تعالى بحفظه وفي ذلك يقول ابن حزم الظاهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإحكام في أصول الأحكام :فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه وألا يحرف منه شيء أبدا.أ.هـ

ولقد تكفل الله تعالى بحفظ السنة المطهرة من جهتين:

الجهة الأولى: إلزام المسلمين بالعمل والتمسك بها فقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] وفي حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة (أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد والبيهقي) فالعمل بسنة النبي ﷺ حق وواجب على كل مسلم ومسلمة.

وقد تمسك الصحابة رضي الله عنهم بها منذ عهد النبوة وتبعهم المسلمون – ولا يزالون- حتى قيام الساعة لأن التمسك والعمل بها لازم من لوازم الإيمان وأحد طريقي الهداية والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**» (أخرجه البيهقي والحاكم والدراقطني)

والجهة الثانية: تعليمها وتعلمها وتدوينها والدفاع عنها منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم حتى قيام الساعة، وهذا حق وواجب على أهل العلم خاصة فقد قاموا – وما زالوا- بتدوينها وحفظها وتعلمها وتعليمها والذب عنها ودفع شبهات المشككين والمنكرين لها.

وفي ذلك يقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في المنقذ من الضلال: فأنشأ الله تعالى، طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة، على خلاف السنة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله، فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه، فأحسنوا الذب عن السنة، والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة، والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة أ.هـ

وما هذا الكتاب (حركات التشكيك في السنة النبوية –الشبهات والمالآت) إلا تأكيدا لتفعيل حق السنة النبوية على المسلمين والحفاظ عليها والدفاع عنها خاصة أهل العلم ومنهم مؤلفه فضيلة الشيخ محسن محمد حسن عيسى الذي سعدت بالإشراف عليه في مرحلة الماجستير وقد عهدته باحثا متحليا بصفات أهل العلم وطلابه من أدب جم وخلق حسن والتحقيق الجيد والأمانة العلمية

حتى أثمر بحثا طيبا ينتفع به وكذا طلاب العلم في طبعته الطيبة التي طبعتها دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع.(العموم والخصوص دراسة أصولية تطبيقية على كتاب عمدة الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام محمد ﷺ للحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله ت ٦٠٠هـ).

وبعد قراءتي وتفحصي هذا الكتاب وهو (حركات التشكيك في السنة النبوية –الشبهات والمالآت) رأيت للباحث فيه –كما العهد به- بصمات واضحة وإسهامات سديدة في عرض مادته العلمية وفي منهجه ودراسته وتحليله ومشاركته في دفع شبه المشككين في السنة المطهرة بالأدلة والحجج الدامغة مع معاصرته لمستجدات حركات التشكيك في السنة المطهرة.

ومن مواطن الجمال في هذا الكتاب –على سبيل المثال- مبحث :حجية السنة ضرورية دينية ومبحث: السنة كلها تشريع ومبحث التأصيل التاريخي لمنكري السنة المطهرة ومبحث المشككون للسنة في عصرنا، وفيه عرض للفرق المشككة للسنة المطهرة في العصر الحديث فرقة فرقة – خاصة في بلاد العرب - عارضا لآرائهم وفكرهم ثم مآلات هذا التشكيك وجهود العلماء في دفع هذه الشكوك وردها مع مشاركته في دفعها وردها.

كما كان للمستشرقين وموقفهم من السنة المطهرة سهم مؤثر وفعال في هذا الكتاب الذي حوى كثيرا من شبهاتهم وافتراءاتهم حول السنة المطهرة وكان الكاتب – الشيخ محسن عيسى – موفقا في الإجابة عن كل شبهة ودفعها، ثم بين موقف العلم الحديث من إعجاز السنة النبوية وكيف أنه يؤكد صدق السنة المطهرة وحفظها وفضلها ومنها –على سبيل المثال –مبحث: الذباب مصدر الداء والدوا.

أما الشبهات التي دفع بها المنكرون للسنة المطهرة فقد أورد منها ثلاث عشرة شبهة فندها وأجاب عنها واحدة واحدة إجابة سديدة موفقة.

ومما تقدم يتضح أرى أن الكاتب جزاه الله تعالى خيرا الجزاء بهذا الكتاب قد وضع لبنة طيبة مباركة في محبة النبي ﷺ وسنته المطهرة والدفاع عنها وإني على يقين بأن سيدنا محمد ﷺ سيشمل المحبين له ﷺ والمدافعين عن سنته بشفاعته ﷺ.

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من هؤلاء القوم إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم

دمياط يوم الجمعة (يوم عرفة) ٩/ ١٢/ ١٤٤٣هـ

الموافق ٩/ ٧/ ٢٠٢٢م



مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، **أما بعد:**

فإن الله تعالى هدانا لدينه القويم ومنّ علينا بكتابه المبين، وخصه بمعجز دل على تنزيله، ومنع من تبديله، وبين به صدق رسوله ﷺ، وجعل ما استودعه على نوعين: ظاهراً جلياً وغامضاً خفياً يشترك الناس في علم جليه، ويختص العلماء بتأويل خفيه حتى يعم الإعجاز، ثم يحصل التفاضل والامتياز.

ولما كان الظاهر الجلي مفهوما بالتلاوة، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد[1]، فاصطفى الله من المؤمنين من يشاء، فعلمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[2]، رفعهم بالعلم، فالعلم نور وهدى، لا سيما علمُ يختص في المنافحة عن سنة نبيه ﷺ برد شبهات المبطلين وتأويل الجاهلين

وقد قضى الله تعالى بجعل هذه الرسالة المحمدية هي الخاتمة، وقضى بحفظ كتابه

---

(١) تفسير الماوردي (١/ ٢١).

(٢) سورة المجادلة، من الآية: ١١.

ولما لهذا الموضوع من أهمية، رغبت في أن يكون موضوعا لمسابقة الأزهر العالمية للبحوث: **حركات التشكيك في السنة النبوية: الشبهات والمآلات**

١ –مشكلة البحث:

أولها: أن من صنف من المعاصرين في هذا الموضوع – مع كثرتهم – خلط بين من أنكر السنة كليا وبين من أنكرها جزئيا، وكذلك خلطوا بين بحث حجية السنة من حيث ذاتها، وبين أبحاث طرقها والاعتماد عليها.

ثانيها: أن من أنكر السنة جزئيا من المعاصرين، فيهم من ينتسب للعلم، ويُشار إليهم بالبنان ونحبهم ونوقرهم ولكن حبنا لله تعالى ولرسوله ﷺ ينبغي أن يكون أشدّ، فبيان تلك الهفوات المهلكة من الميثاق الذي أخذه الله تعالى على أهل العلم، ولا يمنعن رجلا مهابة قوم أن يقول بحق إذا علمه.

ثالثها: أن دوافع ومآرب منكري السنة كليا أو جزئيا مختلفة فينبغي التفريق في كيفية الجواب عن شبهة كل فريق.

رابعها: أنه لما كانت الدوافع مختلفة وكانت الشبهات لا تنحصر فينبغي حصر أصول شبهات كل فريق، وتتبع الأصول التاريخية لتلك الشبهات ومآلاتها من طعن في الدين، وأثر ذلك في تفريخ الفرق والأحزاب[1].

---

(١) وأصل البحث كان مقدما لمسابقة الأزهر العالمية للبحوث، تحت رعاية هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ولكن للأسف تم إلغاء المسابقة، وكان من شروط المسابقة ألا يقل البحث عن (٢٠٠) صفحة، ولا يزيد عن (٣٠٠) صفحة، فلزم إيراد أصول تلك الشبهات وأن تكون جامعة مانعة، ولا يتجاوز حجم البحث المسموح به في المسابقة.

٢-أهمية البحث:

وتتجلى أهمية البحث فيما يلي:

أ – أن السنة المصدر الثاني للتشريع فالطعن في حجيتها طعن في هذا الدين فمنها تستنبط الأحكام الشرعية.

ب ـ أن الظروف التي نعيشها اليوم تجعل لهذا الموضوع أهمية خاصة، فهناك عولمة، يصحبها محاولات للنيل من قدسية النبوة[١]، تعنِّفُ تارة وتلين أخرى، تأخذ شكل أمواج البحر، تعلو وتهبط، لكنها تتدافع في اتجاه واحد، وكلما اشتد ضعف المسلمين اشتدت الحملة، وتوالى الهجوم، تماماً كميكروب الأمراض، كلما ضعفت المناعة والحصانة كلما اشتدَّ الهجوم والافتراس.

ج – أنَّ السُنّة كانت هدفاً لأعداء الإسلام منذ زمن بعيد، لكنها قاومت وتقاوم، وحطمت وتحطم محاولات المُبشِّرين والمستشرقين، بما رسخ في قلوب المؤمنين من إيمان وتقديس وحب اقتداء.

لكن مشكلة العصر ظهور فرق مختلفة واتجاهات جديدة ذهبت إلى إنكار السنة ووجوب العمل بحجيتها، متخذة في ذلك أساليب القدامى نفسها ولكن بروح جديدة وأساليب مبتكرة وكان أبرز تلك الفرق فرقة تُسمى بـ"القرآنيين"، التي ترى القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لدين الإسلام وشريعته فتطرح السنة النبوية جملة وتفصيلا ثم تلتها فرقة أخرى عرفت بـ"العقلانيين" تزن

---

(١) وكان آخر ذلك ما حدث في شهر أكتوبر ٢٠٢٠، ما ورد في تصريحات رئيس وزراء فرنسا من إساءة للنبي ﷺ.

السنة بعقولهم القاصرة وتلتها فرقة تحمل اسم "العصرانيين" تدعو إلى عصرنة السنة يعني إعادة شرح السنة بما يتوافق مع العصر واستبعاد بعض الأحاديث التي لا تتوافق مع العصر بزعمهم، وجميع هذه الفرق أنكرت السنة جزئيا إلا فرقة "القرآنيين" أنكرت السنة كليا وجهرت بذلك ولها تواجد ملحوظ في الشبكة العنكبوتية.

إنَّ الذين يحاولون النيل من السُنَّة تختلف مشاربهم وأهدافهم واتِّجاهاتهم، وإنَّ كثيراً منهم يفتح له مجال واسع في الإعلام الذي يجري وراء المادة الغريبة المستحدثة والشاذة التي تجذب الجماهير، والأمل في القاعدة الإسلامية الراسخة التي لا تزعزعها العواصف، ولولا إيمانها في عقيدتها وشريعتها لكانت النتيجة خطيرة.

إنَّ علماء الأُمَّة الإسلامية منذ العصر الأول تصدَّوْا للدفاع عن السُنَّة وحمايتها من عبث العابثين بالأسلوب العملي والأسلوب العلمي.

أما العملي فحرصوا على الاقتداء، حتى بالغ بعضهم فيه، فكان يتحرَّى أنْ ينيخ ناقته في المكان الذي أناخ فيه رسول الله ﷺ ناقته.

وأما الأسلوب العلمي فاهتموا بالإسناد، واشتغلوا بنقد الحديث، وجاهدوا في دفع الدخيل، وقَعَّدُوا القواعد، ووضعوا الضوابط، حتى أصبح علم الحديث علومـًا متعدِّدة وليس علمـًا واحداً، فورثنا عنهم: علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل وعلم التخريج وعلم دراسة الأسانيد وعلم مختلف الحديث وعلم شرح الحديث تحليليـًا أو موضوعيـًا وعلم مناهج المُحدِّثين(١).

(١) يُراجع: السنة والتشريع – موسى شاهين لاشين (ص: ٣)، إنكار السنة للغوري ص ٦.

٤ - أهداف البحث:

أ – سلوك سبيل المؤمنين من العلماء الربانيين في المنافحة عن دين الله تعالى بالذب عن سنة نبيه ﷺ المصدر الثاني للتشريع.

ب ـ أن الهيمنة العالمية توجب على كل مسلم غيور الجهاد بالقلم وباللسان في خدمة دين الله تعالى بكشف غبار الغفلة والجهل الذي غشى أبصار كثير من عوام المسلمين.

ج – الكشف الدقيق عمن أنكر السنة كليا ومن أنكرها جزئيا، وبيان دوافع كل فريق ورد شبهاتهم، وحصر أصولها وتتبع أصولها التاريخية وما يتبع ذلك من توالد فرق الضلال

٥ – حدود البحث:

في حركات التشكيك في السنة النبوية: الشبهات والمآلات من خلال الدراسات السابقة قديما وحديثا.

٦ – ومن الدراسات السابقة:

أ – يوجد دراسات عن السنة النبوية في جوانب متعددة، ومن تلك الدراسات:

«القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش.

أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني

الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح بن محمد بن فالح الصغير

إمكان التاريخ وواقعية السنة، د. عبد الله بن سعيد الشهري.

الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)

تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين، أحمد بن يوسف السيد.

تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة المؤلف: محمد بن صادق بنكيران

تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري المؤلف: الزهراني

تدوين السنة ومنزلتها المؤلف: عبد المنعم السيد نجم

التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية، عبد الله بن محمد حسن دمفو

جهود الجامعة الإسلامية في خدمة السنة النبوية، إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد

جهود المملكة في نشر السنة، د. مساعد بن إبراهيم الحديثي.

حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي المؤلف: عبد القادر بن حبيب الله السندي.

حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، أبو حفص محمود طحان النعيمي.

دفع شبهات المستشرقين حول السنة، أحمد محمد بوقرين

دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية، صالح بن غانم بن عبد الله السدلان

رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن السنة النبوية، د. موسى البسيط

السنة المطهرة والتحديات، نور الدين محمد عتر الحلبي.

السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ومكانتها نور بنت حسن قاروت.

السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها، رقية بنت نصر الله نياز

السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، د. أيمن محمود مهدي

السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق – أنور الجندي.

السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، أبو لبابة بن الطاهر حسين.

السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر بن حكيم غلام رسول.

السُنَّة في مواجهة شُبُهات الاستشراق (ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسُنَّة النبوية) أنور الجندي

الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني.

شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، محمود محمد مزروعة، مجمع الملك

فهد لطباعة المصحف الشريف

شبهات حول السنة والسيرة النبوية، تَأْلِيفُ: عماد حسن أبو العينين

كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، عماد الشربيني

كتابة الحديث في عهد النبي ﷺ وصحابته وأثرها في حفظ السنة النبوية، أحمد بن معبد بن عبد الكريم بن سليمان بن حسن كُلَيْبَاتِى، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة

كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية، المؤلف: أحمد عمر هاشم

كتابة السنة في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية، رفعت بن فوزي عبد المطلب

المستشرقون والسُنَّة، المؤلف: الأستاذ الدكتور سعد المرصفي

مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)

ملخصات بحوث الندوة الدولية الرابعة السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد بدبي، المؤلف: د. جمال اسطيري

منزلة السنة في الإسلام الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)

منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، محمد زيدان – محمد يعقوبي

منزلة السنة في التشريع تأليف: إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر

موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب،

ونخبة من الباحثين

موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديما وحديثا، محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني.

فتبين من ذلك الفرق بين تلك الدراسات والموضوع الذي أريد دراسته فيما يلي:

أن الاهتمام في تلك الدراسات كان عن ما يتصل بالسنة إما من حيث حجيتها، أو كتابتها وتدوينها، أو شبهات حول السنة ممن لا يدين بالإسلام، أو ينتسب له زورا، أو ينتسب وله شبهة بإنكار السنة جزئيا.

وسيتميز هذا البحث بحول الله وقوته عن تلك الدراسات السابقة بما يلي:

أ – حصر أصول الشبهات حول السنة وإلا فإن حصر كل الشبهات تحتاج إلى مجلدات، فإن الكذب والافتراء لا ساحل له.

ب – التمييز بين من أنكر السنة كليا ومن أنكرها جزئيا أنه مع ذكر أدلة حجية السنة.

ج – تتبع الجذور التاريخية لمنكري السنة النبوية، وبيان دوافع كل فريق، ومآلات تلك الشبهات من تفريخ وتنوع فرق الضلال، بل بيان أيضا مآلات عبارات لبعض أهل العلم المعاصرين أدت إلى عواقب وخيمة مع حسن الظن بهم.

وأخيرا فما كان في هذا البحث من خير وصواب فمن الله تعالى ثم ثمرة الجهود العظيمة السابقة لعلماء الإسلام الذين نافحوا عن دين الله تعالى، فنفوا عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين

اختلفوا في الكتاب وخالفوا الكتاب.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته كما يلي:

تقسيم البحث إلى (مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس).

أما المقدمة، فتشتمل على ما يلي:

(الاستفتاح، ومشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطته).

الباب الأول: السنة وحجيتها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف السنة.

الفصل الثاني: الاحتجاج بالسنة.

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: حجية السنة ضرورية دينية.

المبحث الثاني: أدلة حجية السنة.

المبحث الثالث: مكانة السنة من حيث بيان الأحكام التشريعية.

المبحث الرابع: السنة كلها تشريع.

الباب الثاني: الجذور التاريخية لمنكري السنة وأشهر طوائفهم

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: البذور الأولى لمنكري السنة.

الفصل الثاني: المشككون للسنة في العصر الحديث.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بطائفة القرآنيين وعوامل نشأتهم ببلاد الهند.

المبحث الثاني: المنكرون للسنة إجمالا ببلاد العرب.

المبحث الثالث: المستشرقون وموقفهم من السنة المطهرة.

الباب الثالث: شبهات حول السنة.

الخاتمة والتوصيات



الباب الأول: السنة وحجيتها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف السنة.

السنة في اللغة:

أَوَّلاً - التَّعْرِيفُ بِالسُّنَّةِ:

١ - السُّنَّة فِي اللُّغَةِ:

السُّنَّة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة. قال خالد بن عتبة الهذلي:

فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سِيرةٍ أَنتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وإنما سميت بذلك لأنها تجري جريا. ومن ذلك قولهم: امض على سَنَنِكَ وَسُنَنِكَ، أي وجهك. وجاءت الريح سنائن، إذا جاءت على طريقة واحدة. ثم يحمل على هذا: سَنَنْتُ الحديدة أَسُنُّهَا سَنًّا. إذا أمررتها على السنان. والسنان هو الْمِسَنُّ[(١)].

وفي الحديث: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْر مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً**»[(٢)]، يريد من عملها ليقتدى به فيها.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ٦١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠٩)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٩٢).

(٢)أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو =

وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده، قيل هو الذي سنَّهُ.

وقد تكرَّرَ في الحديث ذكر السُنَّة وما تصرف منها. والأصل فيه الطريقة والسيرة.

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسُنَّة، أي القرآن والحديث.

ويجوز أن يكون لفظ (سُنَّة) من سننت الإبل إذا أحسنت رعيتها والقيام عليها(١).

٢ – السنة في الشرع:

يختلف معنى السُنَّةِ في اصطلاح العلماء على حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم، فهي عند الأصوليين غيرها عند المُحَدِّثين والفقهاء، ولذلك نرى مدلول معناها من خلال أبحاثهم.

السُنَّة عند المُحَدِّثِينَ: كل ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صِفة خَلقية أو خُلُقيَّة، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحَنُّثِهِ في غار حراء، أو بعدها.

والسُنَّة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي.

= سيئة "٤/ ٢٠٥٩"، كما أخرجه عنه في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة. "٢/ ٧٠٢".

(١) لسان العرب (١٣/ ٢٢٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤١٠)، المحيط في اللغة (٨/ ٢٤٨).

السُنَّة عند الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير [١].

وهذا التعريف الأصولي للسنة يستفاد منه ما يلي:

أولا: أن السنة دليل من أدلة الأحكام؛ لأنها عبارة عن قول، أو فعل، أو تقرير.

ثانيا: تنقسم السنة من حيث ماهيتها وذاتها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: السنة القولية:

وهي أقواله ﷺ التي نطق بها وقالها تبعا لمقتضيات الأحوال[٢]، ومنها ما يلي:

قوله ﷺ: « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[٣].

وقوله ﷺ: «**لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**» [٤].

---

(١) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج ط دبي (٥/ ١٧٤٩) قال السبكي: وتطلق السنة على: ما صدر عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال التي ليست للإعجاز، البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٦) وقال الزركشي: وكذلك الهمّ، ولم يذكره الأصوليون، ولكن استعمله الشافعي في الاستدلال.، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (٢/ ١٦٠) قال ابن النجار: ولو" كان أمرا منه "بكتابة" كأمره ﷺ عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالكتابة يوم الحديبية.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧)، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: "**إنما الأعمال بالنية**".

(٤) رواه البخاري (٦٥٥٤)، كتاب: الحيل، باب: في الصلاة، ومسلم (٢٢٥)، كتاب: الطهارة، باب: وجوب الطهارة للصلاة، وهذا لفظ البخاري.

وقوله ﷺ: «**وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»(١).

الثاني: السنة الفعلية:

وهي ما صدر عن النبي ﷺ من أفعال ليست جبلية كأداء الصلاة بهيئاتها المعروفة وكيفية الوضوء وقطع يد السارق من الرسغ وقضائه ﷺ بشاهد ويمين(٢).

قال ابن عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا جَدَّ بِهِ السَّيْرُ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ»(٣).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ «**كَانَ يُسَبِّحُ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ يُومِئُ بِرَأْسِهِ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٦١)، كتاب: الوضوء، باب: غسل الرجلين، ولا يمسح على القدمين، ومسلم (٢٤١)، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) دراسات أصولية في السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوي ص ١٤، ط . دار الفاروق، المنصورة، مصر.

(٣) رواه البخاري (١١٠٦)، كتاب: تقصير الصلاة، باب: الجمع في السفر بين المغرب والعشاء، ومسلم (٧٠٣)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز الجمع بين الصلاتين في السفر.

(٤) رواه البخاري (١١٠٥)، كتاب تقصير الصلاة، باب: من تطوع في السفر في غير دبر الصلوات وقبلها، ومسلم (٧٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت، وهذا لفظ البخاري.

 الثالث: السنة التقريرية:

السنة التقريرية: وهي أن يحدث أمر أو يقال قول في زمن النبي ﷺ في حضرته ومشاهدته أو في غيبته ثم ينقل إليه فيقره النبي ﷺ إما بالسكوت وعدم الإنكار أو بالموافقة والاستحسان، ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري، قال: خرجَ رجلانِ في سفَرٍ، فحَضَرَتِ الصَّلاةُ وليسَ معهما ماءٌ، فتيَمَّما صَعيداً طيبـاً، فصَلَّيا، ثمَّ وَجَدا الماءَ في الوقتِ، فأعادَ أحدهما الصَّلاةَ والوضوءَ، ولم يُعِدِ الآخَرُ، ثمَّ أتيا رسولَ الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يُعِدْ: **"أصَبتَ السُّنَّةَ وأجزَتْكَ صَلاتُكَ"** وقال للذي توضَّأ وأعادَ: "لكَ الأجرُ مَرَّتين"(١).

حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"(٢).

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (١/ ٢٥٤)، كتاب الطهارة، باب المتيمم يجد الماء بعد ما يصلى في الوقت قال الأرنؤوط: "رجاله ثقات، وقد اختلف على الليث بن سعد في إسناده وفي وصله وإرساله".

(٢) رواه البخاري (٢/ ١٤) (٩٤٦)، أبواب صلاة الخوف باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب المبادرة بالغزو. . رقم ١٧٧٠.

الفصل الثاني: الاحتجاج بالسنة.

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: حجية السنة ضرورية دينية

والعلم الضروري ما لم يقع عن نظر واستدلال كالعلم الواقع بإحدى الحواس الخمس التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس أو التواتر(١).

فحجية السنة ضرورية دينية وتاريخية فكما لا يُختلف في كون الصِّدِّيق والفاروق رضي الله عنهما دفنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكما تواتر دينا وتاريخا أن الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، وأن مكة بجزيرة العرب، فكذلك حجية السنة لا يحتاج إلى نظر واستدلال.

قال الإمام أبو بكر الآجُرِّيُّ: لم يختلف جميع من شمله الإسلام، وأذاقه الله الكريم طعم الإيمان أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دفنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها وليس هذا مما يحتاج فيه إلى الأخبار والأسانيد المروية: فلان عن فلان، بل هذا من الأمر العام المشهور الذي لا ينكره عالم ولا جاهل بالعلم، بل يستغني بشهرة دفنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم عن نقل الأخبار: والدليل على صحة هذا القول: أنه ما أحد من أهل العلم قديما ولا حديثا ممن رسم لنفسه كتابا نسبه إليه من فقهاء المسلمين، فرسم كتاب المناسك، إلا وهو يأمر كل من قدم المدينة

---

(١) الورقات (ص: ٩).

ممن يريد حجا أو عمرة أو لا يريد حجا ولا عمرة، وأراد زيارة قبر النبي ﷺ والمقام بالمدينة لفضلها إلا وكل العلماء قد أمروه ورسموه في كتبهم وعلموه كيف يسلم على النبي ﷺ وكيف يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما علماء الحجاز قديما وحديثا، وعلماء أهل العراق قديما وحديثا، وعلماء أهل الشام قديما وحديثا، وعلماء أهل مصر قديما وحديثا، وعلماء خراسان قديما وحديثا، وعلماء أهل اليمن قديما وحديثا، فلله الحمد على ذلك. فصار دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع رسول الله ﷺ من الأمر المشهور الذي لا خلاف فيه بين علماء المسلمين، وكذلك هو مشهور عند جميع عوام المسلمين ممن ليس من أهل العلم، أخذوه نقلا وتصديقا ومعرفة، لا يتناكرونه بينهم في كل بلد من بلدان المسلمين(١).

فحجية السنة أوْلى أن يقال: أنه مما لا يُحتاج فيه إلى الأخبار والأسانيد المروية: فلان عن فلان، فواقع التشريع، وعمل المسلمين جميعًا: برهانٌ واضحٌ يدل دلالة ضرورية على أن السنَّة جاءت بيانًا للقرآن، بيَّنت في مكة ما يحتاجون إليه، بقدر ما نزل من أحكام أصول التشريع، وبيَّنت في المدينة ما طرأت الحاجة إليه من بيوع، ومعاملات، وجنايات، وحدود(٢).

كيف يمكن القول بأنها ليست ضرورية دينية، مع العلم بأن كثيرًا من المسائل التي أجمع الفقهاء عليها، وعلى أنها معلومة من الدين بالضرورة، وأن إنكارها يُوجب الرّدّة، كعدد ركعات الفرائض متوقفة عليها، وكيف يَتوقف

---

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣٦٨).

(٢) شبهات حول السنة (ص: ١٩).

الضروري على ما ليس ضروريًّا، وزعم إمكان فهم هذه المسائل من الكتاب وحده باطلٌ بالضرورة، ومحاولة هذا الفهم محاولةٌ لتحقيق المُحال، ولقد كان الأئمة السابقون أقدر منا على ذلك، واعترفوا بالعجز عنه -يعني: محاولة إثبات الأدلة على الأحكام الشرعية من القرآن فقط، وإذا كانت هذه المسائل الضرورية -الصلاة مثلًا، وكون الظهر أربعًا، وكون العصر أربعًا أيضًا- كل ذلك يتوقف على السنة، وهي مسائل ضرورية -يعني: معلومة من الدين بالضرورة وإنكارها كفر- وإذا كانت هذه المسائل الضرورية متوقفة على حجية السنة، فكيف يتأتى من مؤمن أن يُنازع فيها، مع أن النزاع فيها يستلزم النزاع في هذه المسائل -يعني: النزاع في حجية السنة يستلزم النزاع في كون الظهر أربعًا، في كون أن الزكاة ربع العشر، في كون المواشي عليها زكاة ... إلى آخره، وهذا يستلزم الارتداد؛ فإن قيل: إن هذه الأحكام دليلها الإجماع فهي ليست متوقفة على حجية السنة! قلت: هذا عبثٌ من القول، فإن الإجماع لا بد له من مستند، وليس هذا المستند في هذه المسائل الكتاب -القرآن فقط- إذ لا يمكن فهمها منه، وليس القياس، ولو ذهبنا إلى أنه قد يكون مستندًا للإجماع فيما يكون له أصلٌ معقول المعنى؛ لأن كثيرًا من هذه المسائل -أي: مسائل العبادة- لا مجال للعقول فيها، وليس لها أصلٌ تُقاس عليه؛ فتعيّن أن يكون هذا المستند السنة، بل قد أجمعوا على أن المستند في هذه المسائل هو السنة لا غير، وهذا يستلزم إجماعهم على حجيتها وضروريتها"(١).

(١) حجية السنة للشيخ عبد الغني عبد الخالق (ص ٢٥٠،٢٥١)،إمكان التاريخ وواقعية السنة من تشييد الإطار إلى إبطال الإنكار، د. عبد الله بن سعيد الشهري(ص:٢٠).

المبحث الثاني: أدلة حجية السنة

إن السنة المطهرة حجة شرعية تعبدنا الله تعالى باعتقاد مضمونها والعمل بمقتضاها، وهي شقيقة القرآن ومثيلته في الحجية والاعتبار، وهما جميعا من عند الله تعالى.

وقد دل على حجية السنة أدلة كثيرة أهمها: القرآن، والسنة، والإجماع، والعصمة، وتعذر العمل بالقرآن وحده:

الدليل الأول: القرآن الكريم:

ومن الآيات الدالة على وجوب الاحتجاج بالسنة من كتاب الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾[3]، وقوله

---

(١) سورة ءال عمران: آية ٣١، ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية: ٦٥.

(٣) سورة النساء: الآية: ٨٠.

تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ ﴾(١)، وقوله **تعالى**:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)، وقوله **تعالى**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (٣)، وقوله **تعالى**: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾(٤).

فهذه الآيات القرآنية وغيرها تدل دلالة واضحة على وجوب اتباع النبي ﷺ في كل شئ وفي كل وقت في حياته وبعد مماته؛ لأنها آيات عامة لم تخصص بزمن دون زمن.

الدليل الثاني: السنة النبوية:

ورد في السنة الشريفة ما يدل على حجيتها ووجوب التمسك بها ومن ذلك ما يلي:

١ - عن المقدام بن مَعْدي كَرِبَ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **"ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حَرَام فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لَكُم لحمُ الحِمَارِ الأهليِّ، ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُع، ولا لُقَطةُ مُعاهَدٍ إلا أنْ يستغنيَ عنها صاحِبُها، ومن نزلَ بقومٍ، فعليهم أن يَقْرُوه، فإنْ لم يَقرُوه فله**

(١) سورة النور: من الآية: ٦٣.
(٢) سورة الأحزاب: من الآية: ٣٦.
(٣) سورة الحجرات: من الآية: ١.
(٤) سورة النجم: آية: ٣،٤.

أن يُعقِبَهم بمثل قِرَاه"(١).

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٢).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**»(٣).

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(٤).

٥ – عن جابر بن عبد الله، يقول: " جَاءَتْ مَلائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧/ ١٣) حديث رقم (٤٦٠٤)، مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٤١١)، (١٧١٧٤) صححه الأرنؤوط .

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم (١٨٣٥)، أحمد في المسند (١٠٦٣٧).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١٧٢)(٣١٩)، وصححه الألباني، حديث رقم: ٢٩٣٧ في صحيح الجامع.

بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ"(١).

٦ - الأحاديث التي فيها الأمر بسماع السنة وحفظها وتبليغها ونشرها بين الناس، مما يدل على حجيتها، ومن تلك الأحاديث:

- قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»(٢)، قال البيهقي: "لولا ثبوت الحجة بالسنة، لما قال ﷺ في خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم: ألا فليبلغ؛ الخ"(٣).

- قال رسول الله ﷺ: " **نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**"(٤).

- **قال الإمام الشافعي**: "فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه، إلا ما تقوم به الحجة على من أُدِّي إليه، لأنه إنما يؤدّى عنه حلال يُؤتى، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨١).

(٢) رواه البخاري (١٧٣٩)، (٧٠٧٨).

(٣) نقلا عن السوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص: ٨)، والسيوطي ينقل عن البيهقي من المدخل الكبير، والمدخل الصغير وكلاهما للبيهقي، ولم أعثر على ذلك النقل في المدخل الكبير وهو مطبوع بتحقيق محمد عوامة، وأظن هذا النقل في المدخل الصغير ولم أعثر عليه مطبوعا.

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٢١/ ٦٠)رقم (١٣٣٥٠)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا"(١).

فهذه الأحاديث دالة على أن حجية السنة، وأنه لا يمكن معرفة الشرع من القرآن وحده، بل لا بد معه من العمل بالسنة.

الدليل الثالث: الإجماع:

إن حجية السنة أحد أصول الإسلام العظمى ودعائمه الكبرى، وهي من أسس العقيدة وليست من الفروع، وهذا من البدهيات الأولى في دين الإسلام، ومن المسلمات الأساسية التي تظاهرت بها الأدلة، وأجمع المسلمون سلفا وخلفا، منذ عهد الصحابة الكرام، والتابعين وأتباعهم على أن السنة الثابتة عن النبي ﷺ حجة شرعية موجبة لاعتقاد مضمونها والعمل بمقتضاها، ولم ينازع في ذلك أحد من أهل الإسلام، وقد تواتر عن الأئمة الأربعة وغيرهم نحو هذه العبارة:

"إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط" (٢).

فهذا الأصل أعظم من أن يناقش وأبين من أن يختلف عليه، وقد نقل الإجماع عليه كثير من العلماء منهم: الشافعي وابن عبد البر وابن حزم وابن تيمية وابن القيم.

قال الإمام الشافعي: "لم أسمع أحدا نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم

---

(١) الرسالة للشافعي (١/ ٤٠٣).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ٢٤٨)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٣٩)، مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٣٧)، النجم الوهاج في شرح المنهاج (٢/ ٥٦٠)، المجموع شرح المهذب (١/ ٩٢).

يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، بأن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بحال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد" [١].

وقال أيضا: السنة إذا وُجدت وجب عليه ترك عمل نفسه، ووجب على الناس ترك كل عمل وُجدت السنة بخلافه، وإبطالُ أن السنة لا تثبت إلا بخبرٍ بعدها، وعُلم أنه لا يُوهِنُها شيء إن خالفها.

وكان عمر بن الخطاب يقول: الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا. حتى أخبره الضّحّاك بن سفيان أن رسول الله كتب إليه: أن يُوَرِّث امرأة أَشْيَمَ الضِّبَابيِّ من ديته، فرجع إليه عمر.

وقال عمر: أُذَكِّرُ اللهَ امرأً سمع من النبي في الجنين شيئًا، فقام حَمَلُ بن مالك بن النابغة، فقال: كنت بين جارتين لي - يعني ضرتين - فضربت إحداهما الأخرى بِمِسْطَح[٢] فألقت جنينًا ميتًا، فقضى فيه رسول الله بِغُرَّةٍ [٣]، فقال عمر: لو لم أسمع فيه لقضينا بغيره[٤].

فقد رجع عمر عما كان يقضي به لحديث الضّحّاك إلى أن خالف حكم

---

(١) الأم للشافعي (٧/ ٢٨٧).

(٢) المِسْطَحُ، بِالْكَسْرِ: عمود الخيمة، وعود من عيدان الخباء. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٣٠).

(٣) الغرة: العبد نفسه أو الأمة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥٣).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ٤٠٥)، (**٣٤٣٩**) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أبو داود (٤٥٧٢).

نفسه، وأخبر في الجنين أنه لو لم يسمع هذا لَقَضَى فيه بغيره، وقال: إن كِدنا أن نقضي في مثل هذا برأينا.

قال "الإمام الشافعي": يخبر - والله أعلم - أن السنة إذا كانت موجودة بأن في النفس مائةً من الإبل، فلا يعدو الجنين أن يكون حياً فيكونَ فيه مائةٌ من الإبل، أو ميتاً فلا شيء فيه.

فلما أُخبر بقضاء رسول الله فيه سَلَّمَ له، ولم يجعل لنفسه إلا اتِّبَاعه، فيما مضى بخلافه، وفيما كان رأياً منه لم يبلغه عن رسول الله فيه شيء، فلما بَلَغَه خلاف فعله صار إلى حكم رسول الله، وترك حكم نفسه، وكذلك كان في كل أمره.

وكذلك يلزمُ الناسَ أن يكونوا.

أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم: أن عمر بن الخطاب إنما رجع بالناس عن خبر عبد الرحمن بن عوف.

قال "الشافعي": يعني حين خرج إلى الشام، فبلغه وقوع الطاعون بها.

وعن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن عمر ذكر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: أشهد لَسَمِعت رسول الله يقول: سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب[1].

---

(١) رواه مالك مرسلا، موطأ مالك ت الأعظمي (٢/ ٣٩٥)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٦١) قال ابن حجر: هذا منقطع مع ثقة رجاله وله شاهد أخرجه الطبراني في آخر حديث بلفظ سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب.

ليس لأحد مع رسول الله أمرٌ، وأن طاعة الله في اتباع أمر رسول الله(١).

وقال ابن حزم: "ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن، لكان كافرا بإجماع الأمة" (٢).

وقال ابن تيمية: "وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل؛ فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ"(٣).

- **وقال الشوكاني**: "إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بالتشريع ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام" (٤).

وفي هذا المبحث الاستدلال بالقرآن الكريم على حجية السنة أظهر من الاستدلال بالسنة على حجيتها؛ لأن الخصم يشكك في السنة من أساسها، والله أعلم.

❑❑❑❑

---

(١) الرسالة للشافعي (١/ ٤٢٤).
(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢/ ٨٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٣٢).
(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٩٧).

المبحث الثالث
مكانة السنة من حيث بيان الأحكام التشريعية

أوجه بيان السنة للقرآن الكريم:

ترد السنة مع القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: السنة مؤكدة ومقررة لما جاء في القرآن الكريم من حيث الإجمال والتفصيل، وذلك مثل الأحاديث التي تدل على وجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، قال رسول الله ﷺ: عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١)، فهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿ **فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٥) كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس. (١٦).

(٢) سورة الحج، من الآية:٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٤) سورة ءال عمران، من الآية:٩٧.

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**»(١)، فهذا القول الكريم موافق لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾(٢).

الوجه الثاني:

تأتي السنة مبينة لمجمل القرآن الكريم من تخصيص عام، أو تقييد مطلق، أو تفصيل مجمل، ونحو ذلك، **ومن أمثلة ذلك:**

أولا: تخصيص العام:

قال تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ : «**لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا**»(٤). فالآية الكريمة بعمومها تفيد حل النكاح من غير المحرمات المذكورة في الآيات السابقة، ظاهرها أنها تشمل بهذ العموم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، ولكن الحديث الشريف نهى عن ذلك، وعليه فيكون الحديث مخصصا لعموم الآية.

قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾(٥)، "أولادكم"، جمع مضاف يفيد العموم، فكل الأولاد يرثون من آبائهم سواء القاتل أو الكافر، ولكن خص الصحابة رضي الله عنهم ذلك بقوله ﷺ: **"لا يرثُ المُسلِمُ الكافِرَ، ولا الكافِرُ**

---

(١)مسند أحمد ط الرسالة (٣٤/ ٢٩٩) رقم (٢٠٦٩٥). قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.
(٢) سورة النساء، من الآية:٢٩.
(٣) سورة النساء، من الآية:٢٤.
(٤) رواه البخاري (٤٨٢٠)، كتاب: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم (١٤٠٨)، كتاب: النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح.
(٥) سورة النساء، من الآية:١١.

المُسلِمَ"(١)، وبقوله ﷺ: **"لا يرث القاتل"**(٢).

ومثال تخصيص الكتاب بالسُّنَّة المتواترة الفعلية: رجم ماعز بن مالك(٣)، قد خصص قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ ﴾(٤)، وأصبحت الآية قاصرة على الزاني البكر، والزانية البكر.

ففعله ﷺ خصص العموم الوارد في الآية، ولقد اعترض بعض العلماء على التمثيل بفعله ﷺ هنا وقال: إن العموم يحتمل أن يكون مخصصا بالآية التي نسخت تلاوتها وبقي حكمها، وهي: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة".

فحكم الزاني المحصن خرج من عموم آية النور بهذه الآية المنسوخة تلاوة لا حكما.

وأجيب عن هذا: بأن العلماء أجمعوا على أن العموم في آية النور خصص

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض،باب لا يرث المسلم الكافررقم٦٧٦٤، ومسلم في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر رقم ١٦١٤.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفرائض،باب ما جاء في إبطال ميراث القاتل رقم ٢١٠٩، وقال الترمذي: هذا حديث لا يصح، والعمل على هذا عند أهل العلم أن القاتل لا يرث كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم: إذا كان القتل خطأ فإنه يرث وهو قول مالك.(انتهى بتصرف).

وقد رواه الدارمي عن ابن عباس بلفظ " لا يرث القاتل " قال ابن حجر: "هذا موقوف حسن".موافقة الخُبر الخَبر ٢/ ١٠٤

(٣) يُراجع: أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست رقم٦٨٢٤، ومسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى رقم١٦٦٩.

(٤) سورة النور، من الآية:٢.

بفعله ﷺ والإجماع حجة لا ريب(١).

ثانيا: تقييد المطلق:

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾(٢)، فإن قطع اليد في الآية مطلق لم يقيد بموضع خاص من اليد غير أن السنة الفعلية قيدت هذا الإطلاق وحددته من الرسغ.

ثالثا: تفصيل المجمل:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلٗاۚ ﴾(٣)، وجاءت السنة فبينت المناسك كاملة، وكذلك فصلت الصلاة والصيام والزكاة.

رابعا: بيان السنة لما أشكل من ألفاظ القرآن الكريم:

من ذلك ما رواه عَبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾(٤) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾**(٥)(٦).

---

(١) يُراجع: التمهيد في أصول الفقه (٢/ ٣٨٠)، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: ٢١٣).

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) سورة ءال عمران، من الآية:٩٧.

(٤) سورة الأنعام، من الآية:٨٢.

(٥) سورة لقمان، من الآية:١٣.

(٦) أخرجه البخاري في ك استتابة المرتدين، ب ما جاء في المتأولين (٦٩٣٧)، مسلم في ك =

وجه الدلالة: أن لفظ ﴿ بِظُلۡمٍ ﴾ نكرة في سياق النفي، فهم الصحابة ! منه العموم، وأقرهم النبي ﷺ، وبين لهم أن المراد به ظلم مخصوص: هو الشرك.

الوجه الثالث:

أن تكون السنة مثبتة لحكم سكت القرآن عن إثباته أو محرمة لما سكت عن تحريمه أو نحوهما مما لم يذكر في القرآن.

فمن الأول: تغريب الزاني البكر وإرث الجدة وجواز الرهن في الحضر.

ومن الثاني: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ومنع الحائض من الصوم والصلاة، وكالأحاديث الواردة في تحريم سباع الهائم وسباع الطير وفي تحريم الحمر الأهلية.

وذهب جمهور العلماء إلى القول باستقلال السنة بالتشريع؛ لذلك أمر الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ وحذرنا من مخالفته قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾[2].

قال الشوكاني: "اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **"أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"** [3]أي:

=

الإيمان، ب صدق الإيمان (١٩٧).

(١) سورة النساء، من الآية:٨٠.

(٢) سورة النور، من الآية:٦٣.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٤١٠) رقم (١٧١٧٤)، قال االأرنؤوط: إسناده صحيح،

أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر"(١).

والظاهر كما قال د./ مصطفى السباعي: "أن الخلاف بين العلماء حول استقلال السنة بالتشريع خلاف لفظي، وأن الكل متفق بوجود أحكام جديدة في السنة ولم ترد في القرآن، غير أن الجمهور يسمي ما ورد في السنة فقط أحكاما استقلت السنة بتشريعها؛ لأنها أحكام جديدة لم ينص عليها القرآن في حين يرى بعض العلماء أنها داخلة تحت نصوص القرآن بوجه من الوجوه، والنتيجة واحدة"(٢).

❑❑❑❑

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٩٦).

(٢) السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ٣٨٥)،بتصرف يسير.

المبحث الرابع: السنة كلها تشريع

تمهيد:

بعد ما ذكرنا تعريف السنة عند الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير [١].

فلفظ التشريع هو الحكم الشرعي لكل فعل من أفعال المكلفين، سواء أكان الحكم هو الوجوب أم الحرمة أم الندب أم الكراهة أم الإباحة.

وفي العقود الأخيرة ظهر من يزعم أن منها ما هو للتشريع فيؤخذ به، ومنها ما هو لغير التشريع فلا يؤخذ به، وهذه مقولة بالغة الخطر، وخطرها من نعومتها وشدة التلبيس فيها.

تحرير محل النزاع:

هناك مسألتان متغايرتان ينبغي التفريق بينهما:

المسألة الأولى: بعض أفعاله ﷺ ليست تشريعا ملزما. فالنفي نفي الإلزام، لا نفي التشريع.

المسألة الثانية: بعض أفعاله ﷺ ليست تشريعا. فالنفي نفي التشريع.

---

(١) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج ط دبي (٥/ ١٧٤٩)، البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٦)، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (٢/ ١٦٠).

فالتقرير أن هناك قضيتين مختلفتين تماما، الأولى تقول: بعض أفعاله ﷺ ليست تشريعا ملزما، أي ليس مطلوبا الاقتداء بها، وهذه قضية مسلمة، ففعله المباح والجائز ليس مطلوبا الاقتداء به، بل قد يفعل خلاف الأولى لبيان الجواز، فلا يلزم اتباعه فيه، ليس فيما جرت به العادة وما سبيله الحاجة البشرية فحسب بل فيما هو من العبادة، أو وسيلة العبادة.

وقد أوضحنا أن القضية الأولى مسلمة، لا نقاش فيها، بل هي بديهية عند أهل العلم، أما الثانية فهي الجديدة على العلماء، وهي موضوع البحث، نحن نقول: جميع أفعاله ﷺ يؤخذ منها حكم شرعي، أقله رفع الحرج عن الأمة، والمخالف يقول: بعض أفعاله ﷺ ليس لها أي صفة تشريعي

قال الأستاذ الدكتور موسى لاشين: "هذه القضية - السنة كلها تشريع -، لم يخالف فيها أحد من علماء المسلمين في أربعة عشر قرنا مضت، ولم نسمع ولم نعلم أن واحدا من علماء المسلمين قسم السنة أي الحديث، إلى تشريع وإلى غير تشريع، حتى كان النصف الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، فكان أول من قسم السنة إلى تشريع وإلى غير تشريع فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت في كتابه: " الإسلام عقيدة وشريعة " (١).

قال الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل ما تلفظ به رسول الله ﷺ ما عدا القرآن - أو ظهر منه، من ابتداء رسالته إلى نهاية حياته، فهو من سنته، سواء أثبت حكما عاما لسائر أفراد الأمة - وهذا هو الأصل - أم أثبت حكما خاصا به ﷺ أو خاصا ببعض أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وسواء أكان فعله ﷺ جبليا

(١) السنة كلها تشريع - موسى شاهين لاشين (ص: ٥٨).

أم كان غير جبلي، فما من قول أو فعل يصدر عنه ﷺ إلا ويثبت حكما شرعيا، يجب اعتقاد ثبوته، بقطع النظر عن كونه إيجابا أو ندبا أو تحريما أو كراهة أو إباحة، وبقطع النظر أيضا عن كونه عاما لجميع الأمة، أو خاصا بالبعض، كائنا من كان ذلك البعض، وبقطع النظر كذلك عن كونه متعلقا بفعل طبيعي جبلي أو بغيره من سائر الأفعال الاختيارية المختلفة» [(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل ما قاله ﷺ بعد النبوة، وأقر عليه، ولم ينسخ فهو تشريع، لكن التشريع يتضمن الإيجاب والتحريم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب. فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به فهو شرع لإباحته، وقد يكون شرعا لاستحبابه ... والمقصود: أن جميع أقواله يستفاد منها شرع»[(٢)].

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الإباحة تثبت بطرق ثلاثة أحدها أن يقول الشرع إن شئتم فافعلوا وإن شئتم فاتركوا والثاني أن تدل أخبار الشرع على انه لا حرج في الفعل والترك والثالث أن لا يتكلم الشرع فيه البتة ولكن انعقد الإجماع مع ذلك على أن ما لم يرد فيه طلب فعل ولا طلب ترك فالمكلف فيه مخير وهذا الدليل يعم جميع الأفعال التي لا نهاية لها إذا عرفت هذا فنقول إن عنى بكون الإباحة حكما شرعيا أنه حصل حكم غير الذي كان مستمرا قبل الشرع فليس كذلك بل الإباحة تقرير لا تغيير وإن عنى بكونه حكما شرعيا أن كلام الشرع دل على تحققه فظاهر أنه كذلك لأن الإباحة لا تتحقق إلا على أحد الوجوه الثلاثة

---

(١) بحوث في السنة المشرفة للأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق: ص ١٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٢).

المذكورة وفي جميعها خطاب الشرع دل عليها فكانت الإباحة من الشرع بهذا التأويل (١).

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا.. ... وإذا كان كذلك، لم يصح لأحد أن يدعي على الشريعة أنها وضعت على مقتضى تشهي العباد وأغراضهم؛ إذ لا تخلو أحكام الشرع من الخمسة- الوجوب أو التحريم أو الندب أو الكراهة أو الإباحة-.

أما الوجوب والتحريم، فظاهر مصادمتها لمقتضى الاسترسال الداخل تحت الاختيار؛ إذ يقال له: «افعل كذا» كان لك فيه غرض أم لا، و «لا تفعل كذا». كان لك فيه غرض أم لا ... وأما سائر الأقسام- وإن كان ظاهرها الدخول تحت خيرة المكلف، فإنما دخلت بإدخال الشارع لها تحت اختياره، فهي راجعة إلى إخراجها عن اختياره، ألا ترى أن المباح قد يكون له فيه اختيار وغرض؟، وقد لا يكون؟ فعلى تقدير أن ليس له فيه اختيار، بل في رفعه مثلا، كيف يقال: إنه داخل تحت اختياره؟، فكم من صاحب هوى يود لو كان المباح الفلاني ممنوعا، حتى إنه لو وكل إليه مثلا تشريعه لحرمه، كما يطرأ للمتنازعين في حق فسبحان الذي أنزل في كتابه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾(٢)(٣).

---

(١)المحصول للرازي (٢/ ٢١٣).

(٢) سورة المؤمنون، من الآية: ٧١.

(٣)الموافقات (٢/ ٢٨٩)

يذهب فضيلة الشيخ شلتوت رَحِمَهُ اللَّهُ: إلى أن ما ورد من أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته قد يأتي بعضه: على ما سبيله سبيل الحاجة البشرية كالأكل والشرب والمشي والتزاور والمصالحة بين شخصين. وما سبيله التجارب والعادة الشخصية، أو الاجتماعية كالذي ورد في شئون الزراعة والطب وطول اللباس أو قصره. وما سبيله التدبير الإنساني في ظروف خاصة كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية. وكل هذه الأنواع ليس شرعا يتعلق به طلب الفعل أو تركه، وإنما هو من الشئون البشرية التي ليس مسلك الرسول فيها ﷺ " **تشريعا ولا مصدر تشريع** ".

ويقول الشيخ موسى شاهين لاشين: وعن الشيخ شلتوت أخذ كثير من المعاصرين فيما كتبوه عن السنة وتقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية. والذين ساروا في ركاب الشيخ شلتوت هؤلاء بحسن نية في بعض الأحيان يفتحون في الشريعة الإسلامية ثغرة يحسبونها هينة وهي منفذ خطير لأعداء الشريعة الإسلامية.

خصوصا وأن القضية بدأت أولا؛ بإخراج ما سبيله الحاجة البشرية كالأكل والشرب من التشريع، ثم انتهت إلى إخراج كل ما يتعلق بالمعاملات التي لم ترد في القرآن الكريم، فيذهبون إلى أن المعاملات في سنة الرسول ﷺ ليست خاضعة للتشريع، وإنما هي صادرة عن اجتهادات بشرية يجوز لمن يأتي بعده أن يجتهد مثله، وأن يخالفه في أفعاله وتقريراته وأفعاله وبخاصة ما جاء منها في المعاملات التي لم ترد في القرآن الكريم - ولو أدى اجتهاده إلى غير ما قرره الرسول ﷺ باجتهاده - وفقا لعبارة الدكتور عبد المنعم النمر في كتابه " السنة والتشريع ص ٤٦ " ويحصر السنة التشريعية في دائرة ضيقة بقوله: "نسارع فنقرر

أن كل ما صدر عن الرسول من شئون الدين والعقيدة والعبادة والحلال والحرام والعقوبات والأخلاق والآداب لا شأن لنا به إلا من ناحية فهمه"، ثم يقول: "لكن هناك أحاديث كثيرة تتصل بمعاملات الناس في الحياة من بيع وشراء ورهن وإجارة وقراض وسلم"، كل ذلك لا يراه من التشريع وإن جاء في السنة، ثم يقرر أن المعاملات تخضع في الإسلام أولا وأخيرا لمبدأ المصلحة.

وهو لم يكتف بما اكتفى به الشيخ شلتوت من إخراج ما سبيله الحاجة البشرية كالأكل والشرب، وإنما أخرج المعاملات جميعا، ولم يفرق في ذلك بين واجب ومندوب، أو مباح ومحرم، أو مكروه، وحكم على ما يقرب من نصف السنة بأنه غير تشريع[١].

ومن الواضح ما يمثله هذا التوجه من خطر على الشريعة الإسلامية: ينسفها أولا في المعاملات، ويبقيها في العبادات ليجهز بعد ذلك على المعاملات والعبادات جميعا. وهذه هي الغاية التي تنتهي إليها العلمانية في أقصى حالاتها

ماذا قال فضيلة الشيخ محمود شلتوت–؟

قال: «ما ورد عن النبى ﷺ ودون في كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقريراته على أقسام:

– **أحدها**: ما سبيله سبيل الحاجة البشرية كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية والشفاعة والمساومة في البيع والشراء.

---

(١) السنة كلها تشريع – موسى شاهين لاشين (ص: ٦٢).

- **ثانيها**: ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذي ورد في شؤون الزراعة والطب وطول اللباس وقصره.

- **ثالثها**: ما سبيله التدبير الإنساني أخذا من الظروف الخاصة، كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية، وتنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة، والكمون والفر، واختيار أماكن النزول، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحي الظروف والدربة الخاصة.

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعا يتعلق به طلب الفعل والترك، وإنما هو من الشؤون البشرية التي ليس مسلك الرسول فيها تشريعا ولا مصدر تشريع» (١).

ثم يقول: «ومن هنا نجد أن كثيرا مما نقل عنه صور بأنه شرع أو دين أو سنة أو مندوب، وهو لم يكن في الحقيقة صادرا على وجه التشريع أصلا، وقد كثر ذلك في الأفعال الصادرة عنه بصفته البشرية، أو بصفة العادة والتجارب» (٢).

فالشيخ شلتوت – ينفي التشريع بأحكامه الأربعة [الوجوب والندب والحرمة والكراهة] عن جميع أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ الواردة في هذه الأمور الثلاثة، إذ يقول: «وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعا يتعلق به طلب الفعل والترك».

وينفي تشريع حكم الإباحة في هذه الأمور الثلاثة، إذ يقول: «وإنما هو – أي

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ": ص ٤٣١ وما بعدها – نشر دار الشروق ط الواحد والعشرون سنة ٢٠١٥م.

(٢) المصدر السابق.

ما نقل - من الشؤون البشرية التي ليس مسلك الرسول فيها تشريعا ولا مصدر تشريع».

وأجيب عن ذلك:

يقول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤ ﴾(١).

وقال ﷺ لعدي بن حاتم: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ فَكُلْ، فَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ**»، قُلْتُ: فَإِنْ وَجَدْتُ مَعَ كَلْبِي كَلْبًا آخَرَ، فَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَهُ؟ قَالَ: «فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ، وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى غَيْرِهِ»(٢)

فهل قول الرسول ﷺ هذا ليس تشريعا؟ وليس بيانا للناس ما أنزل إليهم؟ وليس تحريما ولا تحليلا؟ ويقول الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾(٣)، ويقول ﷺ عن البحر: «**هو الطَّهورُ ماؤُهُ، الحلُّ مَيتَتُه**»(٤)

فمن الذي أحل السمك الميت؟ أليس رسول الله ﷺ؟

ويقول القرآن الكريم في وصف النبي ﷺ: ﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ

---

(١)سورة المائدة، الآية: ٤.

(٢). صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٩)، (١٩٢٩)، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣

(٤) أبو داود / كتاب الطهارة - باب الوضوء بماء البحر. وَصَحَّحَهُ ابن خُزيمة وابن حبان.

ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾(١).

فكيف ينفي عنه ﷺ تشريع الحل والحرمة في المأكول والمشروب؟ ونسوق هنا بعض آداب الأكل والشرب الواردة في الصحيح وبعضها واجب، وبعضها مندوب، وبعضها محرم، وبعضها مكروه، ليتبين الخطأ الواضح في نفي التشريع عنها.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٢).

وفي ذم الشره والتنفير من الجشع في الأكل يقول ﷺ: «**المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»(٣).

ويقول ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ**»(٤).

ونهى ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ"(٥)، أي الشرب من فم الإناء الكبير، منعا من توارد الأفواه على المكان الواحد مما يغير رائحته، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن

---

(١)سورة الأعراف، من الآية: ١٥٧

(٢)أخرجه البخاري، (٥٣٧٦)- كتاب الأطعمة - باب التسمية على الطعام والأكل باليمين.

(٣)أخرجه " البخاري، (٥٣٩٣)- كتاب الأطعمة - باب المؤمن يأكل في معى واحد.

(٤)أخرجه " البخاري، (٥٤٦٠)- كتاب الأطعمة - باب الأكل مع الخادم.

(٥)أخرجه " البخاري " - كتاب الأشربة - باب الشرب من فم السقاء.

النبي ﷺ **نَهَى أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِي السِّقَاءِ لِأَنَّ ذَلِكَ يُنْتِنُهُ»**(١).

ونهى ﷺ عن التنفس عند الشرب، فقال: «**إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ**»(٢).

ونهى النَّبِي ﷺ عَنِ النَّفْخِ فِي الشُّرْبِ فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟ قَالَ: «**أَهْرِقْهَا**»، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: «**فَأَبِنِ القَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ**»(٣).

ونهى ﷺ عن الشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ(٤).

وأمر ﷺ بتغطية أواني الطعام والشراب، فقال: «**أَطْفِئُوا المَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ**»(٥)، أي غطوه.

ونهى ﷺ عن الأكل من وسط الإناء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ**»(٦).

---

(١)أخرجه الحاكم بسند قوي. [انظر " المستدرك على الصحيحين " للحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا: ٤/ ١٥٦، حديث رقم ٧٢١١، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، نشر دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

(٢)أخرجه " البخاري، (٥٦٣٠)، كتاب الأشربة - باب النهي عن التنفس في الإناء.

(٣)أخرجه " الترمذي، (١٨٧٧)، كتاب الأشربة - باب كراهية النفخ في الشراب. وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٤) أخرجه " البخاري، (٥٦٣٢) كتاب الأشربة - باب الشرب في آنية الذهب والفضة.

(٥) أخرجه " البخاري، (٥٦٢٤) كتاب الأشربة - باب تغطية الإناء.

(٦) أخرجه " الترمذي، (١٨٠٥) كتاب الأشربة - باب كراهية الأكل من وسط الطعام.
=

ورغب ﷺ في المواساة بالطعام، والمشاركة فيه، والاجتماع عليه، فقال: «**طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**»(١).

وحفاظا على أحاسيس الآخرين: «**مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئًا أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ**»(٢).

فهل بعد استعراض هذه التشريعات السامية الراقية نستسيغ نفي التشريع عنها؟ ونقول: إنها من الشؤون البشرية التي ليس مسلك الرسول فيها تشريعا؟ ولا مصدر تشريع؟.

قال شيخ الأزهر السابق د/ عبد الحليم محمود رَحِمَهُ اللهُ : "خذ أي خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع: فستجد في السنة دعوة إليه، بوسيلة أو بأخرى، وبثالثة.

وهي في هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الإسلامية في الأخلاق العالمية: أن دورها: إنما هو الرائدة الراعية وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى، والأسوة الكريمة، والقدوة الصالحة.

ولقد كان رسول الله ﷺ: الصورة الحية الناطقة التي طبقت كمبادئ إنسانية ممكنة الخلق الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء، والذي عبرت عنه السنة

= وقال: «هذا حديث حسن صحيح»

(١) أخرجه " مسلم، (٢٠٥٩)، كتاب الأشربة، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٦٣٢)، (٢٠٦٤)، كتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ لَا يَعِيبُ الطَّعَامَ.

أجمل تعبير وأبلغه"[١].

فهل يستسيغ لمسلم أن يقول: أن هذه الأوامر والنواهي والتوجيهات، وكل ما نقل من أمثالها ليس شرعا يتعلق به طلب الفعل أو طلب الترك؟

لا نملك إلا أن نقول: غفر الله له ورحمه، فقد كانت هذه القذيفة التي لم يلق لها بالا قنبلة فجرها الدكتور عبد المنعم النمر في ميدان آخر، وذهب إلى أن كثيرا من أفعال النبي ﷺ وأقواله ليست للتشريع، وليست خاضعة لوحي، بل صادرة عن اجتهادات بشرية، يجوز لمن يأتي بعده أن يجتهد مثله، وأن يخالفه في أفعاله وتقريراته وأقواله وبخاصة ما جاء عنه في المعاملات التي لم ترد في القرآن الكريم.

وقال بالحرف الواحد: «فما دام الرسول كان يجتهد، وما دام هذا الاجتهاد قد شمل الكثير من أنواع المعاملات أفلا يجوز لمن يأتي بعده أن يدلي في الموضوع باجتهاده أيضا؟ هادفا إلى تحقيق المصلحة، ولو أدى اجتهاده إلى غير ما قرره الرسول باجتهاده؟»[٢].

ماذا يريد أصحاب تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية؟:

أهم بهذا التجديد يصلحون عقيدة فاسدة؟ أم هم بهذا التجديد يهزون عقيدة صحيحة؟

ماذا يضر المسلم في عقيدته لو أنه اعتقد أن محمدا ﷺ رسول في جميع

---

(١) السنة ومكانتها من التشريع لعبد الحليم محمود (ص: ٧).

(٢)"السنة والتشريع " للدكتور عبد المنعم النمر: ص ٤٦.

أوقاته؟ رسول في جميع أقواله وأفعاله وتقريراته؟ منذ البعثة وإلى أن لحق بالرفيق الأعلى؟

إن هذه الدعوة خطرها شديد، وبعثها شر مستطير. إن باب الشر المغلق إذا كسر غلقه لم يؤمن انفتاحه على مصراعيه، ومعظم النار من مستصغر الشرر، وسلب رسالة محمد ﷺ عن عشرة تصرفات يتيح لآخرين سلبها عن عشرين تصرفا، ثم عن مائة تصرف، ثم عن المعاملات جميعها، ثم عن الشريعة كلها.

والعبرة ليست بحسن القصد في مثل هذه الأمور، إنما العبرة بالأثر والأخطار التي يمكن أن تنجم عن ثقب صغير في جدار كبير [١].

❑❑❑❑

(١) يراجع: السنة كلها تشريع - موسى شاهين لاشين (ص: ٨٧).

الباب الثاني

الجذور التاريخية لمنكري السنة وأشهر طوائفهم

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول

البذور الأولى لمنكري السنة من الخوارج والشيعة

كان إنكار السنة والشغب عليها على هيئة فردية في حالات نادرة لا اعتبار بها، منها:

ما رواه حبيب المالكي، قال: قال رجلٌ لعمران بن حُصَينٍ: يا أبا نُجيدٍ، إنكم لتحدِّثونا بأحاديث ما نجدُ لها أصلاً في القرآن، فغَضِبَ عمرانُ، وقال للرجل: أوجدتُم في كل أربعينَ درهمًا درهمًا، ومِن كل كذا وكذا شاةً شاةً، ومن كلِّ كذا وكذا بعيراً كذا وكذا، أوجدتم هذا في القرآن؟ قال: لا، قال: فعن مَنْ أخذتُم هذا، أخذتموه عنا، وأخذناه عن نبى الله ﷺ، وذكر أشياء نحو هذا"[(١)].

ومنها: أن مُعَاذَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ. فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ،

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجب فيه الزكاة ت الأرنؤوط (٣/ ٩)، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. صرد بن أبي المنازل. قال الذهبي: فيه جهالة. وأخرجه ابن أبي عاصم في"السنة" (٨١٥).

وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ، فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ»(١).

قال ابن العطار: "أما الحروري: فمن ينسب إلى حروراء: قرية بقرب الكوفة على ميلين منها -وهي بفتح الحاء المهملة، وضم الراء الأولى، وبالمد-، اجتمع فيها أوائل الخوارج، ثم كثر استعماله في كل خارجي، ومنه قول عائشة لمعاذة: "أحرورية أنت؟! "؛ أي: خارجية، وإنما قالت لها ذلك؛ لأن مذهب الخوارج: أن الحائض تقضي الصلاة، وهو خلاف إجماع المسلمين.

ولأن معاذة أوردت السؤال على غير صفته المجردة، بل قد تشعر صيغتها بتعجب، وإنكار؛ حيث قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم إلى آخره؟ فأجابتها معاذة بأن قالت: ولكني أسأل؛ أي: أسأل سؤالا مجردا عن الإنكار، أو التعجب، بطلب مجرد العلم بالحكم.

وأما إجابة عائشة بالنص دون المعنى؛ فلأنه أبلغ وأقوى في الردع عن مذهب الخوارج، وأقطع لمن يعارض بخلاف المعنى المناسب؛ فإنه عرضة للمعارضة" (٢).

قال السيوطي: اعلموا - يرحمكم الله - أن من العلم كهيئة الدواء. ومن الآراء كهيئة الخلاء. لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وأن مما فاح ريحه في هذا

---

(١) رواه البخاري (٣١٥)، كتاب: الحيض، باب: لا تقضي الحائض الصلاة، ومسلم (٣٣٥)، كتاب: الحيض، باب: وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، وهذا لفظ مسلم.

(٢) العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام لابن العطار (١/ ٢٧٤).

الزمان وكان دارسا بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو أن قائلا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علوا وشرفا - لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة (١).

قال ابن حجر: ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري لأن أول فرقة منهم خرجوا على عليّ بالبلدة المذكورة فاشتهروا بالنسبة إليها وهم فرق كثيرة لكن من أصولهم المتفق عليها بينهم الأخذ بما دل عليه القرآن ورد ما زاد عليه من الحديث مطلقا (٢).

وفي عهد التابعين قال رجل ـ لِمُطرِّفِ بنِ عبد الله بن الشِّخِّير (٣) ـ: «لا تُحدّثونا إلا بالقرآن».

فأجابه مطرّفٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريدُ من هو أعلمُ بالقرآن منّا» (٤).

ولكن مِن أقدمِ ما وردَ حول وجود فئةٍ نبتَت بين المسلمين تُنكرُ سنة رسول الله ﷺ ما ذكره الإمام الشافعي في مطلع كتابه «جِماع العلم» عن مناظرةٍ جرَت بينه وبين أحد أفرادِ هؤلاء، حيث قال:

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص: ٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٢٢).

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري، أبو عبد الله، من كبار التابعين، ثقة عابد، روى له الجماعة مات سنة (٩٥ هـ). ترجمته في «تهذيب الكمال» ٢٨/ ٦٧ - ٧٠ الترجمة (٦٠٠١).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٩٣) برقم ٢٣٤٩.

"لم أسمع أحدا نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما وأن فرض الله تعالى علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله - ﷺ "(١).

وبيّن الشيخ عبد الغني عبد الخالق أنه لا خلاف في حجية السنة من حيث ذاتها إنما الخلاف في أبحاث طرقها والاعتماد عليها ثم قال: حجية السنة لا نزاع فيها بين المسلمين، وأنها ضرورة دينية.

فقال: "ليس أحد من المسلمين ينكر حجية السنة، وكل ما يؤخذ من كلام الإمام الشافعي: أن بعض الناس يرد الأخبار كلها ولا يقول بالاحتجاج بها؛ لأنه يرى أن ليس هناك طريق صحيح لنقلها عن رسول الله" (٢).

قال د/ مصطفى السباعي: ولم يُبَيِّنْ لنا الشافعي في "الرسالة" وفي "الأم " من هو منكر الحُجِيَّة، وإن كان يستفاد من كلامه في "الأم" أنه من البصرة، وذلك يحتمل أن يكون من المعتزلة كما يحتمل أن يكون من الرَّافِضَةِ، فقد كانت البصرة في عصر الشافعي مركز حركة فكرية وعلمية يجتمع فيها رجال أشهر الفرق والمذاهب الإسلامية في ذلك العصر(٣).

---

(١) الأم للشافعي (٧/ ٢٨٧).
(٢) حجية السنة للشيخ عبد الغني عبد الخالق (ص ٢١).
(٣) السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ١٦٨).

ومما يؤيد أن لا خلاف في حجية السنة نقل السيوطي وغيره الإجماع على ذلك، فقال: "ومن أنكر كون حديث النبي ﷺ قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة. روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوما حديثا وقال إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟، فاضطرب وقال: "يا هذا أرأيتني نصرانيا؟ أرأيتني خارجا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زنارا؟ أروي حديثا عن رسول الله ﷺ ولا أقول به".

وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن وهم في ذلك مختلفو المقاصد، فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين ﷺ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال: إن الخلافة كانت حقا لعلي فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين قال هؤلاء المخذولون - لعنهم الله - كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه، وكفروا - لعنهم الله - عليا رضي الله عنه أيضا لعدم طلبه حقه فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه آراء ما كنت أستحل حكايتها لولا ما دعت إليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار.

وقد كان أهل هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم

للرد عليهم[١].

فالاتجاه لإنكار حجية السنة بالكلية لم يكن منتشراً في الأقطار، بل وُجد عند بعض الأفراد ولا يشكل ظاهرة، لا خلاف في حجية السنة من حيث ذاتها إنما الخلاف في أبحاث طرقها والاعتماد عليها.

أما تاريخ ظهور هذه الفرق وتطورها تاريخيًا وعقديًا، فيلخص ذلك شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيقول:

" ... أولها ظهوراً الخوارج، فان التكلم ببدعتهم ظهر في زمانه ﷺ، ولكن لم يجتمعوا وتصير لهم قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فَقَالَ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، قَالَ: «**وَيْلَكَ، مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ**» فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «**لاَ، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**"[٢].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَفَ نَاسًا، إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، «**يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَجُوزُ هَذَا، مِنْهُمْ، - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - مِنْ أَبْغَضِ**

---

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص: ٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك (٦١٦٣)، (٨/ ٣٨).

خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَسْوَدُ، إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ[١] أَوْ حَلَمَةُ ثَدْيٍ» فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْظُرُوا، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَاللهِ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ[٢].

وهذه العلامة التي ذكرها رسول الله ﷺ هي علامة أول من يخرج منهم وليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث، أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمان الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر.

وهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون، وهذا هو ما أخذ الخارجين عن السنة من الروافض ونحوهم [٣].

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

ثم ظهر في زمن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التكلم بالرفض، ولكن لم يجتمعوا ويصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بل لم يظهر اسم الرفض ويعلن إلا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى، وذلك أنه لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رفضه الرافضة، فسموا رافضة، واعتقدوا أن أبا جعفر- محمد

---

(١) الطُّبْيُ والطِّبْيُ: حلمات الضرع التي فيها اللبن من الخف والظلف والحافر والسباع، وقيل: هو لذوات الحافر والسباع، كالثدي للمرأة وكالضرع لغيرها، والجمع من كل ذلك أطباء. لسان العرب (١٥/ ٤).

(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج برقم (١٠٦٦).(٢/ ٧٤٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧).

بن علي الباقر- هو الإمام المعصوم، واتبعه- زيد- آخرون فسموا (زيدية) نسبة إليه.

ثم في أواخر عصر الصحابة نبغ التكلم ببدعة القدر والإرجاء، فردَّها من كان حيا من الصحابة حينئذ، كابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد وواثلة بن الأسقع وغيرهم.

ولم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المعتزلة والمرجئة بعد ذلك.

ثم في أواخر عصر التابعين ظهر القول ببدعة الجهمية نفاة الصفات، ولم يكن لهم اجتماع وسلطان إلا بعد المائة الثانية في إمارة أبي العباس الملقب بالمأمون، فإنه أظهر التجهُّم وامتحن الناس عليه وعرَّب كتب الأعاجم من الروم واليونانيين وغيرهم،..... وفي زمنه ظهرت (الخرمية) وهم زنادقة منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون خلافه، وأصل مذهبهم المزدكية الإباحية التي ظهرت قبل الإسلام، وتفرع الخرمية بعد ذلك إلى القرامطة والباطنية والإسماعيلية وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض في الظاهر، وصارت الرافضة الإمامية في زمن بني بويه بعد المائة الثالثة فيهم عامة، هذه الأهواء المضلة.. فيهم الخروج والرفض والقدر والتجهُّم [١].

وإذا تأمل العالم ما ناقضوه من نصوص الكتاب والسنة لم يجد أحدا يحصيه إلا الله. فهذا كله يبين أن فيهم ما في الخوارج الحرورية وزيادات. وأيضا فإن الخوارج الحرورية كانوا ينتحلون اتباع القرآن بآرائهم ويدعون اتباع السنن

---

(١) موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديما وحديثا (ص: ١٥).

التي يزعمون أنها تخالف القرآن. والرافضة تنتحل اتباع أهل البيت وتزعم أن فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطئ. لا عمدا ولا سهوا ولا رشدا[١].

كان لهذه الأحاديث المزعومة الموضوعة على رسول الله ﷺ دور أصيل في حجية التشريع وأصول الدين عندهم.

أما الخوارج فقد طعنوا في الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد واقعة التحكيم الشهيرة أثناء الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وبسبب واقعة التحكيم طعن الخوارج في عدالة الصحابة رضي الله عنهم فمن الخوارج مَنْ فَسَّقهم، وهم قلة لا تذكر، والأكثرون من طوائف الخوارج كفروا الصحابة - عياذاً بالله - بل منهم من جعلهم كالمشركين في الحرب والسبي وعدم قبول الجزية. إلى آخر تلك الآراء التي تدل على انحراف حاد عن جادة الإسلام، وقد دفع بهم إنكار السنة والرغبة الملحة عندهم في مخالفة جماعة المسلمين إلى العدوة القصوى بعيداً عن الإسلام، فافتروا على الله ورسوله وجماعة المسلمين، وتباروا في تكفير الأمة بأنواع من الكفر، فجمهرتهم يرون أن دار مخالفيهم دار حرب، يقتل فيها النساء والأطفال وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل.

أما في الأحكام فقد أنكروا الرجم في الزاني المحصن لأنه ليس في القرآن، وأقاموا حد السرقة ولم يلتزموا ما ورد في السنة وإجماع الأمة بالحرز في السرقة ونصابها وكذلك قطع اليد من الرسغ، كما استحلوا كفر الأمانة التي أمر الله -

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٩: ٤٩١).

تعالى - بأدائها وزعموا أن المسلمين مشركون يحل أكل أماناتهم، وأجاز فريق منهم - الميمونية - نكاح بنت البنت، وبنت الابن، لأن القرآن لم يذكرهن ضمن المحرمات. إلى غير ذلك من أنواع الضلال والزيغ الذي وقعوا فيه في أصول الدين، وفي أحكام الشريعة بسبب أنهم رفضوا السنة النبوية المطهرة، وزعموا أنهم يأخذون أحكامهم وقضايا دينهم عن القرآن، وما علموا أنهم نابذوا القرآن ونبذوه يوم نبذوا السنة واتخذوها ظهرياً، يقول عبد القاهر البغدادي عن الخوارج إنهم:

"أجمع الفقهاء على قبول الأخبار المستفيضة المجمع على صحتها، وعلى العمل بمضمونها وضللوا من خالف فيها من أهل الأهواء كتضليل الخوارج في إنكارها الرجم وتضليل من أنكر من النجدات[1] حد الخمر وتضليل من أنكر المسح على الخفين وتكفير من أنكر الرؤية والحوض والشفاعة وعذاب القبر وكذلك ضللوا الخوارج الذين قطعوا يد السارق في القليل والكثير من الحرز وغير الحرز كردهم الأخبار الصحاح في اعتبار النصاب والحرز في القطع"[2].

---

(١) فرقة من فرق الخوارج، قال البغدادي: الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها المحكمة الأولى الأزارقة والنجدات، والصفرية ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها والصلتية والأخنسية والشيبية والشيبانية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والخمرية والشمراخية والإبراهيمية والواقفة والإباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان حفصية وحادثية فأما اليزيدية من الأباضية والميمونية من العجاردة فانها فرقتنا من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة. الفرق بين الفرق (ص: ٥٤).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ٣١٤)، قال عبد القاهر البغدادي: وأنكرت الأزارقة الرجم واستحلوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها وقالوا إن مخالفينا مشركون فلا يلزمنا =

فهؤلاء وأولئك - الخوارج والشيعة - رفضوا - سنة رسول الله ﷺ لطعنهم في الصحابة - رضوان الله - تعالى - عليهم أجمعين - ومن المعلوم أن سنة رسول الله ﷺ إنما وصلت إلينا من خلال الصحابة - رضوان الله عليهم - بل إن الدين كله وصل إلينا من خلالهم، فهم الطبقة المعاصرة لرسول الله ﷺ زمانا، المطلعة على أحواله قولاً وفعلاً، الحريصة على أن تحفظ عنه كل حركة وسكنة، وأن تنقل عنه كل لفظة وسكتة، الأمينة في وصف أحواله ﷺ صغيرها وكبيرها، والصحابة - رضوان الله عليهم - هم الذين نقلوا إلينا أحوال النبي ﷺ كافة لم يخرموا منها شيئًا، حتى صرنا بفضلهم - جزاهم الله عن الأمة خيرا-

=

رد أماناتهم إليهم ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء وقطعوا يد السارق في القليل والكثير ولم يعتبروا في السرقة نصابا وأكفرتهم الأمة في هذه البدع التي أحدثوها. الفرق بين الفرق (ص: ٦٤).

قال النيسابوري: والخوارج أنكروا الرجم لأنه لا يتنصف وقد قال تعالى ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥] ولأنه تعالى أطنب في أحكام الزنا بما لم يطنب في غيره، فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر، ولأن قوله ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وإيجاب الرجم على البعض يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد. وجمهور المجتهدين خالفوهم في ذلك فأجابوا عن الأول بأن الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع في حق العبد فخصص العذاب بغير الرجم للدليل العقلي. وعن الثاني بأن الأحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات. وعن الثالث بأن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لأن القرآن وإن كان قاطعا في متنه إلا أن العام غير قاطع الدلالة فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون. سلمنا إلا أن الرجم ثبت بالتواتر رواه أبوبكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وجابر والخدري وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة، وما نقل عن علي أنه جمع بين الجلد والرجم. تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ١٤٤).

كأننا نعايشه في أحواله ﷺ كافة، ونعاين هيئاته كافة، فهم - رضوان الله عليهم- هم الذين نقلوا إلينا الدين كاملاً عن رسول الله ﷺ الذي تلقاه عن ربه وحيا في القرآن أو في السنة، فإذا جاء من الطوائف والفرق من يرفض الأخذ عنهم مستنداً إلى ما يزعمه من أنهم ليسوا عدولاً، فعن من يأخذ دينه، وأنى له أن يعرف شرائع الإسلام؟ ومن أين سيأخذ أحكام الدين في الصلاة وهيئاتها، والزكاة ومقاديرها، والصيام وأحكامه، والحج ومناسكه، ثم من أين له أن يعرف ما يحل وما يحرم، وما يأخذ أو يدع في شؤون الحياة جميعها، ثم أين نجد كل هذا في القرآن المجيد؟ وأين يجده هؤلاء الذين يزعمون أنهم يكتفون بالقرآن وحده دون السنة النبوية المشرفة؟

إن رفضهم السنة النبوية كان له الأثر الذي أشرنا إلى بعضه من خروجهم على الدين وابتداعهم فيه ما ليس منه، واعتناقهم عقائد، ومزاولتهم شرائع لا تمت إلى الإسلام، بل تناقض الإسلام وتعارضه، وقد انتهى بهم الأمر إلى أن نقضوا عرى الإسلام، وكفروا الأمة المسلمة، وما كفرت الأمة ولكن الظالمين كفروا، يهدمون الدين بحجة الحرص عليه، ويكفرون بالقرآن وهم يزعمون الاستمساك به والاعتماد عليه، فأين منهم آياته البينات التي تأمر بطاعة رسول الله ﷺ والأخذ عنه والائتمار بأمره والانتهاء بنهيه؟ بل أين منهم آياته البينات التي تنص على أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن سنته وحي من عند الله - تعالى - وأين من هؤلاء الذين يخالفون عن أمر رسول الله ﷺ قوله تعالى - محذراً إياهم ومن على شاكلتهم: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾(١).

---

(١) سورة النور: من الآية: ٦٤ .

هكذا بدأت مسيرة إنكار سنة رسول الله ﷺ والشغب عليها ورفض اعتبارها مصدراً تشريعيًا كالقرآن، والخروج على طاعة رسول الله ﷺ بدأت مسيرة الضلال هذه على أيدي الخوارج والشيعة (الرافضة)، ثم تلقفها منهم وسار على ضلالهم طوائف من المتكلمين وأشهرهم في هذا الباب المعتزلة، ثم استمرت مسيرة الضلال يسلمها ضال إلى ضال، ويأخذها ضال عن ضال، وقد افترقوا في ضلالهم إلى مذاهب وطوائف، فطائفة تنكر السنة النبوية المطهرة بجملتها، ما كان منها قولاً، وما كان عملاً، وما كان تقريراً، ويعدون أقواله ﷺ وأفعاله مثل أقوال الناس وأفعالهم لا صلة لها بالدين من قريب أو من بعيد.

وطائفة تأخذ من السنة بما كان عملاً وتطرح ما كان قولاً، دون تمييز أو سند من شرع أو عقل يسوغ هذه التفرقة، فإن صاحب العمل هو نفسه صاحب القول - ﷺ. وطائفة ثالثة هي أقل الطوائف جرمًا في هذا الباب، ولكنها أعمها وأطمها وأكثرها عدداً، وما ذهبت إليه أعظم شيوعًا وذيوعًا، ذلكم الذين يقولون لا نأخذ من سنة رسول الله ﷺ إلا بما تواتر قولاً وعملاً، أما خبر الواحد فلا يأخذون به ولا يعتبرونه، ومن هؤلاء من يرفضه جملة، ومنهم من يرفضه في العقائد.

وقد ظلت مسيرة الضلال هذه تنتقل عبر التاريخ بطوائفها المختلفة وعلى مستوى الأمة المسلمة شرقًا وغربًا، حتى كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث نبتت نابتة سوء بين المسلمين في بلاد الهند، وذلك بنشأة ما سمي بطائفة "القرآنيون" تلك الطائفة التي زعمت الاعتماد على القرآن وحده، وطرح السنة النبوية المطهرة، وأخذت تدعو إلى نحلتها بهمة ونشاط تحت رعاية الاستعمار الإنجليزي، ثم انتقلت من الهند إلى باكستان - بعد

التقسيم – تحت مسمى "البرويزيين" (١).

❑❑❑❑

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٢٧).

الفصل الثاني: المشككون للسنة في العصر الحديث.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

التعريف بطائفة القرآنيين، وعوامل نشأتهم ببلاد الهند(١).

مدخل

ما إنْ حل القرن الثالث عشر الهجري حتى دبت الحياة في هذه الفتنة (فتنة إنكار السُنَّة وحُجِيَّتها) من جديد فكانت ولادتها في العراق وترعرعت في الهند، وإنِّ بدايتها لتعود في الهند إلى سيد أحمد خان ومولوي جراغ علي، ثم كان فارسها المقدام مولوي عبد الله جكرالوي ثم تَسَلَّمَ الراية مولوي أحمد دين امرتسري ثم تقدم بها مولانا أسلم جراجيوري وأخيرًا تولى رياستها غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلى ساحل الضلال(٢).

---

(١) السنة في مواجهة الأباطيل، التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم.

(٢) من كلام المودودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما ورد في سنت كي اءيني حيثيت ": ص ١٦، نقلا عن: السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٧٦) لمحمد طاهر بن حكيم غلام رسول.

علاقة الإنجليز بنشأة فرقة القرآنيين بالهند:

لقد أظهرت الوثائق الرسمية البريطانية التي رفعت عنها السرية، خاصة وثائق الخارجية والمخابرات، مدى تآمر الحكومة البريطانية مع أهم قادة فرقة القرآنيين بالهند، منهم: السير أحمد خان الهندي، الذي منح لقب "سير" من قبل السلطات البريطانية تكريما له، والذي يرى أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي يجب أن نستقي منه أحكام الشريعة، والأحاديث لا يعتد بها في هذا الشأن لتأخر تدوينها، ولأن أكثريتها أحاديث آحاد لا تفيد يقينا

قال مارك كورتيس صاحب كتاب التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين[١]:

---

(١) الكتاب: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، المؤلف: مارك كورتيس، المترجم: كمال السيد، الناشر: المركز القومى للترجمة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر:٢٠١٢ م، عدد الصفحات:٥٧٥.

يستند هذا الكتاب على الوثائق الرسمية البريطانية التي رفعت عنها السرية، خاصة وثائق الخارجية والمخابرات، ليفضح تآمر الحكومة البريطانية مع المتطرفين والإرهابيين، دولا وجماعات وأفرادا، في أفغانستان وإيران والعراق وليبيا والبلقان وسوريا وإندونيسيا ومصر وبلدان رابطة الدول المستقلة حديثا، وحتى في نيجيريا التي تآمرت بريطانيا على خلافة سوكوتو فيها في أوائل القرن العشرين مع متأسلمين هناك، وذلك لتحقيق مصالحها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

ويعرض أيضا بالوقائع والتفاصيل الموثقة أن المصلحة الخاصة كانت هي الأساس في سياسة بريطانيا الخارجية، وأن المبادئ والقيم ليس لها مكان فيها، وأنها استندت في ذلك أساسا على سياسة فرق تسد، وتقلبت في التعامل مع

كل الأطراف المتضاربة. كما يوضح أيضا كم كانت بريطانيا ماهرة وماكرة في التلاعب بكل الأطراف، وأن أكثر من استغلتهم ثم نبذتهم عندما لم يعد لهم جدوى وانتفى الغرض، =

هناك قدر كبير من الأدلة يدعم وجهة النظر القائلة بأن بريطانيا استغلت حقا "الورقة الإسلامية" لتحقيق أهدافها الخاصة، ففي ١٨٨٦، نظمت مجموعة من مسلمي شمال الهند، بقيادة المربي والمصلح الاجتماعي سيد أحمد خان، المؤتمر التربوي المحمدي لعموم الهند بغية بناء جسور بين الإسلام والعلم، وبين المسلمين والدولة الاستعمارية. وأصر المؤتمر الذي عرف باسم حركة اليغار باسم المدينة التي تأسس فيها في ولاية أوتار براديش الحالية، على عدم تأييد المؤتمر الوطني الهندي، وهو تنظيم الدعوة القومية الهندية – وبذلك ذكي نفسه لدى المسئولين المستعمرين، الذين زودوه بدعم معنوي ومادي. وفي ١٩٠٩، طالب نواب الحركة، وهم أساسا من ملاك الأراضي من أعيان المسلمين، نائب الملك، اللورد منتو، بأن يكون للمسلمين تمثيل سياسي خاص في المجالس التشريعية الإقليمية الجديدة التي أعلن عنها البريطانيون؛ وتم إنشاء دوائر انتخابية مستقلة في حينه من أجل المسلمين الذين انتخبوا نوابا من طائفتهم، ومنحت لهم مقاعد إضافية علاوة على نسبتهم من السكان، في أقاليم بعينها. وبذلك كفل منتو استمرار ولاء النخبة المسلمة؛ وقد سجلت زوجته في يومياتها أن زوجها حال دون انضمام اثنين وستين مليون شخص لصفوف المعارضة الداعية للفتنة". وفي ٢٠ ديسمبر من العام نفسه، أفرزت حركة اليغار، الرابطة الإسلامية، وكان البند الأول لديها هو تشجيع مشاعر الولاء للحكومة البريطانية بين المسلمين". ونالت الرابطة الحظوة لدى

=

هم المتأسلمون،

SECRET AFFAIRS
Britain's Collusion with RADICAL ISLAM
MARK CURTIS

المسئولين البريطانيين؛ وبعدئذ كتب رامزي ماكدونالد عضو البرلمان عن حزب العمال ورئيس الوزراء فيما بعد في كتاب أصدره في ١٩١٠ بعنوان إيقاظ الهند، أن زعماء الرابطة يستمدون الإلهام من مسئولين أنجلو هنود بعينهم وأن هؤلاء المسئولين يوجهون الدمى المتحركة في سيملا [العاصمة الصيفية" الاستعمارية في شمال الهند)"[١].

ورغم خطط ومؤامرات الإنجليز الكثيرة ضد المسلمين، إلا أنهم تميزوا بخطة معينة أحكموها وبرعوا فيها، وقد حققت لهم أغراضهم وأهدافهم من تفريق صفوف المسلمين، وإضعاف شوكتهم، وبث النزاع بين طوائفهم. وكانت خطتهم تلك تقوم على أن يستقطبوا أشخاصًا من المسلمين، يرون فيهم قبولاً لبيع دينهم وأمتهم مقابل السلطة والمال، فيجندونهم للعمل ضد الإسلام والمسلمين، وكانت خطتهم التي يرسمونها لعملائهم واحدة، حيث يبدأ هؤلاء العملاء بالتظاهر بالإسلام، والحرص عليه، والدعوة إليه، والكتابة فيه، حتى إذ اشتهر أمرهم، والتف الناس حولهم. بدؤوا ينفذون خطة الإنجليز، التي رسموها لهم، وبدؤوا ببذر بذور الشك في عقيدة الإسلام، ثم في شريعته، ثم – وتحت دعواهم الحرص على الإسلام – يبثون سمومهم، فمنهم من يدعي النبوة مثل: "ميرزا غلام أحمد القادياني" – لعنه الله – ومنهم من يدعي حب رسول الله ﷺ فيخلع على النبي – بهذه الحجة – بعض صفات الله سبحانه، وذلك مثل "أحمد رضا خان" ومنهم من يدعي أنه مجدد القرن مثل: " أحمد خان " الذي أخلص للإنجليز إلى حد أن باع دينه، وضحى بأمته في مقابل ولائه

---

(١)التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين (ص: ١٣٠).

المطلق للإنجليز [١].

ويقف الدكتور محمد البهي متصديا للأفكار الهدامة وفاضحا الاستعمار ودوره في المجتمعات الإسلامية في الهند، فيقول:

"ما أن باشر النفوذ الغربي سلطته في رقعة الشرق الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حتى ابتدأ يعمل على تخلف المسلمين، وعلى تنفيس الحقد الصليبي.

وليس له هنا طريق آخر لتحقيق هذه الغاية، سوى تناول "مادة التوجيه" المحلية، وجعلها غير صالحة.. ولم يكن هناك في توجيه الشرق الإسلامي سوى الإسلام، والتراث الإسلامي الذي خلفه المسلمون في شرح إسلامهم.

- فإفساد الإسلام والتراث الإسلام إذن، غرض أول للمستعمر الغربي.

- واختار وسيلته لذلك فيما أبرزه من المفارقة بين الغرب والشرق، من تقدم الأول وتأخر الثاني.

- وابتدأ "العلم" وابتدأت "الدراسة" هناك تبحث عن أسباب هذه المفارقة، وتركزت الاسباب أخيرًا في المقابلة بين المسيحية والإسلام ... المسيحية دين المتقدمين، والإسلام دين المتخلفين!!

وهناك قام بعض المسلمين ينادي باتباع الغرب فيما وصل إليه من حضارة صناعية وفكر طبيعي ... ولكن لا يكون هذا الاتباع مثمرا للشرق الإسلامي إلا إذا اتخذ موقفا من الإسلام يقربه من المسيحية!!

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٢٨).

وعلى أساس هذا التقريب قامت حركة السيد "أحمد خان" في الهند التي سماها "تجديدا" وقامت حركة أخرى بعدها، هي حركة "ميرزا غلام أحمد" أخذت طابع الدين والعقيدة ... وقصدت هاتان الحركتان إلى "تأويل" ما في الإسلام مما يخالف المسيحية، وعلى الأخص ما يدعو إلى الاحتفاظ بـ"الشخصية الإسلامية" وباستقلال الجماعة الإسلامية، وعاون المستعمر الغربي هاتين الحركتين بوسائل مختلفة؛ لأن في نجاحهما بين المسلمين ما يحقق له تحويل مادة "التوجيه" في العالم الإسلامي إلى مادة غير صالحة" [١].

أهم قادة فرقة القرآنيين بالهند:

أولاً: السيد أحمد خان:

اسمه ومولده:

الرجل الشهير أحمد بن المتقي بن الهادي بن عماد بن برهان الحسيني التقوي الدهلوي.

كان من مشاهير الشرق، لم يكن مثله في زمانه في الدهاء ورزانة العقل، وجودة القريحة، وقوة النفس والشهامة والفطنة بدقائق الأمور، وجودة التدبير، وإلقاء الخطبة على الناس، والمعرفة بمواقع الخطبة على حسب الحوادث، والتفرس من الوجوه، وقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل، وصار أمره في حياته أحدوثة، وجرت فتن عديدة.

ولد في مدينة دهلي في أكتوبر ١٨١٧م. الموافق الخامس من ذي الحجة سنة

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (ص: ١٧).

١٢٣٢ هـ، بدهلي، وتربى في حجر أمه وجده لأمه خواجه فريد الدين.

بدأ دراسته بالقرآن الكريم، ثم تعلم العربية والفارسية، ثم درس العلوم الدينية، وعندما توفي والده، وكان في الحادية والعشرين من عمره التحق للعمل بشركة الهند الشرقية، وكان ذلك بداية اتصاله بالإنجليز الذين أعجبوا بذكائه وطموحه، ورأوا فيه ضالتهم التي يبحثون عنها.

عبادته:

كان قليل العلم، قليل العمل، لا يصلي ولا يصوم غالباً.

نشأته:

وشأنه عجيب كل العجب، فإنه كان في بداية أمره على مذهب المشايخ النقشبندية، لأنه نشأ فيهم، وكان والده محمد المتقي من أصحاب الشيخ غلام علي الدهلوي، وأمه عزيز النساء بنت فريد الدين الكشميري الوزير كانت بايعت السيد الإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد السعيد البريلوي، فصنف الرسائل في إثبات الرابطة وتصور الشيخ، وفي إثبات عمل المولد، وكان الناس يبدعونه في ذلك الحال، ثم رغب إلى طائفة السيد الإمام ومختاراته، وصنف الرسائل في الانتصار له، فنسبه الناس إلى الوهابية، ثم ارتقى إلى ذروة التحقيق والاجتهاد في المذهب، وصدرت منه الأقاويل في تفسير القرآن الكريم، وفي تهذيب الأخلاق، فكفره الناس، وبعضهم بدعوه، ونسبوه إلى نيجر، وهي كلمة انكليزية، معناه الفطرة، لقوله: الإسلام هو الفطرة، والفطرة هي الإسلام.

ارتباطه بالإنجليز:

ثم تقرب إلى بعض متوسلي الحكومة الإنكليزية، وولي التحرير في ديوان

الحاكم لأقطاع آكره، وبعد مدة ولي القضاء لفتحبور سيكري، فصار صدر أمين واستقل بالقضاء أربع سنوات، ولقبه في هذه السنين بهادر شاه بن أكبر شاه بن شاه عالم التيموري جواد الدولة عارف جنك ثم نقل من فتحبور إلى دهلي، وسنحت له فرصة للأخذ والقراءة، فقرأ القدوري وشرح الوقاية وأصول الشاشي ونور الأنوار وبعض كتب أخرى على مولانا نوازش على الدهلوي، وقرأ بعض المقامات من مقامات الحريري وبعض القصائد من السبع المعلقات على مولانا فيض الحسن السهارنبوري، وقرأ مشكاة المصابيح وقدراً صالحاً من جامع الترمذي وبعضاً من صحيح مسلم على مولانا مخصوص الله بن رفيع الدين العمري الدهلوي وأسند عنه القرآن الكريم، وصنف آثار الصناديد كتاباً في تاريخ دهلي، وتجشم الصعوبة في تصنيفه سنة ١٢٦٤ هـ، فتلقاه الناس بالقبول.

نصرته للإنجليز في الثورة ببلاد الهند:

نقل من دهلي إلى بجنور سنة ١٢٧٢ هـ، وكان في بجنور إذ ثارت الفتنة العظيمة ببلاد الهند وثارت العساكر الإنكليزية على الحكومة سنة ١٢٧٣ هـ،

فقام على ساق لنصرة الحكومة الإنكليزية، فلما تسلطت الحكومة مرة ثانية رتبت له مائتي ربية شهرية له إلى حياته، وبعده لولده الكبير حامد بن أحمد الدهلوي إلى حياته، وجعلته صدر الصدور ببلدة مراد آباد، وهو عبارة عن نيابة القاضي في إحدى المتصرفيات، فسار إلى مراد آباد سنة ١٢٧٥ هـ، واشتهر أمره في الهند، وظهر فضله بين أهلها عند الحكومة الإنكليزية.

مصنفاته:

١ - صنف الرسائل في أسباب الثورة والخروج.

٢ - صنف تفسير الإنجيل وسماه تبيين الكلام، ولكنه لم يتم، واجتهد فيه في تقريب دين الإسلام إلى دين النصارى.

٣ - أنشأ بغازيبور سنة ١٢٧٩ هـ مجمعًا علميًا لنقل الكتب العلمية والتاريخية من اللغة الإفرنجية إلى لغة أهل البلد يسمونها أردو، وحرض أهل تلك البلدة من المسلمين والهنادك لإنشاء مدرسة إنكليزية، فأنشأوها وسموها وكلوريه اسكول على اسم ملكة إنكلترا.

٤ - ثم نقل من غازيبور إلى عليكزه سنة ١٢٨١ هـ، فنقل معه ما كان للمجمع العلمي من الآلات والأدوات إلى عليكزه، وجمع الناس عليه، وجمع الإعانات له، وبنى بناء شامخًا لإدارته، فنقل أكثر الكتب المفيدة إلى أردو من العربية والإنكليزية، وأنشأ من تلك الرابطة العلمية صحيفة أسبوعية لإصلاح أهل الهند، ونقل من عليكزه إلى بلدة بنارس سنة ١٢٨٤ هـ.

٥ - صنف كتابًا في حل طعام أهل الكتاب والمؤاكلة معهم سنة ١٢٨٥ هـ.

٦ - سافر مع ولديه حامد ومحمود إلى جزائر بريطانيا سنة ١٢٨٦ هـ وأقام في العاصمة سنة وخمسة أشهر، زار في خلالها المراكز الثقافية والمجامع العلمية وبعض الجامعات الشهيرة والمصانع والمعامل الكبيرة، واطلع على المشاريع التعليمية والفنية، ولقي الأساتذة الكبار وأعيان الدولة، وقابل الملكة فكتوريا واحتفت به الدوائر الرسمية وصنف بها الخطبات الأحمدية في السيرة النبوية وشرح لعقيدة الإسلامية، ورد ما أورده السر وليم ميور على السيرة ومهاجمته للاسلام وصاحب رسالته، في كتابه الشهير حياة محمد[١]

(١)الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨/ ١١٧٧).

٧ - رجع إلى الهند سنة ١٢٩٢ هـ، وأنشأ مجلة تهذيب الأخلاق، وفشا أمره في الناس، فكفره قوم من العلماء لأقاويل صدرت منه في المجلة وتبعه الآخرون، وشرع

في تصنيف تفسير القرآن، واحتضن المدرسة التي أسسها المولوي سميع الله خان باتفاقه وتوجيهه للمسلمين بعلي كزه، أصبحت بعده بمدة الجامعة الإسلامية سنة ١٢٩٢ هـ وسكن بتلك البلدة، وطلب من الحكومة أن يحال إلى المعاش، وأجيب إلى ذلك، فانتقل إلى عليكزه، ووهب لهذه المدرسة التي توسعت بعد حياته واشتهرت باسم جامعة عليكزه الإسلامية ذكاءه ونفوذه ومواهبه كلها، وانصرف إليها انصرافًا كليًا يرغب فيها جميع طبقات المسلمين، ويجمع لها التبرعات والإعانات بكل وسيلة وحيلة، ويختار لها الأساتذة الماهرين من الإنجليز وغيرهم، ويبني لها البنايات العظيمة، ويقوم لتعريفها والدعوة إليها بالجولات في أنحاء الهند، ويقوم بالدعوة إلى التعليم العصري واقتباس الحضارة الغربية وعادات الغربيين، ويكتب ويؤلف ويشير على الحكومة بما يراه صالحًا لها وللمسلمين، ويشارك في تشريع بعض القوانين وتهذيبها، ويخطب في المجلس التشريعي.

٨ - أسس في سنة ١٣٠٤هـ المؤتمر التعليمي الإسلامي لمساعدة المسلمين في الاستفادة بالتعليم الحديث وتوجيههم، وعارض المؤتمر الوطني العام، ودعا المسلمين إلى التنحي عنه والعمل لوحدهم متمسكًا بقلة عددهم، وتخلفهم في مجال السياسة والثقافة، وقرب العهد بالثورة التي أثارت حولهم الشبهات.

٩ - منحته الحكومة سنة ١٣٠٦ هـ وسامًا ممتازاً يسمى نجم الهند ولقبته

ب كي. سي. ايس. آئي. ومنحته جامعة ايدمبرا الدكتوراه الفخرية في سنة ١٣٠٧ هـ، ونشأ بينه وبين أعضاء المجلس التأسيسي للمدرسة خلاف في بعض القضايا الإدارية، وعارضه صديقه القديم، وعضده الأيمن في تأسيس المدرسة المولوي سميع الله خان في اختياره نجله القاضي سيد محمود سكرتيراً مساعداً لِلّجنة، فانفصل سميع الله وزملاؤه عن المجلس، واستقالوا عن العضوية، وكان لذلك الأثر العميق في نفس السيد أحمد خان وأعصابه، وتأثرت صحته، وحدث أن الكاتب الهندكي الذي كان يثق به السيد أحمد خان وجعله أمين الصندوق في الكلية تحققت عليه خيانة في مائة ألف وخمسة آلاف ربية بالتزوير، فكانت ضربة قاضية لم تحتملها أعصاب السيد أحمد خان وصحته، وتكدرت أيامه الأخيرة، ومات ابنه السيد حامد في سنة ١٣١٥ هـ، فانهارت صحته ولزم الصمت، واعتراه في غرة ذي القعدة ١٣١٥ هـ احتباس البول، وفي الرابع من ذي القعدة ١٣١٥ هـ أصابه الصداع الشديد والحمى، وفارق الحياة في الليل، ودفن بجوار مسجده الذي بناه في وسط الجامعة [١].

أهم آراء السيد أحمد خان:

١ - إجماع الأمة ليس بحجة شرعية.

٢ - الإيمان تصديق بالقلب، فإن أذعن أحد بالشهادتين في القلب فهو مؤمن ولو تشابه بقوم في خصوصيات الدين وشعار الكفر كالزنار والصليب والأعياد.

٣ - النبوة ملكة راسخة فطرية من باب تهذيب الأخلاق ملكة النبوة هي

---

(١)الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨/ ١١٧٨).

الناموس الأكبر، ويقال لها بلسان الشرع جبريل.

٤ – معجزات الأنبياء ليس من دلائل النبوة، وخفيت على الناس أسبابها فظنوا أنها خارقة للعادة.

٥ – الملائكة والشياطين ليست بأشخاص متحيزة بالذات المراد بالملائكة القوى الملكية، والمراد بالشياطين القوى البهيمية، فإنها موجودة في وجود الإنسان ليست خارجة عنهم.

٦ – القرآن ليس بمعجز في الفصاحة والبلاغة، لأنه ليس مما ألقى في قلب النبي ﷺ بلفظه، بل بمضمونه ومعناه.

٧ – المراد من قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ وقوله: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ التحدي في الهداية والتعليمات.

٨ – رؤية الله سبحانه لأحد من الناس محال، لا يقبله العقل.

٩ – الجنة والنار غير موجودتين في الخارج، بل المراد تخييل الراحة والعذاب بقدر فهم الإنسان.

١٠ – ليست في القرآن آية منسوخة التلاوة، أوالحكم.

١١ – لا رق في الإسلام.

١٢ – معراج النبي ﷺ ما كان جسمانيـًا، وكذلك شق الصدر، فإنهما كانا على طريق الرؤيا.

١٣ – نحن مجبورون في اتباع النبي ﷺ في الأمور الدينية، مختارون في الأمور الدنيوية.

١٤ – ما وقع التحريف اللفظي في الكتب السماوية.

١٥ – الخلافة بعد النبي ﷺ ما كانت خلافة النبوة.

١٦ – يحل أكل الطيور التي خنقها النصارى وطبخوها للأكل(١).

مآلات تشكيك السيد أحمد خان في السنة:

كان السيد أحمد خان من الذين أثروا في عصرهم وجيلهم تأثيراً لم يعرف لغيره من معاصريه، وقد أثر في عقلية أبناء عصره ومن جاء بعدهم وفي السياسة والأدب والإنشاء وحركة التأليف، وتخرج في مدرسته الفكرية – على ما فيها من ضعف وانحراف – رجال قادوا الحركة الفكرية والسياسية في شبة القارة الهندية، وكان على رقة في الدين وشذوذ في العقيدة شديد الحب للمسلمين، شديد التألم بما أصيبوا به، تواقـًا إلى تقدمهم وسبقهم في مضمار العلم والمدنية والرفاهية، يستخدم لذلك كل وسيلة وحيلة، وكان رجلاً مرهف الحس، حاد الذهن، عصبيـًا، سريع الانفعال والقبول، كثير الاعتداد برأيه، كثير الاعتماد على غيره، إذا أعجب به ووثق، شديد الإجلال للحضارة الغربية(٢).

ونهج السيد أحمد خان في تفسيره للقرآن منهجا يمليه عليه هواه، وهزيمته النفسية أمام الحضارة المادية الغربية، فلم يعبأ بدلالات الألفاظ، فأنكر الغيب وهي أول صفة ذكرها الله تعالى للمؤمنين في كتابه فتأول الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الملائكة والجن والشياطين، وأنكر الإجماع، وشكك في السنة

---

(١)الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨/ ١١٧٨).

(٢) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨/ ١١٧٨).

بدعوى التجديد.

ولقد كان لإشرافه على "الكلية الإنجليزية الشرقية المحمدية" التي خرجت الكثير من شباب الهند التقدميين، وتحولت الآن إلى "الجامعة الإسلامية" في الهند بعد تقسيم سنة ١٩٤٨م، وفيها تدرس المسيحية بالعناية التي يدرس بها الإسلام، مع أخذ حظ وافر من العلوم الحديثة والنظم الجامعية الغربية "الإنجليزية" الأثر الكبير في الهند وخارجها.

بل هذه النزعة التجديدية الدينية، أثرت بدورها فيما بعد في خلق المذهب "القادياني".

فحركة السيد أحمد خان، كانت تقوم على الافتنان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يمسى "العلم" "Science" وبالمركبات الحضارية التي قامت عليه. والافتتان بالعلم الطبيعي أو بالطبيعة كما يقال يؤدي إلى خفة وزن القيم الروحية والمثالية، وهي القيم التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التي يمثلها الإسلام أوضح تمثيل، وقد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعي إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد في الطبيعة ويدرك بالحس الإنساني. ومن هنا ربط السيد جمال الدين الأفغاني بين إلحاد السيد أحمد خان ومذهبه الدهري أو الطبيعي، مع بقاء انتسابه إلى الإسلام، ونعته بالإلحاد ... رغم ما كان يكرره "السيد أحمد خان" من القول بأنه يدافع عن الإسلام، وأنه يبغي أن يوجد طريقا للمسلم المعاصر، يوفق فيه بين إسلامه وتقبله الحياة العصرية التي قامت إثر نهضة العلم الطبيعي!!

وقد نهج السيد أحمد خان في تفسيره القرآن الكريم، على تطبيق آياته على

أساس طبيعي، مما يناقض تماما القول بالمعجزات وخوارق العادات، ولهذا جعل "النبوة" غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية، فهي غاية إنسانية طبيعية، وطريقها طريق إنساني غير خارق للعادة! ولكنه مع ذلك يقر ختم الرسالة الإلهية ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وادعى أن السنة النبوية لم تدون لأمد طويل، ظلت ذلك الأمد حبيسة الصدور، مما هيأ الأمر للزيادة عليها والنقص منها وتغيير محتواها، ووضع الكثير منها، ونسبة الكل إلى رسول الله ﷺ مما أفقد الثقة في جميعها، وجعل الشك يشملها كلها وجعل الرجل كل ما وردت به السنة النبوية المطهرة من أوامر ونواه، وأخبار وأحكام، جعل كل ذلك أموراً استنباطية من علماء الحديث وشراح السنة وفقهاء المذاهب، ومن ثم لا يلزم المسلم الأخذ بها، أو الالتزام بما فيها، وذلك لأمرين، الأول: الشك في نسبة الأحاديث إلى رسول الله ﷺ لطول الفترة التي تركت فيها بلا تدوين - كما بينا قبلا، والثاني: لاحتمال ألا يكون العلماء قد فهموا مقصود النبي ﷺ (١).

الابتعاث ومخاطره:

ومن أخطر الآثار أن يعود المبعوث يحقق أغراض أعداء الأمة، فمن

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (ص: ٣٧)، يُنظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨/ ١١٧٨)، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي (ص: ٨١)، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٢٩)، السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٩١)، القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم (ص: ٤١)، مفهوم تجديد الدين" لبسطامي سعيد (ص١٢٠ وما بعدها).

المعلوم _ كما أشرنا _ أن حاجة المسلمين إلى العلوم التطبيقية حاجة ماسة، ومع ذلك فإن السيد أحمد خان وهو نموذج من المبتعثين _ كان يعارض في إنشاء دراسات علمية تجريبية في الجامعة التي أنشأها في الهند، وهو من الذين قضوا حقبة في بلاد الانكليز، وهو كما يقول الأستاذ الندوي : "أول مسلم هندي سافر إلى الجزائر البريطانية في هذا العهد المبكر، وقد عاد وهو من أشد الناس حماسة للدعوة للأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها .

قال في مقال نشره في "مجلة عليكرة" في تاريخ ١٩ فبراير سنة ١٨٩٨م:"إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنة ليست في حاجة إلى تعليم الصنائع، إن الأهم المقدم هو الثقافة الفكرية من المستوى الأعلى"، وقد عارض أن يكون مشروع تعليم العلوم الصناعية على حساب تعليم الآداب الإنجليزية والدراسات الأدبية" (١).

ثانيـًا: عبد الله جكرالوي:

هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوي نزيل لاهور، ولد في جكرالة بمقاطعة «ميانوالي» ببنجاب بالباكستان حوالي ١٨٣٠م في أسرة علم ودين. وتلقى علومه الأولية علي يد والده ثم في المدارس الأهلية المجاورة لبلدته وأخيرًا سافر إلى «دهلي» لدراسة الحديث الشريف على يد «ميان نذير حسين» المُحَدِّثُ الشهير، وبعد العودة من «دهلي» أصبح شيخًا من شيوخ (أهل الحديث) ودخل في مجال التأليف والنشر ولعل أول انحرافه عن جادة الحق

---

(١)الابتعاث ومخاطره (ص: ٢٧)، أبو لطفي، محمَّد بن لطفي، بن عبد اللطيف، بن عمر الصبَّاغ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

يعود تاريخه إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر عندما ناظره ابن عمه (القاضي قمر الدين) في أوائل هذا العقد بطرح معضلات أمام عبد الله في الحديث الشريف ما أوقعته في اللُّبْسِ فقال قولته المشهورة: «هذا هو القرآن المُوحَى به وحده من عند الله إلى محمد ﷺ وأنَّ ما عداه فليس بوحي». ثم شرع في تصنيف تفسيره للقرآن الكريم واتخذ لاهور مقرًا دائمًا لنشر دعوته الجديدة، وكان يجيد اللغة العربية وله باع طويل في علومها المختلفة وكان مُنَاظِرًا جَيِّدًا وَجَدَلِيًا بارعًا خَلَّفَ مؤلفات عديدة. مرض في بدلية ١٩١٢ م فنصحه الأطباء بمغادرة لاهور واختيار موضع آخر لسكناه حرصًا على صحته فانتقل إلى «ملتان» ثم إلى «ميانوالي» القريبة من جكرالة وظل طريح الفراش إلى أنْ أنخرته المنية سَنَةَ ١٩١٤ م [(١)].

جهود العلماء ضده:

بدأ عبد الله جكرالوي حركته ضد الإسلام فأنكر السنة النبوية جميعها، وألف جماعة سماها "أهل الذكر والقرآن" وكان هو رئيس هذه الجماعة، ونشط بشكل مكثف بالدعوة إلى نحلته الضالة التي تقوم على نبذ السنة النبوية، والزعم بأن القرآن كافٍ في قضايا الدين وأحكام والشريعة، وقال: إن الناس افترَوْا على النبيِّ وروَوْا عنه الأحاديث، وشرع لجماعته الذين سماهم أهل الذكر (الذكر هنا بمعنى القرآن، وليس بالمعنى المعروف عند الصوفية) طريقةً جديدة للصلاة، وقال: إن الأذان والإقامة بالشكل الذي يفعله المسلمون بدعة ... إلى غير ذلك من الأقوال الشريعة، وألف في ذلك الكتب الكثيرة، وكان مقر

(١) السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٧٧)، يُنظر: القرآنيون، نشأهم – عقائدهم – أدلتهم (ص: ٤٣)، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٣٣).

دعوته مدينة "لاهور" وهي في ذلك الوقت - بل في كل وقت - حاضرة العلم والعلماء.

وكان له العلماء بالمرصاد، حيث صاروا يفندون آراءه، وينشرون المقالات ضد نحلته، شارك في ذلك العلماء على الأصعدة كافة وعلى منابر المساجد، وقامت مجلة "إشاعة السنة" - نشر السنة - بالدور الأهم والأكثر تأثيرا، حيث جمعت آراءه الضالة، وفندتها، وبينت ما فيها من كفر وفسوق عن الملة، ثم وضعتها على بساط البحث بين أيدي العلماء، ووجهت النداءات إلى جميع العلماء لإبداء آرائهم، وإصدار أحكام الشريعة في هذا الذي يعتنق مثل هذه الآراء الكُفْرية وهل يكون مؤمناً مسلما مع اعتناقه هذه الأفكار التي تقوم على الكفر بالسنة كلها؟.

فما كان من العلماء إلا أن أفتوا بكفره وفسوقه عن الإسلام. أفتى بذلك الكثرة الكاثرة من علماء الهند بأقطارها كافة. ثم قامت المجلة "إشاعة السنة" نفسها بنشر عشرات التوقيعات لعلماء الدين المشاهير في الهند الذين يعلنون أن "عبد الله جكرالوي" كافر بالدين، مقطوع الصلة بالإسلام، خارج عن جماعة المسلمين.

لكن الرجل ظل على ضلالته من الكفر بسنة رسول الله ﷺ والدعوة إلى نبذها وعدم العمل بها، حتى أخذه الموت سنة أربع عشرة وتسعمائة وألف، بعد عمر طويل قضاه في حرب الله ورسوله والإسلام عليه من الله ما يستحق[١].

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٣٨)، يُنظر: القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم (ص: ٤٣).

صلة عبد الله جكرالوي بالإنجليز:

يبدو أن انقلاب الرجل من مناصر للإسلام إلى عدو للإسلام والمسلمين، قد لفت أنظار المستعمرين الإنجليز إليه، وما كان لِعَيْن الإنجليز الفاحصة الباحثة عن أعداء الإسلام والمسلمين لتستغلهم وتوجههم وترعاهم لتخطئ هذا الرجل، وقد لفت الأنظار إليه بانقلابه الهائل المفاجئ للناس، وبذلك بدأت صلته بالإنجليز واستغلالهم إياه، ونحن لا ندري أكانت صلته بهم هي التي ساعدت على انقلابه ضد سنة النبي ﷺ والإسلام، أم أن انقلابه هو الذي أهله لهذه الصلة الضالة؟

وسيرة الإنجليز ومنهجهم بالهند، عبر مئات الأشخاص من أمثال عبد الله جكرالوي تؤكد أنهم وراء كل شخص من هؤلاء، بل إنهم يبحثون عنهم ويشكلون فكرهم واتجاهاتهم، والمحققون من أمثال"محمد علي قصوري"يرى أن الحكومة البريطانية كان لها يد وراء الحركتين: القاديانية، والجكرالوية. حيث يقول: إن الحكومة البريطانية تمكنت من اصطياد بعض الشخصيات الإسلامية، وإيقاعها في شبكة التحريف ضد الإسلام، فحرضتهم على القيام بأعمال تفقد الثقة في السنة النبوية الشريفة، وكان على رأس هؤلاء جميعاً "عبد الله جكرالوي"، وجاء التأييد يصل إليه من المبشرين المسيحيين - المنصرين - وتعده بالمساعدات المالية، وتشكره على هذا المجهود الجبار"[١].

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٣٧)، ينظر: القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم (ص: ٤٣)

مريم جميلة زوجة الجكرالوي وابنته تحملان راية الضلال بعده:

مريم جميلة زوجة عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، الذي دعا الناس إلى مذهب جديد سمى أتباعه «أهل الذكر والقرآن» وأنكر الأحاديث قاطبة، وصنف الرسائل في ذلك، وقد توفي سنة ١٩١٨ م.

وكانت ذات ثقافة واسعة، وقد تزوجها في أواخر حياته عند بلوغ الثمانين، وتفانت في خدمته على الرغم من التفاوت الكبير بين سنّيهما وثقافتيهما، وكانت تقول بمثل قول زوجها وتعتقد كمعتقداته، ولولا أنوثتها لخلّفته في قيادة الفرقة. وقد توفيت سنة ١٩٧٨ م، وقد رزقت منه بابنة ذكية فاقت أمها في الثقافة والعلم، ولها ثانوية خاصة للبنات في «أيبت آباد» بباكستان، ولم تزل متمسكة بأفكار أبيها، وتقوم بغرسها في أذهان بنات المسلمين [١].

مؤلفاته:

له مؤلفات عديدة وكلها باللغة الأردية وقد بيّن د خادم بخش في رسالته بالماجستير أن بحث عن كتب الجاكرالوي ولكن لا وجود لشئ منها في الأسواق المعاصرة، ويندر وجودها في المكتبات القديمة العامة ولعل ذلك لشدة الغيرة الإسلامية من المسلمين؛ حفاظا على الأجيال الإسلامية القادمة .

ومن خلال بحثه عن كتب عبد الله توصل أن مكتبة "ربوة" القاديانية هي

(١) تتمة الأعلام – محمد خير رمضان (٣/ ٢٦٨)، وهي غير «مريم جميلة» الكاتبة الأمريكية التي أسلمت سنة ١٣٨١ هـ وتزوجت من باكستان وهاجرت إليها، ولها كتاب «رحلتي من الكفر إلى الإيمان» قصة إسلام الكاتبة الأمريكية المهتدية مريم جميلة/ محمد يحيى.– القاهرة: المختار الإسلامي، ١٤٠٥ هـ، ٢٥٤ ص.

المكتبة الوحيدة التي احتفظت بجل كتب عبد الله من بين المكتبات الباكستانية.

وقد كان له مؤلفات كثيرة – بترها الله تعالى – منها:

ـ تفسير القرآن بآيات الفرقان، في مجلد واحد.

ـ ترجمة القرآن بآيات الفرقان، في ثلاثة مجلدات ضخمة.

ـ رد النسخ المشهور في كلام الرب الغفور.

ـ البيان الصريح لإثبات كراهة التراويح.

ثالثـًا: أحمد الدِّين الأَمْرِتْسِرِي

هو الخواجة أحمد الدين بن الخواجة ميان محمد بن محمد إبراهيم الأمر تسري. نسبة إلى مدينة "أمرتسر" التي ولد بها سنة ١٨٦١م، وبعد ولادته حمله والده إلى شيخه فمسح الشيخ رأس الطفل ودعا له وسماه باسمه هذا. وقد بدأ أحمد الدين تعليمه بالقرآن المجيد، ثم العلوم الدينية عند بعض المشتغلين بذلك، ثم التحق بمدرسة المبشرين – المنصرين – فدرس هناك كتاب النصارى المقدس وبعض العلوم العصرية – ثم اعتمد بعد ذلك على جهوده الخاصة في اكتساب العلوم والمعارف، مما مكنه من تحصيل كثير من العلوم الحديثة كالتاريخ والجغرافيا والفلك والاقتصاد والمنطق والرياضيات بجانب العلوم الإسلامية التي كانت عنايته الأولى، كذلك كان يجيد العربية والإنجليزية والفارسية والأردية وبعض اللهجات الإقليمية.

صلته بأفكار القرآنيين:

أ – صلته بأحمد خان:

كان للخواجة أحمد الدين صلة وثيقة بأفكار القرآنيين - منكري السنة - السابقين عليه، حيث قرأ لهم، واتصل بمن كان حياً منهم، وأخذ عنهم وتأثر بهم إلى حد أن السابقين عليه هم الذين وضعوا له نهج حياته ووجهوا أفكاره. فقد أخذ عن "السيد أحمد خان" إنكار السنة،

يقول "ضياء الله" الابن البكر لأحمد الدين الذي رتب ترجمة حياة أبيه حول هذه الصلة ما نصه: "يبدو أن أول من وضع أساس استدلاله على القرآن الكريم وحده هو "السيد أحمد خان" .. وقد قضت أفكاره على الجمود الذي ساور على عقول المسلمين، ثم نسج على منواله "عبد الله جكرالوي"، وظل الخواجة مدة يستفيد من أفكاره وأفكار عبد الله، ولأفكار الأخير تأثير بالغ في تعديل الوضع للسنة النبوية، فأصبح الذين كانوا يفضلونها على القرآن يجعلونها بعد القرآن" (١).

ب - صلته بعبد الله جكرالوي:

واتصل بعبد الله جكرالوي عبر زيارات متوالية، وأخذ عنه أفكاره، وكان أشد مكراً من عبد الله، وحينما نشر عبد الله كتابه (صلاة القرآن) نصحه بعدم التصريح بإنكاره للسنة، واختراع الفرائض والعبادات التي لا يعرفها المسلمون زاعماً أنه استقاها من القرآن، وأثناء النقاش حضرت صلاة العصر فصلى الخواجة على الطريقة الجكرالوية.

كذلك كانت له صلة بمحمد إقبال، وكان كثير الاجتماع به، والمباحثة معه،

---

(١)مجلة "بلاغ" (ص ٨٨) عدد سبتمبر ١٩٣٦ م العدد الخاص بترجمة أحمد الدين، نقلا عن «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش (ص ٣٥).

مما ألقى ظلالاً على محمد إقبال توهم تأثر إقبال بفكر القرآنيين، وأنه مال معهم إلى إنكار السنة. كذلك كانت له صلة بميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الديانة القاديانية، ومن المأثور أنه لم يكن يشدد النكير على القادياني ولا غيره، بل كان يحضر له دروسه ولغيره ممن يخالفونه الفكر والعقيدة.

دعوته إلى نحلته:

بدأ الخواجة أحمد الدين نشاطه بالتدريس والكتابة، وكان يتسم باللين والهدوء، مما جعل الكثيرين يقبلون على سماعه وحضور درسه، ثم أسس جماعته الخاصة وسماها: "أمة مسلمة" عام ١٩٢٦م ثم أنشأ مجلة تتكلم باسم الجماعة وتنشر أفكارها وآراءها، مما جعل الكثيرين ينضمون لجماعته متأثرين بأسلوبه الهادئ، وكان يميل إلى التورية وعدم المواجهة، إضافة إلى لينه وهدوء أسلوبه، وقدرته على الإقناع، هذا وقد شمر أعضاء "أمة مسلمة" عن ساعد الجد فأخذوا يطبعون الكتب على حسابهم الخاص كل ذلك كان له الأثر في انضمام فئات المثقفين من أساتذة الجامعات والمدرسين وغيرهم إلى جماعته، وحماستهم لنشر أفكاره بالكتابة والتأليف والنشر، كل هذه العوامل جعلت المناخ مواتياً لنشر أفكار "الخواجة أحمد الدين" وكثرة أتباعه.

وفاته:

وفي سنة ١٩٣٣م ماتت زوجته فأثر ذلك في صحته وتدهورت وتوفي في يونيه سنة ١٩٣٦م[١].

---

(١)«القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش،من:(ص٣٣:ص٣٩)، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية لمزروعة (ص: ٣٨) (ص: ٣٩،٤٠).

ومن مؤلفاته:

معجزة القرآن، وتفسير بيان للناس وهو في ٧ مجلدات، ووصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾(١).

رابعا حافظ محمد أسلم جراجبوري:

٣ـ هو الحافظ محمد أسلم جراجبوري، ولد في جراجبور سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٠م) بالهند، حفظ القرآن في التاسعة من عمره؛ فلذلك لقب بالحافظ، ولم يدرس في مدرسة منتظمة ولكن شغفه الشديد بالعلم والمطالعة سما به إلى مكان مرموق.

وفي سنة ١٩٠٣ م أصبح كاتبًا لأحد الأعمدة الرئيسية لصحيفة بيسة اليومية التي كانت تصدر في لاهور بباكستان، ومن هنا ذاع صيته.

أما صلته بالخواجة أحمد الدين وتأثره بأفكاره فتبدو واضحة في ترجمته كتاب الخواجة (معجزة قرآن)، واعترض كذلك على المواريث فألف كتاب (محجوب الإرث). وعمل وقد عمل محاضرا بجامعة عليكرة التي أسسها السيد أحمد خان.

من مؤلفاته:

الوراثة في الإسلام، حياة عمرو بن العاص، تاريخ نجد، تاريخ القرآن، تاريخ الأمة الإسلامية، عقائد الإسلام.

---

(١) سورة القصص، من الآية: ٨٨.

وفاته:

بعد قيام دولة باكستان ١٩٤٧ م هاجر إليها لطلب تلميذه البار (برويز) توفي في نهاية، لكنه عاد إلى الهند بعد مدة قصيرة لعدم وجود جو مناسب له.

ومرض في مارس ١٩٥٥م، ثم أخذ يشتد به حتى لقى حتفه في ديسمبر ١٩٥٥م ليلقى جزاء أعماله(١).

رابعـًا: غلام أحمد برويز:

نشأته:

هو غلام أحمد برويز بن فضل دين بن رحيم بخش. ولد في يوليه من عام ١٩٠٣م في بلدة بَتَاله القريبة من قاديان بإقليم البنجاب بالهند. وقد تلقى علومه الدينية على يد جده الصوفي، ثم أكمل بالمدارس النظامية، وقد اتجه إلى الوظائف الحكومية قبل أن يكمل تعليمه الثانوي، فقضى حياته الوظيفية بالمطبعة الحكومية حيث وصل إلى وظيفة مدير المطبعة (٢).

صلته بعقائد القرآنيين:

كان اتصال غلام أحمد برويز بعقيدة القرآنيين في البداية عن طريق القراءة لآرائهم وأفكارهم ثم اتصل بأستاذه الفكري الحافظ محمد أسلم جراجبوري فتتلمذ عليه، وورث منه جميع مخلفات الخواجة الفكرية حول السنة ولكن لم

---

(١) مجلة طلوع إسلام عدد ٧يناير ١٩٥٦م، نقلا عن «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش (ص ٤٥).

(٢) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش (ص ٤٧)، ينظر: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٤٠)

تكن الأرض خصبة لنشر أفكاره بين المسلمين آنذاك لكثرة ما كانت تكتظ به دهلي من العلماء والتغيرات السياسية التي أوشكت أن تحل بالمسلمين وقتئذ من جهة أخرى فبقيت أفكاره تختلج في صدره حتى نالت باكستان استقلالها فجاءها مهاجرا كبقية المسلمين واتخذ كراتشي مقرا مؤقتا لنشر دعوته[(١)].

فكره ونشاطه للدعوة:

في سنة ١٩٣٨م أصدر نذير أحمد بتمويل من صديقه برويز مجلة "طلوع إسلام" وازداد الإقبال عليها لدى الأوساط الإسلامية لحمايتها فكرة (العصبة الإسلامية) التي كان يتزعمها محمد علي جناح للحصول على دولة مستقلة للمسلمين، وبعد الاستقلال انتقل برويز من الهند إلى باكستان مع مجلته (طلوع إسلام).

وصل إلى كراتشي ووجد إعانة من أرباب الحكم وأنشأ (نوادي طلوع إسلام) وعمّ ذكره في باكستان والدول العربية والأوروبية والأمريكية وأخذ الناس يهرعون للانضمام لدعوته.

وأخذت أجهزة الإعلام للدولة تكيل له المدح كيلا والسبب في ذلك ملاءمة الأفكار البرويزية لكل حاكم، فمركز الملة عند برويز يتولاه كل من تمكن منه، وقد منح لهذا المركز سلطات تشريعية واسعة من الحظر والإباحة والإجبار وهذا ما يبتغيه كل حاكم لبقائه في الحكم.

وامتاز برويز بالاطلاع الواسع على الأفكار الأوروبية ويرى وجوب صبغ

---

(١) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش (ص ٤٧: ص٥٥)، ينظر: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٤٤: ص ٥٥).

الإسلام بها مع اعتقاده أن النظريات العلمية لا تقبل المناقشة؛ لذا يجب تفسير القرآن بمقتضاها.

موقف العلماء من أفكاره:

أصبحت مدينة لاهور منذ عام ١٩٥٨م مقرا لدعوة "طلوع إسلام"، فتصدى لهم المودودي فجعل مقر الجماعة الإسلامية بلاهور.

وفي سنة ١٩٦١م استفتى أركان المدرسة العربية الإسلامية بكراتشي علماء الإسلام في باكستان والهند والشام والحجاز عن حكم الإسلام في أفكار برويز، فأفتى ما لا يقل عن ألف عالم من علماء الدين من باكستان والهند والشام والحجاز بتكفيره وخرجه عن الإسلام(١).

طوائف القرآنيين في الوقت الحاضر:

بينا فيما سبق أشهر زعماء القرآنيين - منكري السنة النبوية المطهرة -، وقد ذهب هؤلاء وبقيت دعواتهم على هيئة فرق وطوائف تكونت على أساس من هذه الدعوات. وقد فعل الزمان والظروف فعلها في هذه الحركات، حيث تلاقحت الأفكار والمناهج، فتأثر هذا بذاك، واختلط بعض ببعض، وكان من ذلك بضعة طوائف ما تزال تتحرك على الساحة الإسلامية بباكستان والهند، وبعض البلاد الأوربية - وبخاصة انجلترا - التي يصل إليها صدى هذه الحركات عبر الذين يذهبون إلى هناك للدراسة أو العمل، وكثير من هؤلاء

---

(١) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، لخادم حسين إلهي بخش (ص٥٤)، ينظر: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٤٤).

تجنس بالجنسية البريطانية واستقر هناك. وسوف نشير إلى أشهر الطوائف التي ما تزال على الساحة، **ولها تأثيرها:**

أولاً: أمت مسلم أهل الذكر والقرآن، الأمة المسلمة أهل الذكر والقرآن:

هذه الطائفة تضم أتباع "عبد الله جكر الوى" الذي أسس حركته تحت اسم: "أمة مسلمة". وهذه الطائفة التي تمثل فكر "جكرالوي" و "الأمر تسرى" أخذها الضعف والوهن - بفضل الله سبحانه - وأضحى نشاطها محدوداً ومقصوراً على أعضائها القليلين نسبيا. ولهذه الطائفة "معابد" يتعبدون فيها على طريقتهم الكافرة التي لا يعرفها دين الله، ويسمون معابدهم هذه: "مساجد" إصراراً منهم على أنهم من المسلمين، بل على أنهم هم المسلمون. ومعابدهم هذه توجد في بعض المدن الباكستانية، والمعبد منها

لا يزيد على حجم الحجرة الواسعة، وهم يؤدون فيها صلاة الجمعة، وثلاث صلوات في كل يوم حسب عقيدتهم، وكل صلاة ركعتان، وفي كل ركعة سجدة واحدة، وهم لا يرفعون من الركوع، بل ينزلون منه إلى السجود مباشرة. وخطر هذه الطائفة قليل نسبيًا، كما أن الكثيرين من أتباعها قد انضموا إلى حركات أخرى مثل حركة: "طلوع إسلام" (١).

ثانيًا: طلوع إسلام، ظهور الإسلام:

هذه الحركة أسسها "غلام أحمد برويز" منذ كان بالهند، ثم صحبها معه إلى باكستان عند انتقاله إليها. وهذه الحركة هي أنشط حركات منكري سنة

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٤٦).

النبي ﷺ "القرآنيين" على الإطلاق، وأقواها وأخطرها، وهي الأكثر أتباعـًا. وقد زاد من أتباعها أنها قد ورثت الكثير من أتباع الطوائف الأخرى التي ضعفت، أو انتهت مثل طائفة " أهل الذكر والقرآن " التي أسسها "عبد الله جكر الوى".

وللطائفة مجلتها الشهيرة "طلوع إسلام" التي سميت الطائفة باسمها، ولها منتدياتها كذلك. ولها وجود مؤثر - نوعا - على الساحة الإسلامية بباكستان.

وقد ذكر د/ مزروعة أنه قابل بعضا من هذه الطائفة في مدينة "روالبندي" و"كراتشي" بباكستان، وقال: "إن أفكارهم ضحلة، ومعرفتهم بالإسلام متدنية، ورغبتهم في الوصول إلى الحق معدومة، وهم يستمسكون بما هم عليه من ضلال رغبة في التخلص من حدود الله، وأحكام الشرع، وإشباعـًا لشهواتهم دون شعور بالحرج. وذلك ما تضمنه لهم أفكار "برويز". وهذا ما يفسر لنا كثرة أتباعهم من الشباب ذكوراً وإناثـًا، وكذلك من المثقفين المتأثرين بالثقافة الغربية النصرانية"(١).

ثالثـًا: تحريك تعمير إنسانيَّت، حركة تثقيف الإنسانية:

وهذه حركة حديثة جداً تنتمي إلى أحد الأثرياء، وهو: "عبد الخالق ما لوادة" الذي أنشأ هذه الطائفة ورأسها وينفق عليها من ماله، وهو من الذين تأثروا بأفكار السابقين من منكري السنة، وبخاصة: "برويز"، ويسعى أن تنضم إليه كل الحركات القرآنية الأخرى

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٤٧).

وقد اتصل د خادم بخش بخطيب هذه الحركة ويُدعى: القاضي كفاية الله، ووصفه بأنه خطيب مفوه شاب نشيط دؤوب الحركة يجيد اللغة العربية ونادرا ما تجد خطيبا من خطباء الحركة القرآنية يجيد اللغة العربية، وله عدة كتيبات وتنفق الحركة بسخاء على طبع كتبه، ومنها: القرآن والعقل، شرح القرآن بالقرآن، القرآن والعلوم.

وقد ذكر د/ مزروعة أنه ذهب إلى باكستان أستاذا بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد، وذلك لأربع سنوات بين عامي ١٩٨٥،١٩٨١م، وهناك وجد الفرصة مواتية للتعرف على الطوائف الموجودة على الساحة هناك. وحدث أن قامت معركة دامية بين البريلويين والديوبنديين بأحد المساجد التابعة لإحدى الطائفتين، مما شد من عزمي - وبعض إخواني - إلى تحقيق ما عزمنا عليه. فبدأنا عن طريق بعض الأساتذة الباكستانيين الذين يعملون معنا بالجامعة بإعداد برنامج تمكنا به - بفضل الله تعالى - من الاتصال بأهم هذه الطوائف، وناظر منكري السنة هناك الذين يكفي عنوانا لهم هناك: "البرويزيون"(١).

هذه نبذه موجزة عن رؤساء طائفة منكري سنة رسول الله ﷺ وأشهر دعاتها، ثم عن أشهر طوائفها التي آل إليها أمر الدعوة إلى تلك الضلالة الكافرة، والتي تتسمى حركتهم: "القرآنيون".

❑❑❑❑

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٤٨) محمود محمد مزروعة، رئيس قسم العقيدة بالأزهر.

المبحث الثاني
المنكرون للسنة إجمالا ببلاد العرب

تمهيد:

يوضح الدكتور الأعظمي كيف نبت ونما فكر منكري السنة في بلاد العرب في أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين فيقول:

"في عهد الاستعمار بدأ المستعمرون ينشرون أفكارهم الخبيثة للقضاء على مقومات الإسلام، ومنها ترك الأحاديث النبوية ففي العراق وجد من دعا إلى نبذ السنة وفي مصر حدث مثل ذلك فالدكتور توفيق صدقي كتب مقالتين في مجلة المنار بعنوان (الإسلام هو القرآن وحده) واستدل بالآيات القرآنية لعدم الحاجة إلى السنة النبوية حسب زعمه.

وأيد السيد رشيد رضا الدكتور توفيق صدقي بكتاباته إلى حد كبير إذ قسم الأحاديث النبوية إلى قسمين: المتواتر وغير المتواتر وكان يرى رشيد رضا أن ما نقل إلينا بالتواتر كعدد ركعات الصلاة، والصوم، وما شاكل ذلك فهذا يجب قبوله ويسميه الدين العام أما ما نقل بغير هذه الصفة فهو دين خاص لسنا ملزمين بالأخذ عن ويبدو أنه رجع عن موقفه في آخر عمره كما يذكر الأستاذ مصطفى السباعي رحمه الله".

ويذكر الشيخ الأعظمي أن الأستاذ أحمد أمين كتب فصلا عن السنة النبوية في كتابه (فجر الإسلام) خلط فيه الحق بالباطل، وكذلك نشر إسماعيل أدهم

رسالة سنة ١٣٥٣هـ عن تاريخ السنة وقال:

الأحاديث الموجودة حتى في الصحيحين ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع.

بعد هؤلاء تسلم الراية أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية وخلط ما قال كل من إسماعيل أدهم وتوفيق صدقي ورشيد رضا، وذكر أبو رية أن السنة العملية للرسول ﷺ هي السنة المعترف بها.

أما بالنسبة لأحاديث الآحاد فيقول: "ومن صح عنده شيء منها رواية ودلالة عمل به ولا تجعل تشريعا عاما تلزمه الأمة إلزاما تقليدا لمن أخذ به"[١].

---

(١) دراسات في الحديث للأعظمي ١/ ٢٩ وما بعدها.

أولا: الدكتور توفيق صدقي(١)(٢):

نشر الدكتور - توفيق صدقي - مقالين في مجلة "المنار" تحت عنوان (الإسلام هو القرآن وحده) وأتى من الفلسفة العجيبة وقَرَّرَ هدم دعامة من دعائم الدين وادَّعَى اكتفاء ﷺ الاستنباط من القرآن الكريم وحده وزعم أنَّ السُنَّة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول ﷺ وأنها لو كانت عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها ولتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينم مُتَوَانٍ وَمُتَكَاسِلٍ أو مُثَبِّطٍ لهم.

ويزعم «أنَّ عدم كتابة شيء من الحديث إلا بعد عهده ﷺ بمدة، كاف في

---

(١)محمد توفيق صدقي(١٢٩٨ - ١٣٣٨ هـ = ١٨٨١ - ١٩٢٠ م)، طبيب مصري، من العلماء الباحثين في الإصلاح الإسلامي، تقلب في الوظائف الطبية إلى أن كان طبيب مصلحة السجون في القاهرة. وأولع بالأبحاث الدينية وتطبيقها على العلوم العصرية، فنشر مقالات كثيرة في المجلات والجرائد الراقية كالمنار والمؤيد واللواء والشعب والعلم بمصر. من كتبه (دين الله في كتب أنبيائه - ط) و (دروس سنن الكائنات - ط) جزان، و (الدين في نظر العقل الصحيح - ط) أول ما كتبه من المباحث الدينية، و (عقيدة الصلب والفداء - ط) و (الإسلام والرد على اللورد كرومر - ط) و (نظرة في كتب العهد الجديد - ط) ونشر أكثر كتبه تباعا في مجلة المنار (٢) الأعلام للزركلي (٦/ ٦٥) . فهو طبيب ليس من أهل الاختصاص بالعلوم الشرعية، نشر مقال: "الإسلام هو القرآن وحده"، بمجلة المنار، ينظر: مجلة المنار المجلد ٥٢١/٩، ٥٢٢، وكذلك ٩٠٨/٩، ٩٢٤.

(٢)السنة في مواجهة الأباطيل ينظر: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، حجية السنة وتاريخها، د. الحسين شواط، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد، دراسات في السنة النبوية للأعظمي.

حصول التلاعب والفساد الذي حصل» (١).

قل هذا إذا سَلَّمْنَا هذه الدعوى فكيف وقد ثبت ما يفيد كتابة الأحاديث في عهده ﷺ وأنه أذن في ذلك، كما سيأتي:

أجيب عن هذه الشبهة: إنَّ عدم كتابة شيء من الحديث في عهده ﷺ لا يفيد التلاعب والف ساد - كما زعم - بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ في النفس في تأكيد صحة أسانيد السُنَّة إذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة وبأسانيد مختلفة مع حفظ متنه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد (٢).

هذا إذا سَلَّمْنَا هذه الدعوى فكيف وقد ثبت ما يفيد كتابة الأحاديث في عهده ﷺ وأنه أذن في ذلك، كما سيأتي:

من ذلك ما رواه أحمد عن عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْمَعُ مِنْكَ أَحَادِيثَ لاَ نَحْفَظُهَا، أَفَلاَ نَكْتُبُهَا؟ قَالَ: " بَلَى، فَاكْتُبُوهَا» (٣).

وَعَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ مَا يَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ فَأَذِنَ لَهُ»(٤).

وقد صَحَّ عن أبي هريرة قوله: «مَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرُ مِنِّي حَدِيثًا عَنْهُ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ، وَلاَ أَكْتُبُ»(٥).

---

(١) مجلة المنار في العددين (٧، ١٢) من السَنَةِ التاسعة.

(٢) السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٥٥).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ٥٩١)، (٧٠١٨)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤)"تقييد العلم": ص ٧٥.

(٥) رواه البخاري في " صحيحه ": ١/ ٢٠٦. " سنن الدارمي ": ١/ ١٢٥. "مسند =

يقول: «عدم إرادة النبي ﷺ لأن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾(١).

ولو كان غير القرآن ضروريًا في الدين لأمر النبي ﷺ بتقييده كتابة ولتكفَّل الله بحفظه ولما جاز لأحد روايته على حسب ما أداه إليه فهمه (٢).

أجيب عن هذه الشبهة: هذه الدعوى غير مسلمة - ولو سلَّمنا جدلاً لما انتجت النتيجة - التي يريدها - وهي أنه لم يرد أنْ يبلغ عنه شيء أصلاً سوى القرآن، لأنَّ النبي ﷺ أرسل كثيرًا من الرسل إلى الجهات المختلفة ولم يثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون الحُجَّة في دعوتهم إلى الإسلام.

على أنَّ أصل وظيفة النبي ﷺ إنما هي التبليغ ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (٣)، وقد قال: «**أَلاَ فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**» وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنًا كان أو سُنَّةً وقد قال تخصيصًا لهذه: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ».

قال الدكتور السباعي: «وقصارى القول أنَّ إنكار حُجِيَّة السُنَّة والادعاء بأنَّ الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة، وهو يصادم الواقع، فإنَّ أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسُنَّة، وما في القرآن من أحكام إنما هي مُجْمَلَةٌ وقواعد كلية في الغالب، وإلاَّ فأين نجد في

=

أحمد": ٢/ ٢٤٨.

(١) سورة الحجر: الآية: ٩

(٢) "مجلة المنار": ٩/ ٢٠٣.

(٣) سورة ءال عمران: من الآية: ٤٠.

القرآن أنَّ الصلوات خمسة، وأين نجد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة، وتفاصيل شعائر الحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات»(١).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونسأل قائل هذا القول الفاسد في أي قرآن وجد أَنَّ الظهر أربع ركعات وأَنَّ المغرب ثلاث ركعات وأَنَّ الركوع على صفة كذا والسجود على صفة كذا وصفة القراءة فيها والسلام وبيان ما يجتنب في الصوم وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة والغنم والإبل والبقر ... وأحكام الحدود وصفة وقوع الطلاق وأحكام البيوع وبيان الربا والأقضية والتداعي والإيمان والأحباس والعمرى والصدقات وسائر أنواع الفقه وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم نَدْرِ كيف نعمل فيها وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي ﷺ وكذلك الإجماع إنما هو على مسائل يسيرة قد جمعناها كلها في كتاب واحد وهو المرسوم بكتاب المراتب فمن أراد الوقوف عليها فليطلبها هنالك فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أنَّ امرءًا قال: "لا نأخذ إلاَّ ما وجدنا في القرآن"؛ لكان كافرا بإجماع الأمة ولكان لا يلزمه إِلاَّ ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل وأخرى عند الفجر لأنَّ ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد للأكثر في ذلك وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة مِمَّنْ قد اجتمعت الأُمَّةُ على كفرهم»(٢).

وأما قوله: «ولو كان غير القرآن ضروريًا في الدين لأمر النبي ﷺ بتقييده كتابة ولتكفل الله بحفظه ولما جاز لأحد روايته على حسب ما أداه إليه

(١) السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ص ١٦٥.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢/ ٨٠).

فهمه»[١].

فقد ذكرنا أمر النبي ﷺ بكتابته وإذنه بذلك وأنه قد تكفَّل بحفظه ولم يُجَوِّزْ لأحد روايته على حسب ما أداه إليه فهمه وسيأتي مزيد إيضاحه في باب "شبهات حول السُنَّة".

هذا وقد ذكر الدكتور السباعي أنَّ الدكتور توفيق صدقي قد رجع عن آرائه في آخر عمره، وسيذكر شبهاته ضمن باب شبهات حول السنة، والرد عليها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

---

(١) وقد رد على مزاعمه هذه وغيرها كل من الأساتذة الشيخ طه البشري والسيد رشيد رضا والدكتور مصطفى السباعي.
ينظر: السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٥٨).

ثانيا: الأستاذ أحمد أمين(١)(٢):

من المؤسف حقًا أنْ ينخدع ببحوث المستشرقين وخاصة جولد تسيهر فريق من الكُتَّاب المسلمين المعاصرين الذين تتلمذوا على المستشرقين وهو هجوم لا يبدو واضحًا كما بدت آراء المستشرقين من قبل، بل مقنعًا بستار العلم والبحث والتحقيق العلمي. وكان من أشهر الكُتَّاب الذين سلكوا هذا المسلك الأستاذ أحمد أمين في كتابيه " فجر الإسلام" و "ضُحاه" حين تعرض للكتابة عن الحديث وتدوينه فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل وهو في الحقيقة ردَّد لما كتبه جولد تسيهر إلاَّ أنه كان لبقًا وأشد تحرزًا حيث أنه بث السموم في أسلوب هادئ وحاول أنْ يصل إلى غايته من غير أنْ يثير ثائرة الجمهور عليه.

---

(١) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته الى (الطباخ) . ولد بالقاهرة. سنة ١٨٧٨م.

قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرّس بها إلى سنة ١٩٢١ وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عيّن مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وانتخب عميدا لها (سنة ٣٩. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد وكان رئيسا لها، توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م.ومن تآليفه المطبوعات: (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) و (ظهر الإسلام) و (يوم الإسلام). الأعلام للزركلي (١/ ١٠١)

(٢)الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٩٢) الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية (ص: ١٠١) حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها (ص: ٥٠)، السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٥٨) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مجمع البحوث (١/ ٢٠٢) السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ١٨٩) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٢٦٠) السنة قبل التدوين (١/ ٢٥٥) القرآنيون، نشأهم – عقائدهم – أدلتهم (ص: ٤٦).

وأفرد الأستاذ في كتابه "فجر الإسلام" فصلاً خاصًا بالحديث حاول فيه أنْ يؤرِّخَ السُنَّةَ وتدوينها فبيَّن معنى السُنَّة وقيمتها التشريعية، ثم ذكر أنَّ السُنَّة لم تُدَوَّنْ في عهد الرسول ﷺ بل كان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم فقط. ثم تعرض للوضع في الحديث واستظهر أنَّ الكذب على النبي ﷺ بدأ في وقت مُبَكِّرٍ وأشار إلى أنَّ دخول الشعوب في الإسلام كان له أثر كبير في الوضع الذي بلغ في الكثرة بعد أنْ اختار الإمام البخاري "صحيحه" من ستمائة ألف حديث كانت شائعة في عصره. ثم ذكر أهم الأمور التي حملت على الوضع وذكر منها تغالي الناس في أغراضهم عن العلم إلاَّ ما اتصل بالكتاب والسُنَّة اتصالاً وثيقًا، وانتهى من ذلك إلى بيان جهود العلماء في مكافحة الوضع وذكر ما يؤخذ عليهم من أنهم لم يعنوا بنقد المتن عُشْرَ ما عنوا بنقد السند ثم تكلموا عن أبي هريرة فقال: "إنه لم يكن يكتب بل كان يُحَدِّثُ من ذاكرته وأنَّ بعض الصحابة شَكُّوا في حديثه وبالغوا في نقده"، ثم ختم هذا الفصل بالأدوار التي مَرَّ بها تدوين السُنَّة حتى عصر البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب الستة. هذا خلاصة ما كتبه الأستاذ عن السُنَّة.

وقال الأستاذ أحمد أمين متكلمًا عن نشأة الوضع: «ويظهر أنَّ الوضع حدث في عهد الرسول ﷺ، فحديث " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**"[١] **يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زَوَّرَ فيها على الرسول** ﷺ"[٢].

وهذا الذي زعمه الأستاذ لا سند له في التاريخ الثابت ولا في سبب الحديث

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ رقم ٤.

(٢) فجر الإسلام ": ص ٢٥٨.

المذكور. أما التاريخ فلم يحدثنا أنَّ أحدًا في حياة الرسول ﷺ ممن أسلم وصحبه زَوَّرَ عليه كلامًا ورواه على أنه حديثه ﷺ ولو وقع مثل هذا لتوفر الصحابة على نقله لشناعته وفظاعته، كيف وقد كان حرصهم شديدًا على أنْ ينقلوا لنا كل ما يتصل به ﷺ حتى ما يتعلق بحياته العادية.

وأما الحديث المذكور فقد اتَّفَقَتْ كتب السُنَّة المعتمدة على أنَّ الرسول إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم فقد أخرج البخاري في باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» ورواه مسلم من طريق أبي سعيد ... وظاهر من هذه الرواية أنَّ النبي - ﷺ قد علم أنّ الإسلام سينتشر وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة، نَبَّهَ بصورة قاطعة على وجوب التحري في الحديث عنه وتجنُّب الكذب عليه بما لم يقله وَوَجَّهَ الخطاب في ذلك إلى صحابته لأنهم هم المُبَلِّغُونَ إلى أُمَّتِهِ من بعده وهم شهداء نُبُوَّتِهِ ورسالته وليس في هذه الرواية وغيرها إشارة قط إلى أنَّ هذا الحديث إنما قيل لوقوع تزوير على النبي ﷺ (١).

وقال أيضا: «وحسبك دليلا على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد ابن حنبل أنه قال: «لم يصح عنده منها شيء»، قد جمع فيها آلاف الأحاديث، وأن البخاري وكتابه يشتمل على سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة، قالوا: إنه اختارها وصَحَّتْ عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره»(٢).

---

(١) ينظر: السُنَّة ومكانتها: ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) فجر الإسلام: ص ٥٢٩.

إنَّ كثرة الوضع في الحديث مِمَّا لا ينكره أحد، ولكن المؤلف أراد أنْ يستدل على مقدار الوضع بأحاديث التفسير، وأحاديث "البخاري". وظاهر كلامه أنه يُشكِّكُ في أحاديث التفسير كلها إذ ينقل عن الإمام أحمد أنه قال: «لم يصح منها شيء». والإمام أحمد لا تخفى مكانته في السُنَّة فإذا قال في أحاديث التفسير:

لم يصح منها شيء كان كل ما رُوِيَ فيها مشكوكًا بصحته إِنْ لم يحكم عليه بالوضع هذا نتيجة منطقية لظاهر كلام الأستاذ.

أما أحاديث التفسير فلا يخفى على كل من طالع كتب السُنَّةِ أنها أثبتت شيئًا كثيرًا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها وما من كتاب في السُنَّةِ إلاَّ وقد أفرد فيه مؤلفه بَابًا خَاصًّا لما ورد في التفسير عن الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين.

وأما ما نقله الأستاذ عن الإمام أحمد في أحاديث التفسير فهو يشير إلى ما رُوِيَ من قوله: «ثَلاَثَةُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ: التَفْسِيرُ، وَالمَلاَحِمُ وَالمَغَازِي» والكلام عن هذه العبارة من وجوه.

أولاً: إنَّ الإمام أحمد نفسه قد ذكر في "مسنده" أحاديث كثيرة في التفسير، فكيف يعقل أنْ يُخْرِجَ هذه الأحاديث ويثبتها عن شيوخه في " مسنده " ثم يحكم بأنه لم يَصِحَّ في التفسير شيء فينبغي معرفة مراده.

ثانيًا: إِنَّ نفي الصِحَّة لا يستلزم الوضع أو الضعف، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة في نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة. وقالوا في تأويل ذلك أَنَّ هذا الاصطلاح خاص به[1].

---

(١) ينظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل " للكهنوي، بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو =

ثالثًا: الإمام لم يقل: إنه لم يصح في التفسير شيء وإنما قال: «ثَلاَثَةٌ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ ...»، والظاهر أَنَّ مراده نفي كتب خاصة بهذه العلوم الثلاثة بدليل ما جاء في الرواية الثانية مُصَرِّحًا به «ثَلاَثَةُ كُتُبٍ» وهذ المعنى هو ما فهمه الخطيب البغدادي حيث قال: «إِنَّ هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى كُتُبٍ مَخْصُوصَةٍ فِي هَذِهِ المَعَانِي الثَلاَثَةِ ... »(١).

وعندما تعرض المؤلف لعدالة الصحابة قال: «وأكثر هؤلاء النُقَّادُ عَدَّلُوا الصحابة كلهم إجمالاً وتفصيلاً، فلم يتعرَّضوا لأحد منهم بسوء ولم ينسبوا لأحد منهم كَذِبًا وقليل منهم من أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم»(٢).

إِنَّ مما اتفق عليه الجماهير قاطبة من أهل السُنَّة والجماعة ونُقَّادِ الحديث تعديل الصحابة وتنزيههم عن الكذب والوضع وَشَذَّ عن ذلك الخوارج والمعتزلة والشيعة أصحاب الأهواء والميول المعروفة.

ولكن المؤلف - لغرض في نفسه - يُشَكِّكُ في هذه الحقيقة فَادَّعَى أولاً أَنَّ أكثر النُقَّادِ عَدَّلُوا الصحابة مع أَنَّ النُقَّادَ جميعًا عَدَّلُوهُمْ وعدالتهم محل إجماع بينهم ثم يزعم أَنَّ قليلاً منهم أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم مع أَنَّ الذين تكلموا في الصحابة ليسوا من نُقَّادِ الحديث بل من أصحاب الأهواء والميول المعروفة بالتعصب لبعض الصحابة على بعض الآخر.

=

غدة: ص ٨٦.

(١) ينظر: السُنَّة ومكانتها ": ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢)فجر الإسلام: ص ٢٦٥.

قال الحافظ الذهبي: «فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي وإن جرى ما جرى ... إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل، وبه ندين الله تعالى» (١).

وقال الحافظ ابن كثير: "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة"، ثم قال: "وقول المعتزلة: الصحابة عدول إلا من قاتل علياً -: قول باطل مرذول ومردود"(٢).

وهكذا ذهبت مزاعم الأستاذ هباء وصان الله صحابة رسوله ﷺ من تلك الحملات التشكيكية التضليلية التي رفع لواءها هؤلاء المُتَعَصِّبُونَ(٣).

ويقول الدكتور مصطفى السباعي: «فأنت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول ﷺ ينقلب في منطق النقد الجديد الذي دعا إليه صاحب " فجر الإسلام " إلى أن يكون مكذوبا مفترى!» (٤).

ثالثا: إسماعيل أدهم.

ثم نشر إسماعيل أدهم رسالته في سَنَة ١٣٥٣ هـ عن تاريخ السُنَّة وَكَذَّبَ فيها أحاديث الكتب الصحاح (٥) إلاَّ أنَّ أخطر من قام بهذا الدور في العصر الحديث هو محمود أبو رية.

---

(١)السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي " للسباعي: ص ٢٦١.

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث " لابن كثير، تأليف أحمد شاكر: ص ١٨٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان].

(٣) السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٥٤ ـ ٦٣).

(٤)السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ": ص ٢٦١.

(٥) دراسات في الحديث وتاريخ تدوينه ": ص ٢٧.

رابعا: محمود أبو رية (١).

ثم بعد هؤلاء تَسَلَّمَ اللواء أبو رِيَّةَ وأخرج كتابه "أضواء على السُنَّة المحمدية" وهو لم يأت بفكرة جديدة ولا باستدلال جديد بل جمع ما كان من الشُبَهِ متناثراً في كتب الشيعة وأئمة الاعتزال والمتكلمين والمستشرقين مع حكايات تذكر في كتب الأدب التي يتفكَّه بها الناس في مجالسهم، ولكنه فاقهم فيه أنه أكثر خُبْثًا ودناءةً وأسوأ أدبًا مع الصحابة الأمناء وأجرأ على الكذب والبُهُتِ والخيانات العلمية.

«أما ما ذكره خلال كتابه من نقول عن مصادر محترمة في الأوساط العلمية الإسلامية، فإنها لا تعدو أن تكون وردت في تلك المصادر في مورد غير الذي أورده المؤلف فوضعها في غير مواضعها، أو أن تكون هي في حد ذاتها حقائق مسَلَّمة لدى المحقّقين ولكنهم لا يقصدون منها ما قصده المؤلف، فيذكرها

---

(١) كاتب مصري معاصر، عُرِفَ بشدَّة انحرافه عن السُنَّة والطعن فيها باسم حرية الرأي والتحقيق العلمي - على زعمه -، توفى عام ١٩٧٠ م، قال عنه الدكتور السباعي: "كان منتسبا إلى الأزهر في صدر شبابه، فلما وصل إلى مرحلة الشهادة الثانوية الأزهرية أعياه أن ينجح فيها أكثر من مرة، فلما يئس عرض نفسه على جريدة كانت تصدر في بلده على أن يكون مصححا للأخطاء المطبعية فيها، واستمر على ذلك سنين، ثم وظف كاتبا بسيطا في دائرة البلدية هناك وظل كذلك حتى أحيل إلى التقاعد (المعاش). وكان حين ترك الأزهر - أو بالأصح حين تركه الأزهر لغبائه وكسله - يقف على قارعة الطريق يتحرش بطلاب الأزهر فيبدي لهم استهزاءه بهم لانقطاعهم إلى تعلم الدين وشرائعه، ويرى ذلك دليلا على سخف عقولهم، هذا هو أبو رية كما حدثنا عنه أهل بلده من العلماء ورجال الفكر والأدب، لم يستطع النجاح في الشهادة الثانوية، ولم يجلس إلى أستاذ، ولا أخذ العلم عن عالم، وإنما كان صحفيا" السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ٤٦٦)

إيهاما للقارئ بأن أصحابها يلتقون معه في فكرته وأهوائه، أو تكون نصوصا «مبتورة» انتزع منها ما يردّ على المؤلف، ولم يذكر منها إلا ما يريد أن يثبته في البحث الذي يتناوله - وسنرى نموذجا لذلك في بحث أبي هريرة - أو أن تكون من أقوال بعض العلماء نقلا عن المعتزلة، فينسبها إلى هؤلاء العلماء أنفسهم، كما فعل فيما نقل عن ابن قتيبة، وبالجملة فإنَّ أصحاب هذه المؤلفات والنصوص التي نسبها إليهم لا يلتقون معه في آرائه ونزعاته» (١).

وأما تعريف كلمة السُنَّة عنده فيقول: «ولم تكن السُنَّة يومئذٍ (يعني عصر النبي ﷺ تعرف إلاَّ بالسُنَّة العملية» (٢).

ومفهوم السُنَّة العملية عنده هو السُنَّة العملية المتواترة كما قال: «وسنن الرسول المتواترة - وهي السُنَّة العملية - وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول وكان معلومًا عندهم بالضرورة، كل ذلك لا يسع أحد جحده أو رفضه بتأويل أو اجتهاد ككون الصلاة المعروفة خمسًا ... » إلى أَنْ قال: «هذه هي سُنَّة الرسول ﷺ وأما إطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث» (٣).

وأما بالنسبة لأحاديث الآحاد فيقول: «ومن صح عنده شيء منها رواية ودلالة عمل به، ولا تجعل تشريعًا عامًا تلزمه الأُمَّةُ إلزامًا تقليدًا لمن أخذ به»(٤).

---

(١) السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي " للدكتور مصطفى السباعي: ص ٤، ٥.
(٢) أضواء على السُنَّة المحمدية، محمود أبو رِيَّة: ص ٤٠٤.
(٣) أضواء على السُنَّة المحمدية، محمود أبو رِيَّة: ص ٤٠٦، ٤٠٧.
(٤) أضواء على السُنَّة المحمدية، محمود أبو رِيَّة: ص ٤٠٧.

وقال: «إنهم جعلوا السُنَّة القولية في الدرجة الثانية أو في الدرجة الثالثة من الدين وإنها تلي القرآن في المرتبة». ثم قال بعد أسطر: «وأما الذي هو في الدرجة الثانية من الدين فهو السُنَّة العملية»(١)، ومفهومه أنَّ السُنَّةَ القولية ليست في الدرجة الثانية، ولا ندري ما منشأ هذا الاضطراب وعدم الثبوت على رأي حتى خالف عجز كلامه صدره ثم ما الدليل على التفرقة بين السُنَّة القولية والفعلية، «وليس في كلام الشاطبي الذي استشهد به ما يشهد للتفرقة بين السُنَّة القولية والفعلية بل كلام يدل على أَنَّ المُرَادَ بِالسُنَّةِ القول والفعل والتقرير» (٢).

ومعلوم أَنَّ السُنَّةَ جملة من المرتبة الثانية بعد الكتاب وأنَّ ما ثبت عن النبي ﷺ من أمر الدين يجب اتِّبَاعَهُ وطاعته فيه إذًا فما الفائدة من هذه التفرقة وما الدليل عليها وما الدليل على عدم جعل الأحاديث الآحاد تشريعًا، إنه يدعو إلى الفوضى في العقيدة والشريعة وإلى المخالفة الصريحة لكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

وَيَدَّعِي أَنَّ الذين عنوا بالتشريع من أئمة الإسلام لم يكونوا أهلاً لتمحيص السُنَّة وبيان صحيحها وسقيمها وأنَّ الأدباء وعلماء الكلام من المعتزلة هم أهل لذلك .

يقول بعد التعريف بكتابه وذكر عُلُوِّ قدر الحديث النبوي: «وعلى أنه بهذه المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة فإنَّ العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس وتركوا أمره لمن يُسَمُّون رجال الحديث يتناولونه فيما بينهم ويدرسونه على طريقتهم ... » (٣)، يريد أنَّ أئمة الإسلام وفقهائه كالبخاري

---

(١) أضواء على السُنَّة المحمدية " لمحمود أبو رِيَّة: ص ١٥.

(٢) دفاع عن السُنَّة " للشيخ أبي شُهبة: ص ٥٦.

(٣) أضواء على السُنَّة المحمدية " لمحمود أبو رِيَّة: ص ٤.

ومسلم والنسائي وغيرهم لم يكونوا أهلاً لتمحيص السُنَّة لأنهم لم يكونوا يخوضون في غوامض العقول فهم ليسوا عنده بعلماء وإنّما الأدباء وعلماء الكلام من المعتزلة هم أهل ذلك.

إنه يحاول الازدراء بالمحدثين ورميهم بالجمود لِيُقَلِّلَ من شأنهم ويتجاهل أَنَّ ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوي والمروي هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في الحديث والقديم.

«إنَّ علماء الأدب وأضرابهم مِمَّنْ ليسوا من رجال الحديث وصيارفته أكرم على أنفسهم مِنْ أَنْ يقفوا ما ليس لهم به علم، وأنْ يَزُجُّوا بأنفسهم في علوم ومعارف ليسوا أهلاً لها» (١).

والحقيقة أَنَّ من أمعن النظر في كتابه هذا يدرك أَنَّ الرجل غير موثوق فيما ينقل فكثيرًا ما يزيد في النص الذي ينقله كلمة أو ينقص كلمة لينسجم مع ما يريد دون ما يريد صاحبه وكثيرًا ما يسند القول إلى غير صاحبه تمويهًا وتضليلاً.

فنقل عن ابن كثير في "البداية والنهاية": أنَّ عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار: «لَتَتْرُكَنَّ الحَدِيثَ (عَنْ رَسُولِ اللهِ) أَوْ لأُلْحِقَنَّكَ بِأَرْضِ القِرَدَةِ»(٢).

---

(١) دفاع عن السُنَّة " للدكتور أبي شُهبة: ص ٤٦.

(٢) البداية والنهاية ط الفكر (٨/ ١٠٦)، أما نهي عمر لأبي هريرة رضي الله عنهما فقد أذن له بعد ذلك، قال ابن كثير: وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك. وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث، فقال مسدد: حدثنا خالد الطحان ثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة. قال: بلغ عمر حديثي فأرسل =

وعبارة ابن كثير: لَتَتْرُكَنَّ الحَدِيثَ (عَنْ الأُوَلِ) وليس فيها (عَنْ رَسُولِ اللهِ) ولكن أمانة أَبِي رِيَّةَ و (تحقيقه العلمي) أجازا له تحريف هذا النص ليثبت ما ادَّعَاهُ من أنَّ كَعْبًا كان يُحَدِّثُ عن رسول الله - - وأنَّ الصحابة كانوا يأخذون عنه الحديث، وهذه الفرية دَسَّهَا المستشرقون اليهود أمثال «جولد تسيهر» لِيَدَّعُوا تأثير اليهودية في الدين الإسلامي! .. فتلقفها منهم «المحقق العلمي» أَبُو رِيَّةَ، وتبرع لهم بإثبات الأدلة عن طريق «التزوير»[١] .

إنه لم يَتَحَلَّ بالأدب والخُلُقِ الشريف في بحثه فقد أتى بالألفاظ البذيئة والكلمات النابية التي يَتَرَفَّعُ عنها المؤلفون العاديون فضلاً عن المُحَقِّقِينَ المُنْصِفِينَ وجعل من نفسه (العلاَّمة المحقق الأمين) فَتَهَكَّمَ بالمُحَدِّثِينَ ورماهم بالجهل والتساهل فعندما عرض للحن والخطأ في الحديث والتقديم والتأخير والزيادة والنقص منه ص ٧٥ - ٧٩ ثم ذكر عنوانـًا بالخط العريض فقال: «تساهلهم - أَيْ المُحَدِّثِينَ - فيما يُرْوَى في الفضائل وضرر ذلك». وهو يوهم من لا يعلم أنَّ المُحَدِّثِينَ جميعًا على هذا - مع أنَّ كثيراً من الأئمة كالبخاري ومسلم وابن خزيمة قد جَرَّدُوا كتبهم للصحاح، وَتَحرَّوْا غاية التَحَرِّي في ذكر أحاديث الفضائل، وأيضـًا فالمُحَدِّثُونَ لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة في باب الفضائل إِلاَّ بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق، فإرسال القول على عواهنه — كما صنع المؤلف - ليس من الأمانة العلمية في عرض الآراء، وهو إلى التدليس

=

إلي فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان؟ قال قلت: نعم! وقد علمت لم تسألنى عن ذلك؟ قال: ولم سألتك؟ قلت: إن رسول الله ﷺ قال يومئذ «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» قال: أما إذا فاذهب فحدث.

(١) السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي ": ص ٣٦٤.

والتلبيس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين (١).

وأما أبو هريرة فقد ترجم له في كتابه فيما يربو على خمسين صفحة ولم يَدَعْ منقصة ولا مَذَمَّةً إلاَّ ألصقها به وزعم «أَنَّ الصحابة والتابعين وفقهاء الإسلام وأئمة الحديث ثلاثة عشر قرنًا كاملةً قد خدعوا بأبي هريرة رضي الله عنه، ولم يفطنوا إلى (تفاهة أمره) و (حقارة منبته) وجرأته في الكذب إرضاء للأمويّين، إنهم لم يفطنوا لما فطن إليه «أَبُو رِيَّةَ» فيا لسوء حظ المسلمين الذين حرموا من رأي «أَبِي رِيَّةَ» الصائب وبصيرته النافذة خلال هذه القرون كلها!(٢).

وإليك أمثلة من إسفافه وهذيانه على أبي هريرة:

قال عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه: «وكان بينهم - أي الصحابة - لا في العير ولا في النفير» (٣).

وقال عنه: "وكان يعجبه المضيرة جدا فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على رضى الله عنه، فإذا قيل له في ذلك، قال : مضيرة معاوية أدسم وأطيب، والصلاة خلف على أفضل، وكان يقال له "شيخ المضيرة" (٤).

وقال عنه: «ومن كان هذا شأنه - لا يكون - لا جرم - من عامة الصحابة لا شأن له ولا خطر» (٥).

---

(١) دفاع عن السُنَّة: ص ٧٣.
(٢) السُنَّة ومكانتها: ص ٣١.
(٣)أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٥.
(٤) أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٨ .، وقال المضيرة: نوع من أصناف الحلوى.
(٥)أضواء على السنة المحمدية ص٢١٢.

نعم هكذا يهذي ويفتري ويجمع من الحكايات والأكاذيب ولا سيما في موضوع فيه اتِّهام وتجريح لصحابي جليل من صحابة رسول الله ﷺ وأنه لا في العير ولا في النفير، ثم من قال لك أيها المُحَقِّقُ النظار وصاحبك الذي زعمت أنه محقق، و، وأَنَّ أبا هريرة شهد موقعة صِفِّينَ، حكاية باطلة تبني عليها هذا الحكم الظالم الأليم.

ثم هل من المعقول أَنَّ أبا هريرة كان ينتقل بين الجماعتين ويصانع الفئتين ولا ينكشف أمره، يا أيها الناس أليس لكم عقول تعقلون بها؟

ثم كان أبو هريرة مهينًا لا شأن له ولا خطر عند المؤلف لأنه لم يصاحب النبي - ﷺ- إلاَّ على ملء بطنه وأنه قد اتَّخَذَ من الصُفَّةِ ملاذًا لفقره ... وهذا أكبر عيب عند «أَبِي رِيَّةَ» يُجَرِّحُ به أبا هريرة والله تعالى مدح أهل الصُفَّةِ ومنهم - لا شك - أبو هريرة. قال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾(١).

فيأتي أبو رية فيجعل المفاخر مثالب والفضائل رذائل.

وقال تحت عنوان (أول راوية اتُّهِمَ في الإسلام): «أنَّ أبا هريرة اتَّهَمَهُ الصحابة وأنكروا عليه، وكانت عائشة أَشَدُّهُمْ إنكارًا عليه لتطاول الأيام بها وبه ... وَأَنَّ مِمَّنْ اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلي، ... ثم زعم أَنَّ عَلِيًّا كان سيئ القول فيه وقال عنه: "ألا إنه أكذب الناس أو قال: أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة ... إلخ»(٢).

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٣ .

(٢)أضواء على السنة المحمدية ص٢٠٣.

ورحم الله شيخ الأزهر السابق د/ عبد الحليم محمود وهو يحكي عن أبي رية: "لقد أراد قوم - من نقلة البحث العلمي - التشكيك في السنة، بل هدم السنة رأسا، وهؤلاء تقودهم أهواء مختلفة، ولننظر إلى أي مدى يصل بهم تحريف الكلم عن مواضعه وتزييفه والكذب فيه إرضاء لنزعتهم الفاسدة"(١).

بل أجزم أن أبا رية ما ذكره لم يكن من كيسه بل قلد المستشرقين، فهذه بضاعتنا ردت إلينا، ومن الأدلة على ذلك ما ذكره المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية: " بل أن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع فى أول الأمر. ولهذا نجد أن الثقة بأبى هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس(٢).

جواب الشيخ/ أحمد شاكر: لم تكن الثقة بأبى هريرة محل جدل إلا عند أهل الأهواء، ثم تبعهم بعض من اصطنع الجرأة فى الطعن على السنة من المتأخرين. وإنما كان بعض الصحابة يأخذون عليه الإكثار من الحديث خشية الخطأ، ثم كانوا إذا حققوا ما أخذوا عليه أيقنوا من صحة ما روى، والأخبار فى ذلك متكاثرة وكان هو يرد على من أخذ عليه كثرة الرواية، يقول: "إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول لله ﷺ والله الموعد، إنى كنت امرأ مسكينًا أصحب رسول لله ﷺ على ملء بطنى، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم". وقال ابن عمر: "أكثر أبو هريرة" فقيل له: "هل تنكر شيئًا مما يقول؟ " قال: لا، ولكن

(١) السنة ومكانتها من التشريع لعبد الحليم محمود (ص: ٨٦).
(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ٣٥٠٠).

جرؤ وجبُنا" فبلغ ذلك أبا هريرة فقال: "ما ذنبى إن كنت حفظت ونسوا"، وغاضبه مروان بن الحكم فقال له: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وإنما قدم قبل وفاة رسول الله ﷺ بيسير" فقال أبو هريرة: "قدمت ورسول الله ﷺ بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين، فأقمت معه حتى مات، وأدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج، فكنت أعلم الناس بحديث، وقد والله سبقنى قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومى له فيسألوننى عن حديثه، منهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، ولا والله لا يخفى على كل حديث كان بالمدينة، وكل من كانت له من رسول الله ﷺ منزلة، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه"(١).

خامسًا: أحمد صبحي منصور(٢).

زعيم المكذبين بالسنة طريد ديار الإسلام والأزهر الشريف:

اسمه ومولده ونشأته:

ولد سنة ١٩٤٩م في أبي حريز - كفر صقر - الشرقية - مصر.

يحمل الشهادة الإعدادية الأزهرية سنة ١٩٦٤م، والثانوية الأزهرية: أدبي - سنة ١٩٦٩م.

---

(١)تعليق الشيخ/ أحمد شاكر عن ما ورد في موجز دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ٣٥١٧).

(٢)القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، مجلة التوحيد (٢٥٥/ ١)، مجلة البيان (٢٢٣/ ١٥)، مجلة البحوث الإسلامية (٢٨/ ٣٠٥) العدد الثامن والعشرون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤١٠هـ

الإجازة العلمية (الليسانس) قسم التاريخ بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٣ بتقدير عام جيد جداً مع مرتبة الشرف.

الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ١٩٧٥م بتقدير: جيد جداً.

الدكتوراة: شعبة التاريخ والحضارة بمرتبة الشرف الأولى ١٩٨١م جامعة الأزهر كلية اللغة العربية قسم التاريخ في التاريخ الإسلامي والحضارة.

درّس في أقسامٍ مختلفة من كليات متعددة في جامعة الأزهر معيداً وأستاذاً منذ تاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٧٣ حتى تاريخ ١٤/ ٣/ ١٩٨٧.

حوكم منصور – المهزوم - في جامعة الأزهر ١٩٨٥ - ١٩٨٧ ثم طُرد من جامعة الأزهر الشريف سنة ١٩٨٧م، بسبب مؤلفاته وآرائه الشاذة التي خرقت إجماع الأمة، نعوذ بالله من علم لا ينفع.

ارتباطه بالمتنبي "رشاد خليفة"(١)، والمخابرات الأمريكية:

---

(١) رشاد خليفة هذا هو كبير زنادقة العصر الحديث، إذ ادعى النبوة فتلقفته أمريكا، وظل في أحضان الأمريكان حتى قتل هناك في أوائل التسعينيات، وكان يرى أن السنة من عند الشيطان، وأن الآيات القرآنية التي لم تخضع لنظرية الرقم (١٩) هي آيات شيطانية ليست منه، وأن علماء المسلمين وثنيون، والإمام البخاري (كافر)، وأنه -أي رشاد خليفة الهالك- يتلقى الوحي منذ بلغ سن الأربعين الذي لا حساب من الله لمن لم يبلغه، وأنه أعظم من موسى وعيسى ومحمد؛ لأن معجزاتهم لم نرها، أما معجزة الكمبيوتر والرقم (١٩) التي جاء هو بها، فهي باقية مرئية الآن، وكان يقول: إن شهادتكم وصلاتكم وصيامكم وزكواتكم وحجكم غلط، ووظيفتي كرسول أن أصححها لكم!!.

=

=

قرارات المجمع الفقهي الإسلامي للرابطة ـ مكة (ص: ٦٣)
قرار رقم: ٦٣ (٤/ ١١) بشأن موضوع كفر رشاد خليفة.
الحمد لله وحده، الصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من يوم الأحد ١٣رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩م إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م: قد نظر-
فيما عرض عليه في جدول أعماله- في موضوع الملف المتعلق بالمدعو رشاد خليفة، إمام مسجد توسان في أمريكا، وفيه خطابه الموجه إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وما إلى ذلك من نشرات ودعوات وتصرفات منه، وبعد التحقق ثبت للمجمع أن رشادا هذا، أتى بمزاعم باطلة منها ما يلي:
أولاً: إنكاره بعض الآيات من القرآن الكريم.
ثانيًا: إنكاره السنة النبوية المشرفة.
ثالثًا: ادعاؤه أن صلاة المسلمين هي صلاة المشركين.
رابعًا: دعواه الرسالة.
وحيث إن كل واحدة من هذه الدعاوى الباطلة توجب الكفر، والخروج عن ملة الإسلام- وهذا مما علم من الإسلام بالضرورة- فإن المجمع يقرر بالإجماع: أن ما أقدم عليه رشاد خليفة المذكور موجب لردته، فهو كافر مرتد، خارج عن دين الإسلام، فعلى المسلمين: أن يتيقظوا، ويحذروا خبثه وشره، وعليهم عدم التعاون معه، وإن الصلاة خلف هذا الكافر باطلة لا تجوز، وليعلموا أن هذه المزاعم الآثمة، من هذا المرتد هي امتداد لدعاوى أمثال له في الردة عن الإسلام، كالقاديانية والبهائية وغيرهما من الدعوات المكفرة المضللة، والتي أجمع المسلمون على إنكارها وردها، وأنها ليست من الإسلام في شيء، وأن الردود الصادرة من علماء المسلمين على هذه الفرق الكافرة، هي في جملتها رد على هذا المجرم الأثيم وغيره، من كل أفاك، يعمل على دك صرح الإسلام من الداخل، وقد قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة:٣٢]. وإن المجمع إذ يقرر ذلك: ليوصي بطبع ما أعد من بحوث في كشف زيف هذا الأفاك. وقانا

=

بعد تخرجه في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، عمل بالتدريس لطلبة الأزهر، وبدأ يلفت الأنظار إليه بما يطرحه من آراء مخالفة لإجماع المسلمين، ومعادية للسنة النبوية، وقد بدأ نضاله الفكرى في حرب الإسلام والسنة المطهرة منذ سنة ١٩٧٧م، بالبحث والمقال والكتاب والندوات، وصودرت بعض كتبه، وانكشف أمره من طلابه، واعترف في التحقيقات بضلاله الذي تمسك به، فأصدر الأزهر قراراً بفصله من الجامعة عام ١٩٨٧م، بسبب إنكاره للسنة النبوية، وتطاوله على علماء الحديث النبوي مثل البخاري، الذي يتهمه بالعداوة للإسلام والقرآن، وقيامه بتأسيس مذهب الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي.

هنا أرسل صديقه الحميم "رشاد خليفة" المقيم في أمريكا، والذى يوافقه في موقفه المنكور من السنة المشرفة ما معناه: إلحق بنا نُواسِكْ، وشهر قلمه

=

الله وجميع المسلمين من شرور الفتن وأعاذنا وإياهم من مضلاتها.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. والحمد لله رب العالمين.

رئيس مجلس المجمع الفقهي : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

نائب الرئيس : د.عبد الله عمر نصيف

الأعضاء: محمد بن جبير، د.بكر عبد الله أبو زيد، عبد الله العبد الرحمن البسام، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن عبد الله بن سهيل، مصطفى أحمد الزرقا، محمد رشيد راغب قباني، محمد الشاذلي النيفر، أبو بكر جوسي، د.أحمد فهمي أبو سنة، محمد الحبيب بن الخوجه، محمد سالم بن عبد الودود، فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، محمد محمود الصواف.

مقرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي: د.طلال عمر بافقيه.

قرارات المجمع الفقهي الإسلامي للرابطة ـ مكة (ص: ٦٣).

منافحـًا عنه، فكتب "رشاد خليفة " إلى عميد كلية اللغة العربية - بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ - ٤ يناير ١٩٨٨م - خطابـًا ضمنه شتائم شخصية بسبب موقفه من "أحمد صبحى منصور" الذى لفظه الأزهر، وأنهى خطابه مخاطبـًا الأزهريين: "لقد اخترتم أنتم وأربابكم "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ"(١)، اخترتم تكذيب الله سبحانه وتعالى عما تصفون في تأكيداته بأن القرآن الكريم: "كامل، وتام، ومفصل"، وقررتم أن هناك مصادر إبليسية أخرى إلى جانب كلام الله الذى بلغه محمد". ويعنى بالمصادر الإبليسية كتب الحديث النبوى الشريف.

لجأ "رشاد خليفة" إلى الخارجية الأمريكية، والمخابرات الأمريكية طالبـًا الحصول على تأشيرة دخول، وإقامة كاملة خاصة بـ "أحمد صبحى منصور"، وكان مما قاله آنذاك - في معرض ذكر مقالة عميد كلية اللغة العربية في حق " أحمد صبحى منصور" في "لواء الإسلام": - " .. فقد خدمتنا هذه المقالة الرائعة في الحصول على موافقة الحكومة الأمريكية على اعتبار الأخ الدكتور بطلاً مجاهداً برأيه وقلمه، وضحية واضحة لبلد القهر الفكرى، أزهر الشيطان"، فلا تتعجب إذا رأيت تلميذه يتحدث عن مكانته الأدبية - في أمريكا - قائلاً: "يكفى استدلالاً عليها كيفية خروجى من مصر، إننى قد خرجت من مصر بعد أن عرض موضوعى على الكونجرس الأمريكى، وطلب "رشاد خليفة" من الكونجرس الموافقة على استقدامى إلى أمريكا، واعتبارى لاجئـًا سياسيـًا، وقد وافق الكونجرس على ما يريد "رشاد خليفة"، وذهبت إلى أمريكا لاجئـًا

---

(١) سورة التوبة: من الآية: ٣١.

سياسيًا، وحين ذهبت إلى هناك تخطى بى "رشاد خليفة" كل الحدود والحواجز ورتب لى اللقاءات، وهُيئت لإلقاء المحاضرات .. وعلى الجملة لقد أصبحت الرجل الثانى".

هكذا في "توسان" بولاية "أريزنا" أصبح أحمد صبحى منصور الساعد الأيمن لأستاذه "رشاد خليفة"، والرجل الثانى بعده، الذى امتدحه بأنه "منصور" قائلاً: "اسم على مسمى"! ولقد أكد "رشاد خليفة" أن الحكومة الأمريكية تبذل له جميع التسهيلات كلما أراد منها أن تقوم له بتسهيل شىء اعترضه، أو تذليل عقبة قابلته.

وفى نشرة أصدرها أحمد منصور في توسان كتب فيها انتقاداً شديد اللهجة لموقف وكيل كلية أصول الدين من القرآن والسنة، وكان ضمن ما قال: (المشكلة الأزلية للأزهر أنه مسجد ضرار، يقوم على حماية التراث البشرى – يقصد سنة المصطفى ﷺ – الذى يناقض القرآن، ويتهم كتاب الله بأنه غامض غير مبين، وأنه في حاجة إلى تفصيل، وقد جعل عنوان المقال: " الأزهر يكفر بالقرآن " بقلم (الدكتور أحمد صبحى منصور، جامعة الأزهر سابقًا، وحوارى "رشاد خليفة " وصاحبه الآن).

وعلق "رشاد خليفة " في ذيل المقالة قائلاً:

"إن الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة، إن أى مسلم – يمتلك أقل قدر من التفكير والبداهة – يستطيع أن يرى أن الأزهر لا يحترم إرادة الرب، ولكن يحترم إرادة إبليس، أحمد صبحى منصور هو أول عالم أزهرى يكتشف الحقيقة ويقف في وجه السلطات في قلعة إبليس الأزهر".

التدرج في الضلالات:

لما ذهب إلى أمريكا في أول مرة عرض عليه "رشاد خليفة" ادعاء النبوة فيما حكاه "أحمد صبحى منصور" نفسه، إذ قال: "لقد عرض على النبوة أولاً قبل أن يدعيها لنفسه، وقال لى: ما الذى يمنعك يا .. من أن تدعى بين الناس من أنك نبى، وأن جبريل قد أتاك بالوحى خصوصاً وأن آيات القرآن الكريم قد اشتملت على اسمك، وبشر عيسى عليه السلام من قبل بهذا الاسم؟ " ثم قال أحمد صبحى: "لقد أنكرت عليه، ولم أقبل منه هذا العرض".

اختلف الرجلان "الأول" و"الثانى": بعد أن ادعى الأول "رشاد خليفة" أنه رسول من الله إلى العالم الجديد، فطُرد "الثانى" – على حد قوله – من أمريكا بسبب رفضه نبوة الأول، ولما سئل "أحمد صبحى" بعد عودته إلى مصر: "هل ما زلت على رأيك بالنسبة للنبى ﷺ، وما زلت تعتقد أنه غير معصوم، وأن السنة إنما هى من عمل الشيطان؟! "، أجاب – بحِده – قائلاً: "إن المسألة هنا مسألة عقيدة، وليست فكراً، وسواء كنت هنا في مصر أو هناك في "توسان" فإن عقيدتى هى عقيدتى لن تتغير".

وقد عاد صبحي منصور إلى القاهرة، ووضع قدميه على أحد المنابر بالقاهرة، يبشر بدعوته الجديدة التي تقوم على تسفيه كل ما ورد في السنة النبوية من أحكام، إلا أن عوام المسلمين الذين لم يستوعبوا الدعوة الخبيثة، استشعروا الكفر البواح فيما يقول، فحملوه على أكتافهم إلى قسم الشرطة، حيث أودع في السجن عدة أسابيع، ثم خرج ليعمل محاضراً بالجامعة الأمريكية في القاهرة لعدة شهور – كالعادة تجاه كل من يعادي الإسلام وتتولاه أمريكا بالرعاية – إلى أن تفرغ للعمل في مركز ابن خلدون بالقاهرة، لمدة خمس سنوات، مع مديره

سعد الدين إبراهيم، وهو المركز المشبوه المعروف بتبعيته للأمريكان واليهود وعدائه الفج للإسلام، والذي داهمته الشرطة المصرية عام ٢٠٠٠م، وقبضت على مديره بتهمة خيانة الوطن.

ولا يزال على الطريق:

إن كان خير الناس من طال عمره وحسن عمله، فشرهم من طال عمره وساء عمله، وخلال كتابة هذه السطور[١]، لا يزال صبحي على منهجه، فبعد المشكلات القضائية التي واجهها مركز ابن خلدون ومديره وانتهت بإغلاقه عام ٢٠٠٠م، لجأ صبحي منصور إلى الولايات المتحدة الأمريكية، خوفا من اعتقاله في مصر، ليعمل مدرسا في جامعة هارفارد، وبالوقفية الوطنية للديمقراطية، ثم لينشئ مركزه الخاص تحت اسم "المركز العالمي للقرآن الكريم".

وفي أمريكا بشر به الكاتب: "دانيال بايبس"[٢] فقال: "إن هناك أخباراً سارة

---

(١) ٧/ ٢/ ٢٠٢١م الموافق ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ.

(٢) نيويورك صن (٢٣/ ١١/ ٢٠٠٤م) للكاتب النصراني دانيال بايبس وهو رئيس مؤسسة «منبر الشرق الأوسط للأبحاث»، ومقره ولاية فلادلفيا، وله كتابات عدة في التهجم على الإسلام والمسلمين، وقد قام مؤخرا بإنشاء «مركز التعددية الإسلامية»، أعلن أن الهدف منه هو «تشجيع الإسلام المعتدل في الولايات المتحدة والعالم»، ومحاربة نفوذ الإسلام المسلح، وإحباط جهود المنظمات ذات التوجه «الوهابي» المتطرف ـ على حد قوله ـ من خلال وسائل الإعلام، وبالتعاون مع المنظمات الحكومية الأمريكية. وأصبح من أكبر مسؤولي المركز الدكتور أحمد صبحي منصور، ومن أبرز الداعمين للمشروع نائب وزير الدفاع الأمريكي بول وولفوتيز (مهندس الحرب على العراق وأحد أبرز اليهود الناشطين بين المحافظين الجدد ورئيس البنك الدولي مؤخراً) =

تقول: إن فكرة أن الإسلام المتطرف والعنفي هو المشكلة، وأن الإسلام المعتدل هو الحل تلقى رواجًا واسعًا مع الوقت ... كذلك فإن أشخاصًا بارزين مثل أحمد صبحي منصور، ومحمد هشام قباني يرفعون أصواتهم.." (١).

وأسس صبحي مع آخرين في واشنطن "مركز التنوع الإسلامى" سنة ٢٠٠٤م، وأسس مع ناشطين أمريكيين في بوسطن "مركز مواطنون من أجل السلام والتسامح" سنة ٢٠٠٥م، وشارك في إدارة مركز "التحالف الإسلامى ضد الإرهاب" في واشنطن منذ ٢٠٠٥م

وبعد أن استقرت أحواله نوعا ما، بدأ حربه للسنة على ساحة الإنترنت، منذ أكتوبر ٢٠٠٤م، إذ أنشأ موقعا على الشبكة يدعى "أهل القرآن" (٢)، وهو ينشط

= وجيمس وولسي مدير المخابرات المركزية السابق. انظر وكالة «انترناشيونال برس سيرفيس « (في ٧/ ٤/ ٢٠٠٤) .

(١) نيويورك صن (٢٣/ ١١/ ٢٠٠٤م)، نقلا عن: مجلة البيان (٢٢٣/ ١٥).

(٢) يكتب د صبحي في «شبكة اللادينيين العرب»: فالصفحة الأساسية: المؤلفون: أحمد صبحي منصور.

www.3 almani.org/spip.php? auteur 150 - 16 k.

وموقع: «موقع الأقباط الأحرار»: الساحات العامة: الميدان الحر: الأستاذ الجليل أحمد صبحي منصور يكتب عن الأفغاني المتنصّر.

www.freecopts.net/forum/showthread.php? t=127.

والذي جرّب الدخول إلى هذا الموقع يعلم مدى الحقد على الإسلام والقرآن فيه.

فهلا شارك أحمد صبحي منصور بمقال يُدافع فيه عن القرآن الكريم من مثل مقالٍ بعنوان: «قرآن كاذب ولئيم».

«موقع الأقباط الأحرار»: الساحات العامة: الحوار الإسلامي: قرآن كاذب ولئيم.

www.freecopts.net/forum/showthread.php? t=28435.

أو دافع عن القرآن وحده ضدَّ مقال: «العلم يكشف زيف القرآن والسنة».

«موقع الأقباط الأحرار»: الساحات العامة: الحوار الإسلامي: العلم يكشف زيف القرآن =

الآن في نشر مقالاته وكتبه الضالة، على موقعه هذا وعلى بعض المواقع الأخرى، وتلقى صدى واسعا من قبل أعداء الإسلام، ويتم ترجمة بعضها للإنجليزية.

مصنفاته:

الأنبياء فى القرآن، والمسلم العاصى، وعذاب القبر والثعبان الأقرع، ولماذا القرآن، باسم مستعار وهو عبد الله الخليفة، ولا ناسخ ولا منسوخ فى القرآن.

أهم آراء د. أحمد صبحي منصور:

١ - إنكار السنة النبوية المشرفة ووصفها بأنها "من عمل الشيطان"، ووصف رواة السنة بأنهم مجرمون خونة؛ لذلك قام بتأسيس مذهب الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي.

٢ – إنكار شفاعة الرسول ﷺ، ويرفض - تبعـًا لأستاذه رشاد خليفة - الصلاة على سيد الأنام ﷺ إذا ذكر اسمه، باعتبار هذا مظهراً من مظاهر الوثنية وعبادة محمد ﷺ.

٣ – إنكاره لوجود اسم النبي ﷺ في الأذان.

٤ – إنكار قصة المعراج وقال: إن القرآن لم يذكر إلا قصة الإسراء، واعتبر أحاديث المعراج باطلة.

= والسنة.

www.freecopts.net/forum/showthread.php? t=4658.

القرآنيون، نشأهم – عقائدهم – أدلتهم (ص: ٦٨)

٥ – التكذيب بالاعتقاد بعذاب القبر، وله كتاب سماه «عذاب القبر والثعبان الأقرع» أصدره سنة ١٩٩٤م، وينشره الآن على موقعه.

٦– تطاوله على علماء الحديث النبوي مثل البخاري، الذي يتهمه بالعداوة للإسلام والقرآن والطعن في "قمم الإسلام" وخصوصـًا راوية الإسلام "أبى هريرة" رضى الله عنه، مستحلاً في ذلك الكذب والتدليس والخيانة العلمية في أفحش مظاهرها، ومعرضـًا عن شهادات رسول الله ﷺ في الثناء على أبى هريرة رضى الله عنه، وشهادات معاصرى أبى هريرة من الصحابة والتابعين، وشهادة أئمة الحديث في القديم والحديث، مستبدلاً إياها بأكاذيب الرافضة والمعتزلة والمستشرقين، وأذنابهم كأبى رية.

٧ – إنكار حكم الردة، وقال: إن القرآن لم يشتمل على ذلك.

٨ – إنكار عصمة الأنبياء، ووصفها بأنها خرافة.

٩ – الفتوحات الإسلامية عبارة عن استعمار من أجل المصالح المادية.

ومن ما نشره على موقع «موقع أهل القرآن» الذي يشرف عليه بعد استقراره بأمريكا:

أ– إنكار مصادر التشريع كالإجماع، والقياس، ففي مقالٍ له اسمه «لا قياس في التحريم»: قال: «هل تعتقد أن هنالك مجالاً للقياس في تشريعات الإسلام. يعني كقياس تحريم المخدرات على تحريم الخمر؛ لأن لكل منهما أضراراً متشابهة؟

لا يصح القياس في المحرمات؛ لأن المحرم محدد وهي استثناء، وما ليس محرمـًا فهو حلال مباح.

فإذا استعملت القياس فقد وقعت في جريمة كبرى هي تحريم الحلال.

الله تعالى عندما حرم أشياء في الطعام لم يقل بأن السبب هو الضرر. بل حرمها بدون ذكر سبب فيها يكون علة في التحريم. وعلينا الطاعة.

ب – عدم مشروعيةِ غطاءِ رأس المرأة:

قال في مقالةٍ له كتبَها على عجَل: «سننشر التفاصيل في الزيّ للمرأة والزينة، ولكن بسرعة نقول: أن النقاب حرام ومزايدة على شرع الله تعالى وتضييع له، وأن الحجاب في القرآن يعنى الستارة، وأن الخمار يعنى تغطية الصدر، وأنه ليس حراماً كشفُ شعر رأس المرأة .. الأدلة ستأتي بالتفصيل فيما بعد فى المقالات، بعونه جل وعلا» (١).

ج – جواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة (٢).

د – تحليل الزواج المؤقت ولو لنصف ساعة:

يقول بصيغة أسئلةٍ يطرحُها على نفسِه ويُجيب عنها: «وهل يجوز في الزواج الشرعي أن يتفق الطرفان على تحديد مدة للزواج؟

فأجاب: نعم؛ لأن الأصل في الزواج التراضي والاتفاق»، إلى أن قال: «إذن على هذا فإنني أستطيع أن أتفق مع أي امرأة على أن أتزوجها لمدة نصف ساعة

---

(١)«موقع أهل القرآن»: مقال «الحجاب».

(٢)يُنظَر: «موقع أهل القرآن»: مقال «من حق المرأة المؤهلة للإمامة أن تؤمّ الذكور في الصلاة» لأحمد صبحي منصور.

www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php? main_id=27&doc_type=1.

ثم أطلقها بعد ذلك ويكون زواجاً شرعياً؟ [١].

سبحانك هذا بهتان عظيم

هـ - التطاول على السلف الصالح:

مقالات هذا الرجل شاهدةٌ بذلك، فمنها على سبيل المثال:

«الإمام مالك مبتدع الدين السّنّي»[٢]، «الدين السني وتضييع العبادات الإسلامية»[٣]، «الدين السني والتشريع بما لم يأذن به الله»[٤]، «معنى الصلاة الوسطى بين التدبر القرآني والدين السني»[٥].

ومن تدبر ما يسطره المدعو/ صبحي، يلمح كأنه يقول: الإسلام شئ، وما عليه المسلمون شئ آخر، وحتى عصر الخلفاء الراشدين الذهبي الذي يُشيد به كثيرٌ من غير المسلمين يتهجّم عليه أحمد صبحي منصور، ويفتري ما سماه

---

(١)«موقع أهل القرآن»: مقال «زواج المتعة».
www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php? main_id=58.

(٢)«موقع أهل القرآن».
www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php? main_id=4983.
و«موقع مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي».
www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp? t=2&aid=164872.

(٣)«موقع مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي».
www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp? t=2&aid=152584.

(٤)«موقع مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي».
www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp? t=2&aid=151006.

(٥)«موقع أهل القرآن».
www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php? main_id=3742.

«بداية اضطهاد الأقباط في عصر الخلفاء الراشدين»(١).

جهود العلماء ضده:

وكان أول من فند آراء الدكتور صبحي وأبطلها الدكتور عبد الجليل شلبي الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية إذ يقول: "إن الدكتور صبحي منصور شكك في مسائل إسلامية كثيرة بعضها متعلق بالعقيدة وبعضها متعلق بشخصية الرسول ﷺ".

وغضب عميد كلية اللغة العربية الدكتور سعد ظلام غضبا شديدا لهذه الآراء وقدم الكتاب الذي يتضمن هذه الآراء عن الرسول ﷺ وعن السنة إلى مجمع البحوث الإسلامية الذي بدوره حوله إلى لجنة خاصة لمناقشته وتفنيد ما في الكتاب، ومن العلماء الذين قدموا تقريرا في هذا الكتاب الذي يشكك في السنة النبوية الدكتور الطيب النجار ونشرت صور من التقارير بينت بطلان آراء الدكتور صبحي منصور الذي اتهم الرسول ﷺ بكتمان الوحي وكذلك أيضا كان رأي الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي مصر بأن هذا الرجل وجماعته ينكرون السنة، وكذلك أيضا رأي الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ببطلان هذه الآراء، وكذلك الدكتور عبد الصبور مرزوق قال إن الدكتور صبحي منصور لن يكون الأول والأخير في محاولات النيل من السنة المطهرة، والأستاذ فهمي هويدي بين أن السنة كانت هدفا منذ بعيد لسهام هؤلاء المغرضين وقد فند آراء الدكتور صبحي كثير من العلماء والمفكرين

(١)«موقع أهل القرآن»: مقال «اضطهاد الأقباط في مصر بعد الفتح الإسلامي».
www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php? main_id=80.

وردوا عليها.

بارك الله في الأزهر الشريف جامعًا وجامعًة، وجعله الله حصنا حصينا لهذا الدين ومنارة للإسلام.

وللإنصاف فمرد المشكلة لدى هؤلاء الحمقى ليست عقلانية ولا مذهبية ولا حتى إنكار سنة أو غير ذلك من المسائل، وإنما مردّها إلى جهاتٍ أخرى تعمل وتنفق المليارات من أجل التشكيك في ثوابت الإسلام وتستخدم أسماء وأجسام تعيش في ديار المسلمين أو عاشت فيها فترة، ولكلٍّ من هؤلاء المخذولين ثمنٌ على حسب عمله وما يفسده في الإسلام حسبما زعموا.

فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وبحول الله وقوته سيرد على شبهاته في الاكتفاء بالقرآن وغيرها في الباب الثالث: شبهات عامة حول السنة[1].

---

(١) موقع
https://www.goodreads.com/author/show/4373807_.
تاريخ الزيارة :٨/ ٢/ ٢٠٢١
يعتبر الأب الروحي للقرآنيين ومؤسس منهج الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي.
من أفكاره المميزة:

- تقسيم الكفر إلى كفر سلوكي وكفر عقائدي.
- الصلاة على النبي ﷺ تعني اقتداء المؤمن بالنبي.
- الصلاة الوسطى هي الصلاة التي تثمر عملا صالحا وتحقق تقوى الله.
- إنكاره لصيغة التشهد.
- إنكاره للصلاة الإبراهيمية في التشهد أثناء الصلاة واعتبارها نوع من الشرك.
- إنكاره لوجود اسم النبي في الأذان

=

المبحث الثالث

المستشرقون وموقفهم من السنة المطهرة(١)

مفهوم الاستشراق:

اختلف الباحثون في إيجاد تعريف موحد للاستشراق، رغم أن هذا الاختلاف شكلي وجزئي، إلا أنهم يتفقون فيما بينهم على عناصر مشتركة للاستشراق والمستشرقين، ويعود ذلك إلى تصور كل واحد منهم لحقيقة الاستشراق وأهدافه. وعلى كل حال فهو في صورته العامة: عبارة عن اتجاه فكري غربي يقوم بدراسة حضارة الأمم من جوانبها الثقافية والفكرية والدينية والاقتصادية والسياسية كافة، لغرض التأثير فيها.

قال الشيخ/ حَبَنَّكَة الميداني: "الاستشراق: تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين: (شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية وبلدانهم وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات

=

- الفتوحات الإسلامية عبارة عن استعمار من أجل المصالح المادية
- القول بأن دولة النبي أول دوله علمانية

(١)المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستِشراق - الاستعمار، الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، السُنَّة في مواجهة شُبُهات الاستشراق، الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام، أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ

وحضاراتهم وكل ما يتعلق بهم) .

وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين، مسلمين أو غير مسلمين، أن يكون غطاءً للهدف الأساسي، الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراض التبشير من جهة، وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ثم لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية وتجزئتها وتفتيت وحدتها" (١).

تاريخ الاستشراق وتطوره

إن تاريخ الاستشراق جذوره تمتد إلى الصدر الأول من الإسلام، متمثلاً باليهود والنصارى الذين لم يألوا جهدًا من أجل محاربة هذا الدين، وذلك بالطعن فيه والهمز واللمز في أحكامه وتشريعاته، واتهام الرسول ﷺ بالمجنون والساحر والشاعر، يقول الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾(٢)، ويقول جلّ ذكره عنهم أيضًا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ ﴾(٣). وقوله: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ ﴾(٤).

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة (ص: ١٢٠).

(٢) سورة: الأنبياء من الآية: ٥ .

(٣) سورة: الفرقان: ٤-٥ .

(٤) سورة المدثر: ٢٤-٢٥.

وقد اتخذ هؤلاء المشركون سبلاً كثيرة للطعن في هذا الدين لإعراض الناس عنه، فتارة يحرفون آياته وتارة يكتمون الحق وهم يعلمون، وأخرى يشككون فيه بالطعن في الوحي نفسه، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾(١)، ويقول جل ذكره: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾(٢).

وكثيرًا ما كان يتبع المشركون سبيل الدخول في الإسلام لفترة وجيزة ثم الارتداد عنه ليبين للناس أنهم جربوا هذا الدين؛ لأنه غير نافع وغير صحيح، لإخراجهم إلى ظلماتهم وضلالهم، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٣).

هذه المواقف والأفعال لم تكن ذات أبعاد إنسانية أو إيجاد الخير للناس وإظهار الحق واتباعه، وإنما كانت جميعها منصبة ليردوا الناس عن دينهم ويتبعوا دياناتهم المنحرفة، يقول الله تعالى فيهم: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٤).

---

(١)سورة: البقرة: من الآية: ٧٥.

(٢) سورة البقرة: آية: ٤١-٤٢ .

(٣)سورة: آل عمران: من الآية: ٧٢.

(٤)سورة: البقرة: الآية: ١٠٥.

ويقول أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾(١).

وكل هذه الوسائل وغيرها اتبعها المشركون للصد عن دين الله، ويتبعها المستشرقون المعاصرون في نشاطاتهم الفكرية والثقافية، وهذا يعني حقًا أنهم امتداد لذلك التيار المعارض والمحارب لدين الله تعالى في بداية بزوغه.

إلا أن نشأة الاستشراق في القرون المتأخرة ليس له تاريخ محدد ومعلوم، وإنما بدأ تأسيسه عندما حاول بعض الرهبان الغربيين السفر إلى الأندلس ودرسوا القرآن والكتب العربية وترجموها إلى لغاتهم، وذلك بالاستعانة بالعلماء المسلمين في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها، ومن أوائل هؤلاء الغربيين الراهب الفرنسي "جربرت" الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وكذلك "بطرس المحترم ١٠٩٢-١١٥٦م" و"جيراردي كريمون ١١١٤-١١٨٧م".

وبعد عودة هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا هذه الثقافة التي ارتأوها من الأندلس في بلادهم واستفادوا منها قرابة ستة قرون تقريبًا، من حيث دراسة اللغة العربية وترجمات القرآن الكريم وأمهات الكتب والمراجع العربية العلمية، إلى أن جاء عهد الاستعمار في القرن الثامن عشر، على العالم الإسلامي، للاستيلاء على خيراته وثرواته المادية والثقافية، فقد ظهرت فئة من هؤلاء الغربيين الذين تفرغوا تمامًا بالتعاون مع الاستعمار لنهب ثروات العالم الإسلامي العلمية والفكرية، والمتمثلة بالدرجة الأولى في الكتب والمخطوطات القيمة بأبخس

(١)سورة: آل عمران: من الآية: ١٠٠.

الأثمان، مستفيدين من الفوضى العارمة في العالم الإسلامي، حتى بلغ عدد هذه المخطوطات والوثائق العلمية في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد، والعدد يتزايد يومًا بعد يوم [(١)].

وقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م،[(٢)] وكان بداية لعشرات المؤتمرات التي بدأت تدرس أحوال العالم الإسلامي وطرائق الوصول إلى ثرواته، ودراسة نقاط الضعف والقوة فيه، مستعينة بالقوى الاستعمارية الكبرى، ولا تزال هذه المؤتمرات والندوات في أوجها حتى هذا العصر، والتي كانت من إحدى نتائجها الحرب الحالية على العالم الإسلامي، ومحاولة مسح الهوية الإسلامية من الوجود وذلك باتهام المسلمين ومصادر تشريعهم، ولكن أنّى لهم ذلك، وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[(٣)]، ويقول أيضًا: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ ﴾[(٤)].

وهذه المحاولات الجادة لتشويه صورة الإسلام والنيل منه تحتم على المختصين من أبناء المسلمين اليقظة والوعي والدراسات الجادة للقيام بمهمتهم، والسعي لنشر دينهم والحفاظ على مصادر تشريعهم.

---

(١)الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص١٧-١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣)سورة: الحجر: الآية: ٩.

(٤)سورة: التوبة: من الآية: ٣٢.

دوافع الاستشراق:

١ - الدافع الديني:

تتبين حقيقة هذا الدافع للاستشراق من خلال دراسة نشأته وتاريخه، فقد نشأ على أيدي الرهبان وكان خروجه من الكنيسة، وهذا الدافع كان أمرًا ضروريًا للكنيسة، ولاسيما أنه قد حدثت مواجهة بين الكنيسة والعلم، وأفلست الكنيسة في أطروحاتها ومبادئها التي كانت تتغنى بها، فما كان لها من سبيل إلا الهجوم على دين الإسلام، وكما قيل: أفضل وسيلة للدفاع هو الهجوم، فجعل الاستشراق غايته الهجوم على الإسلام في عقيدته وعبادته وأحكامه، وتصويره بأنه دين القتل وسفك الدماء والشهوات، كل ذلك من أجل التغطية على فشل الكنيسة واصطدام مبادئها بالعلم والواقع والتاريخ.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الاستشراق التقى في هدفه الديني مع تلك الجمعيات التنصيرية التي كان من أهم أهدافها تحويل المسلمين عن دينهم في الأحكام والأخلاق والمعاملات، إلى دين النصرانية، وذلك بتقديم الخدمات لهم في جميع المجالات، فإن استجابوا لذلك ودخلوا النصرانية كان هو المطلوب والمرسوم، وإن لم يستجيبوا في دخول النصرانية، فيكفي إخراجهم من دينهم إلى الإلحاد والشيوعية وغيرها، وقد أصاب هذا الداء كثيرًا من أبناء الأمة التي تخلت عن دينها إلى لا دين، فصاروا ملاحدة وزنادقة، فوزعت سموم الإلحاد وقذارة التغريب على المجتمعات الإسلامية التي لا تزال تعاني منها ومن أتباعها.

٢ - الدافع الاستعماري:

بعد أن انهزم الغرب في حروبه الصليبية على العالم الإسلامي، وكانت

شديدة الوطأة على الغرب من النواحي كافة، العقدية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، والعسكرية، إلا أن الغرب بدأ يعيد حساباته، ويخطط للاحتلال والغزو مرة أخرى، ولكن في هذه المرة يكون بشكل آخر واستراتيجية مختلفة، حيث لجأ هذا العدو إلى تأسيس مراكز وأكاديميات مختصة بشؤون العالم الإسلامي، وصرف جهودًا جبارة وأموالاً طائلة، لتكون مرافقة مع استعمارها للأمة وبلادها.

لقد درست هذه المراكز حال الأمة الإسلامية عقديًا وجغرافيًا واقتصاديا وعسكريا، وعرفت نقاط الضعف فيها ودرستها دراسة عميقة وواعية، فبدأ الاحتلال العسكري مرة أخرى، من خلال تلك النقاط، وكان احتلالاً عسكريًا وفكريا في آن واحد، وبعد أن تمركزت قوتهم في العالم الإسلامي، بدأ الاحتلال الفكري أو الغزو الفكري لعقول أبناء الأمة ونفوسها، وذلك بإظهار تفوقهم العلمي والتقني، وتخلف المسلمين في ذلك، وكذا بث روح الضعف والوهن في نفوسهم؛ لقتل روح المقاومة والتمسك بدينهم، وإظهار هذا الدين بصورة مشوهة غير صحيحة، مما كان له أثره الخطير في الأمة، فقد تأثر جمع غفير من أبنائها بهذه الوسائل، وقد ساعدهم على ذلك حصولهم على الثروات العلمية الإسلامية في البلاد المستعمرة، وتمكنهم من دراسة علومها في اللغة والأدب والدين والفقه والسيرة، واستطاعوا أن يخرجوا من بطون هذه الكتب نماذج من الأدب الوضيع والفكر المنحرف والعقيدة الفاسدة، والتركيز عليها وتوصيلها إلى المثقفين والدارسين من أبناء الأمة على أنها الإسلام، فكان وسيلة قوية لتلك الدول على الاحتلال العسكري والبقاء لفترات أطول في ديار المسلمين، والاستيلاء على ثرواتهم وتسخيرها في مصالحهم المعيشية والتقنية والعسكرية.

هذا بالإضافة إلى الدور الذي قام به هؤلاء المستشرقون في إفشاء روح الإقليمية والعنصرية بين المسلمين والتركيز على إثارة الفتن القومية بين الشعوب، كافتخار العربي بالعروبة والتركي بالتركية والمصري بالفرعونية، والكردي بالكردية، والفارسي بالفارسية وهكذا، فكان كل ذلك معول هدم وخراب، لذلك البناء المتين الذي أرسى قواعده الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، والعمالقة من أبناء الإسلام على مرّ العصور والأزمان، رغم أن الدين الإسلامي جاء وأزال كل هذه التصورات التي عدّها صفات جاهلية لا تتناسب مع الرسالة الربانية.

والحق أن الاستشراق صار ملازمًا للاستعمار أينما حلّ وأناخ، وتوسع مجاله ونطاقه بتوسع احتلاله واغتصابه لحقوق الشعوب عامة والمسلمين خاصة، حيث يقول المستشرق الهولندي سنوك هرجرنجي عن ذلك بقوله: "إن الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية، ليس فقط لأسباب نظرية متعلقة بتاريخ القانون والحضارة والدين، ولكن كذلك لأهداف عملية: وذلك أنه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي، وكلما زاد عدد البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيين لنتعرف على الحياة الفكرية، وعلى الشريعة، وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية" (١).

٣ - الدافع السياسي:

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: "وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في

---

(١)رؤية إسلامية للاستشراق أحمد غراب، ص٥٣.

عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرًا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون - ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية - يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية، بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تمامًا نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم" (١).

٤ - الدافع الاقتصادي:

وهو من الدوافع التي ساعدت على تنشيط حركة الاستشراق وهي أن الدول الغربية بعد أن تعرفت على المنطقة الإسلامية وتعرفت على ثرواتها وخيراتها، أرادت أن تفتح مع هذه المنطقة صفحة أخرى أو علاقة أخرى من العلاقات التي تروي اقتصادهم وتدعم مصانعهم وشركاتهم، وبالتالي تسهل عليهم حركة التطور العلمي والتقني، وذلك بالاتصال المباشر مع العالم الإسلامي اقتصاديًا وذلك باستيراد ما تفتقر إليه من المواد الخام الطبيعية وبأسعار زهيدة وبخسة، حفاظًا على مستوى التصنيع والتقنية عندهم، وإبقاء لمستوى التراجع والتخلف في منطقتنا الإسلامية، التي كانت مهداً للصناعات

---

(١)الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، ص٢٣-٢٤.

والاختراعات، وجعلها منطقة استهلاك فحسب، وبذلك يتم القضاء كليا على الصناعات الوطنية والمحلية.

ومن أهم نتائج هذا الدافع وثمراته أن أموال المسلمين ومصالحهم صارت بأيدي الغربيين، فمعظم أغنياء المسلمين وأصحاب الثروات الكبيرة والأرصدة العالية، يودعون أموالهم وأسهمهم في بنوك الغربيين، حيث لا يصل إليهم من هذه البنوك إلا النزر اليسير من الأرباح، أما الغربيون فيربحون من وراء هذه الأرصدة الملايين والمليارات، وإذا صارت هناك إشكالات أو مشكلات سياسية بين هذه الدول الغربية والدول الإسلامية، ربما تؤدي بتلك الأموال المودعة إلى التجميد أو إلى الاستيلاء عليها، ولا يحق لأصحابها استرجاعها أو المطالبة بها، كما حدث في الآونة الأخيرة في أمريكا وبعض الدول الغربية الأخرى، التي اتهمت مؤسسات وشركات ومنظمات خيرية بدعمها للإرهاب من أجل حيازة أرصدتهم وأموالهم، وكل ذلك ثمرة واضحة لمخططات المستشرقين مع دولهم الاستعمارية لنهب ثروات الأمة الإسلامية بشتى السبل والوسائل.

٥ - الدافع العلمي:

بعد أن تعرفنا على مجموعة من الدوافع المغرضة للاستشراق والمستشرقين، فإن هناك فئة قليلة ونادرة جدًا من هؤلاء الغربيين الذين يقبلون على دراسة الإسلام دراسة حقيقية لفهمه والاطلاع عليه، مجردين من الدوافع والأغراض التي سبق ذكرها، وهؤلاء يعدون من الصادقين في أبحاثهم ودراساتهم، إلا أنهم غير مدعومين من الدول الغربية، ولا من المؤسسات الاستشراقية التي تأسست على أساس تشويه الإسلام وتحريف أحكامه عند

الناس، من أجل ذلك لا يكون لهم صيت قوي وشهرة شائعة في الأوساط العلمية والسياسية والدولية. وربما يجد هذا القسم من المستشرقين مضايقات وعقوبات من قبل حكوماتهم لأنهم لا يمثلون وجهة نظرهم ولا يخدمون مصالحهم، ومن هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرس الإسلام دراسة عميقة ومجردة، وربما يتحول إلى داعية ومفكر يدافع عن حمى الإسلام ودياره، ومن هؤلاء المستشرقين الذين كان هذا شأنهم المفكر محمد أسد صاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"، وتوماس أرنولد صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" والذي ركز فيه على التسامح الديني في الإسلام والتزام المسلمين بهذا المبدأ عبر التاريخ، إلا أنه تعرض لأكبر هجمة استشراقية واتهموه بأنه لم يعتمد في كتابه على الأدلة العلمية، وإنما على عاطفته تجاه المسلمين، رغم أنه لم يورد حادثة من التاريخ إلا ووثقها من مصادرها ومراجعها العلمية.

ومن هؤلاء المستشرقين أيضًا المستشرق الفرنسي "دينيه" الذي أسلم في الجزائر وغيّر اسمه إلى "ناصرالدين دينيه" وألف مع كاتب جزائري كتابًا في السيرة النبوية، وله كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام" الذي بيّن فيه حقد الغرب وتحاملهم على الرسول ﷺ، ومنهم أيضـًا المستشرق "عبد الكريم جرمانوس" وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند، ولد سنة (١٨٨٥) وتوفي سنة (١٩٧٩م) وكان يتمنى أن يعيش مائة عام، لأن اللغة العربية في رأيه تحتاج إلى مائة سنة لفهمها. كان عضواً في المجمع اللغوي في القاهرة. أحب الإسلام واللغة العربية وخدمهما. ألف أكثر من مائة وخمسين كتابـًا عن الإسلام(١).

(١)أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني(ص: ١٣٣).

أهم شبهات وافتراءات الاستشراق حول السنة النبوية

تمهيد:

إن المتتبع للشبهات التي تثار حول السنة النبوية من قبل المستشرقين والمعادين لدين الله، فإنه سيجد أن هؤلاء يحاولون التشكيك في كل شيء في هذا الدين، وليست هناك شبهات محددة وإنما الدين كله مثار للشك والشبهة عندهم، ويظهر ذلك واضحًا في كتاباتهم ومحاضراتهم وندواتهم، وحتى في صحفهم ومجلاتهم، وهذا يعني أن التصدي الحقيقي للاستشراق يكمن في دراسة أصوله وحقيقة أهدافه، وبيان ذلك لأبناء الأمة، في كل مناسبة وكل مكان، لأن كثيرًا من هذه الشبهات هي قديمة في حقيقتها ومضمونها تبنتها المعتزلة والخوارج في فترات معينة، وخمدت نارها بعد أن تصدى لها علماء الأمة المخلصون، حتى جاء هؤلاء المستشرقون وأعادوا إثارتها وصياغتها من جديد.

لذلك لا نستطيع أن نبحث هذه الشبهات جميعها ونناقشها بالأدلة العقلية والمنطقية، وبالأحداث التاريخية، والدراسات الموضوعية، لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات ومصنفات، ولكننا سنذكر بعض الشبهات التي اتفقت عليها كلمة معظم المستشرقين حول السنة النبوية، والنيل من شخصية الرسول ﷺ، ابتداء من تشكيكهم في مفهوم السنة نفسها.

الشبهة الأولى: الزعم أن السنة غير الحديث، وأنهما ليسا بمعنى واحد، وهي جوهر العادات والتقاليد الموروثة (١).

يقول جولد تسيهر عن مفهوم السنة: "هي جوهر العادات وتفكير الأمة

(١) ينظر: المستشرقون والسنة (ص: ٢٩) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٢٢) نظرة المستشرقين للسنة النبوية المطهرة (شبهات وردود) (ص: ٢).

الإسلامية قديمًا وتعد شرحًا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرًا عمليًا حيًا" (١).

كما يقول أيضًا هذا المستشرق: "ما من أمر أو فعل يوصف عندهم بالفضل أو العدالة إلا إذا كان له أصل في عاداتهم الموروثة أو كان متفقًا معها، وهذه العادات التي تتألف منها السنة تقوم عندهم مقام القانون أو الديانة، كما أنهم كانوا يرونها المصدر الأوحد للشريعة والدين، ويعدون اطراحها خطأ جسيما، ومخالفة خطيرة للقواعد المعروفة والتقاليد المرعية التي لا يصح الخروج عليها، وما يصدق على الأفعال يصدق أيضًا على الأفكار الموروثة، والجماعة يتحتم عليها أن لا تقبل في هذا المجال شيئًا جديدًا لا يتفق مع آراء أسلافها الأقدمين" ثم يقول: "فكرة السنة يمكن إدراجها بين الظواهر التي سماها سبنسر ب العواطف القائمة مقام غيرها وهي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات خلال الأجيال والأحقاب، والتي تركزت وتجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة أو الصفات التي يتوارثها أفراد هذه البيئة" (٢).

ثم يتطرق هذا المستشرق إلى تحديد مفهوم الحديث الذي يفصله عن مفهوم السنة بقوله إن الحديث: "الشكل الذي وصلت به السنة إلينا، فهما ليسا بمعنى واحد، وإنما السنة دليل الحديث، فهو عبارة عن سلسلة من المحدِّثين الذين يوصلون إلينا هذه الأخبار والأعمال المشار إليها طبقة بعد طبقة، مما ثبت عند الصحابة أنه حاز موافقة الرسول ﷺ في أمور الدين أو الدنيا، وما ثبت

(١) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر، ص٤١.

(٢) المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، عجيل جاسم النشمي، ص٨١

أيضًا حسب هذا المعنى من المُثُل التي تحتذى كل يوم" (١).

وأما شاخت فيقول: "إن الأحاديث ليست هي السنة بل هي تدوين السنة بالوثائق" (٢).

فالسنة عند المستشرقين غير الحديث، وأنهما ليسا بمعنى واحد، وهي جوهر العادات والتقاليد الموروثة.

الجواب عن هذه الشبهة:

قد بينا من قبل حقيقة مفهوم السنة والحديث لدحض هذا الخلط الذي انتهجه المستشرقون بقصد التشويش والتضليل على أبناء الأمة، والتشكيك في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

فالسنة في اللغة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، وعند المُحَدِّثِينَ: كل ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صِفة خَلقية أو خُلُقيَّة، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحَنُّثِهِ في غار حراء، أو بعدها، عند الفقهاء: تعددت تعريفات السنة عند الفقهاء ولكن مدلول هذه التعريفات واحد، فمنها: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، ومنها: كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض والواجب (٣)، وعند الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير (٤).

---

(١)المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، عجيل جاسم النشمي ، ص٨٣.

(٢)المرجع السابق، ص٨٤.

(٣)الإحكام للآمدي ١/ ١٦٩، شرح الكوكب المنير ١/ ١٦٠.

(٤) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج ط دبي (٥/ ١٧٤٩) قال السبكي: وتطلق السنة على: =

وهذا التفصيل والتوضيح كاف لأن يزيل الغمة عن أفهام بعض من قد يجد التشويش الاستشراقي إلى فكره سبيلاً، هذا التشويش الذي يقصد به إلحاق اللغط وعدم الضبط في أهم علم من علوم هذا الدين وهو علم السنة والحديث، فيسقط ادعاء هؤلاء المغرضين من أن السنة خليط من المأثور القديم، وليعلموا بعد ذلك هؤلاء القوم جهود العلماء الأفذاذ الكبيرة

وأسفارهم الطويلة والمديدة في سبيل تحصين هذا المصدر من سموم الحاقدين وإفك المفترين.

ثم إنهم لم يقفوا عند هذا الحد في خلطهم بين السنة والحديث، وإنما عمدوا إلى الطعن في أركان السنة التي ترتكز عليها.

 الشبهة الثانية: الطعن في رسالة النبي ﷺ(١).

إن الطعن في رسالة النبي ﷺ يعني هدم الدين بالكامل لذلك ركز هؤلاء المستشرقون على الطعن في حقيقة الرسالة والوحي من السماء ليكون بمثابة هدم الصرح الذي يرتكز عليه الإسلام بالكامل، وذلك بالتشكيك في أصل الدين ومنبع أحكامه وأوامره ونواهيه، وبالتالي تتساقط المبادئ الأخرى تلقائيًا، وهذا

=

ما صدر عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال التي ليست للإعجاز، البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٦) وقال الزركشي: وكذلك الهمّ، ولم يذكره الأصوليون، ولكن استعمله الشافعي في الاستدلال.، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (٢/ ١٦٠) قال ابن النجار: ولو" كان أمرا منه "بكتابة" كأمره ﷺ عليا رضي الله عنه بالكتابة يوم الحديبية.

(١) ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية (ص: ١٤) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١/ ١١) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٢٧) موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية (ص: ٦٨).

الأسلوب العدائي الناتج عن الحقد الغائر في صدور أولئك القوم كان الأسلوب نفسه الذي مارسه كبراء قريش وزعماء الشرك في الصدر الأول من عهد هذا الدين، حيث اتهم المشركون الرسول ﷺ بأن ما يأتي به محمد ليس إلا نوعًا من الجنون أو صرعًا ينتابه في بعض الأحيان، فيأتيه وهو في حالته هذه بعض الأمور فيبثها على الصحابة من حوله، أو هو نوع من السحر يتعامل من خلاله مع الجن فيعلمونه أمورًا يجهلها المجتمع العربي في ذلك الوقت، وغيرها من الافتراءات والأكاذيب التي لا سند لها ولا دليل، فكان ذلك بمنزلة طعن في الوحي والتشكيك فيه.

يقول المستشرق هنري ماسيه في كتابه "الإسلام": "ووفقًا للتقاليد فإن محمدًا تلقى في بادئ الأمر نوعًا من الدوي فصار كأنه مصاب بالحمى، وشحب لونه وارتجف وتدثر بدثار، وهناك بعض المؤرخين - والبيزنطيون منهم على الخصوص - تحدثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد مصابًا به، ومن المعلوم في القرون الوسطى في الشرق كما في الغرب أن هؤلاء المرضى كانوا يتخيلون كأن روحًا تمتلكهم، وقد أصبحت النوبات عند محمد مألوفة كثيرًا ابتداء من الوحي الأول الذي حدث في شهر رمضان"(١).

ويقول المستشرق واشنجتون آفنج في كتابه "حياة محمد" تحت عنوان "مسألة تعرض محمد لحالات من الصرع": "وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب المسيحيين، ويبدو أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد

---

(١)دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، د. علي علي شاهين، ص١٢٤-١٢٥.

أيدوها، فذهبوا إلى أن محمدًا كان يصاب برعدة عنيفة ثم بنوع من الإغماء أو التشنجات وفي خلال ذلك ينحدر من جبهته سيل من العرق البارد، فكان يرقد وعيناه مغلقتان وقد انتشر الزبد حول فمه ... وكانت زوجته عائشة ومولاه زيد ممن وصفوا هذه الحالة وذكروا أنها تحدث له نتيجة نزول الوحي عليه، وقد انتابته هذه الحالة عدة مرات في مكة قبل نزول القرآن وخافت خديجة عليه، إذ ظنت أنها نتيجة تأثير الأرواح الشريرة، وأرادت استدعاء أحد المشعوذين ليفحصه، ولكن محمدًا نهاها عن ذلك، فكان لا يحب أن يراه أحد خلال هذه النوبات" (١).

الجواب عن هذه الشبهة:

١ – إن التشكيك في الوحي ووصفه بأنه ضرب من الصرع أو السحر، هو الوحي نفسه الذي كان ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام.

لماذا يكون هذا الوحي نتيجة صرع وقع على النبي محمد ﷺ، وصدق وحقيقة مع موسى وعيسى عليهما السلام؟ أليس هذا الكلام نفسه نوع من الازدواجية في القياس والتحليل؟؛ بل إنه كراهية وحقد دفين في نفوس هؤلاء الغربيين تجاه هذا الدين الذي توسع بفضل الله تعالى ووصل إلى أقاصي الأرض.

ثم إن الوحي كان ينزل على الرسول ﷺ بصور متعددة فأحيانًا كصلصلة الجرس وأحيانًا بصورة رجل، وأحيانًا بصورته الحقيقية، كما ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله

---

(١)المرجع السابق.

كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: **"أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"**. قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا" (١).

٢ - أن الوحي الذي كان ينزل على النبي ﷺ بتلك الصور المتعددة لم يكن بينه وبين الصرع أي تقارب أو تشابه، لأن الصرع عندما يصيب الإنسان يفقده النطق والحركة وتصطك أسنانه وتزيغ عيناه، فأين هذا من الحالة التي كان عليها النبي عليه الصلاة والسلام وهو يتلقى الوحي؟ ثم كيف يؤمن به الناس وهو يعاني مرض الصرع، وهو الذي يأتيهم بكلام فصيح وبليغ، تحدى العرب به عدة مرات في كتاب الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢).

٣ - أن الحالات التي ذكرها هؤلاء هي محض افتراء وكذب وليس عليها دليل علمي، وإنما هي مجرد أقاويل، لأن الرسول ﷺ عندما جاءه الوحي في المرة الأولى كان في غار حراء، ولم يسبقه شيء قبل ذلك كما يدعي هؤلاء حيث تقول عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب

(١)صحيح البخاري، برقم ٣٢١٥.
(٢)سورة: البقرة: من الآية: ٢٣-٢٤.

إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: "ما أنا بقارئ". قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾(١)، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: "زمِّلوني زمِّلوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع"(٢).

وإن جبريل عليه السلام حين جاءه كان على صورته الحقيقية كما يقول الرسول ﷺ: **"ثم فتر عني الوحي فترة. فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض"** (٣)، وهذا يرد قولهم أن محمدًا تلقى في البداية نوعًا من الدوي.

٤ - أما قولهم أن النبي ﷺ كانت تأتيه هذه الحالات قبل مجيء الوحي فإنه لا يستند إلى شيء، والتاريخ يثبت كذب هذا القول وزوره، لأن هؤلاء يريدون مِنْ وراء ذلك أن يفصلوا الوحي الحقيقي عن حياة النبي ﷺ، وعدَّه حالة قديمة معه عليه الصلاة والسلام. فأين المستند على ذلك؟!

---

(١)سورة: من الآية: العلق: ١-٣.
(٢)صحيح البخاري، برقم٣.
(٣)صحيح البخاري، برقم ٣٢٣٨.

٥ - أما قولهم وافتراؤهم على خديجة رضي الله عنها بأنها خافت عليه وخشيت أن يكون الوحي من الأرواح الشريرة، فإنه مردود عليهم بقول خديجة نفسها رضي الله عنها، عندما أخبرها النبي ﷺ بالوحي وقال: " خشيت على نفسي"، فردَّت أمّنا رضي الله عنها: "كلا والله لن يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق".

وأما قولهم: إنها ذهبت به إلى مشعوذ، فإن ذلك افتراء، لأن الذي ذهبوا إليه هو ورقة بن نوفل الذي تنصر وكان عنده علم من الكتب السماوية.

الشبهة الثالثة: الطعن في شخصية النبي ﷺ(١).

أ – الطعن في تعدد زوجاته ﷺ.

يقول غوستاف لوبون: "وضعف محمد ﷺ الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يُخْفِ محمد ﷺ حبه للنساء، فقد قال: "حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة".

ولم يبال محمد بسن المرأة التي كان يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنوات، وتزوج ميمونة وهي في السنة الحادية والخمسين من عمرها، ورأى زوجة ابنه بالتبني، فوقع في قلبه منها شيء، فسرَّحها بعلُها، ليتزوجها محمد ﷺ"(٢).

---

(١) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٣٢)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ١٥)، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين (ص: ٣٥٣) مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ٣٦٩).

(٢)حضارة الغرب، غوستاف لوبون، ص١٤٢.

ويقول جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة: "روي عنه ﷺ أنه قال: "**إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء**" وأضيف إلى ذلك فيما بعد: "وجعلت قرة عيني في الصلاة" وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام خصومه الذين أخذوا عليه أنه لا يشتغل بغير النساء مما لا يتفق وصفة النبوة"(١).

يقول الله تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(٢).

فهؤلاء يريدون إحداث خلل في عقيدة المسلم وتشكيكه في نبيه ﷺ ورسالته، وذلك حسب أهوائهم وتصورهم البشري القاصر، ثم يكون هدم الفروع سهلاً عليهم، ولكن الله تعالى هيأ لحفظ هذا الدين رجالاً وعلماء استطاعوا بفضله جل وعلا أن يتصدوا لهؤلاء، يقول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٣).

والعداء لهذا الدين قديم منذ أن أرسل الله الأنبياء والرسل الأولى، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾(٤).

الجواب عن هذه الشبهة من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الله تعالى أباح لنبيه ﷺ الزواج لأكثر من واحدة، وهذا

(١)موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين ١/ ٥٢٤.
(٢)سورة: الكهف:من الآية: ٥.
(٣)سورة: إبراهيم: من الآية:٢٧.
(٤)سورة: الفرقان: من الآية:٣١.

شرع الله الذي نحن به مؤمنون أبدًا، وهذه عقيدة المؤمنين الصادقين عبر التاريخ الإسلامي الطويل من عهد النبوة إلى قيام الساعة، مهما تقوّل المبطلون، أو افترى الحاقدون، ولكن هذا التعدد بشرط عدم الجور والميل، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣﴾[1]، ولا يتوقف التعدد -مثلًا-:

على عقم المرأة، ولا مرضها مرضًا يمنع الرجل من التحصن، ولا على كثرة النساء كثرة يخشى منها على عفافهن، كما في الحروب وغيرها.

هذا، وقد وضعت الآية الكريمة (تعدد الزوجات) في موضع الأصل للتخلص من عدم القسط في اليتامى، ثم ذكرت الآية الاقتصار على الواحدة عند طروء الخوف من عدم العدل بين الزوجات، ولهذا الزواج في دين الإسلام حِكَمٌ وأسباب، تبيّن لنا بعضها وغاب عنا بعضها الآخر.

بعض حكم تعدد الزوجات:

أ- أن الرسول ﷺ يقول: **"النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوَّجوا فإني مكاثِرٌ بكم الأمم. ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإنَّ الصوم له وِجاء"** [2].

ب – التعدد أثر لعامل جنسي جُعل في طبيعة الذكر والأنثى، ويقضي هذا العامل باستمرار قوة الرجل، واتساع مدى استعداده للمعاشرة، ويقضي في

---

(١) سورة النساء، من الآية: ٣.

(٢)سنن ابن ماجه، رقم ١٨٤٦.

الوقت ذاته بطروء فترات -تنعدم فيها أو تقل- قابلية المرأة كفترات الحيض، والحمل، والوضع، والنفاس.

كذلك فإن أمد الاستعداد عند المرأة ينتهي ببلوغها سن اليأس الذي يكون في أكثر الحالات عند الستين.

وبهذا، تظل القوة الجنسية عند الرجل مهددة له في صحته أو في خلقه أو فيهما معًا.

ومن العلماء من يرى: أن التعدد أثر لسنة إلهية قضت بتفوق عدد النساء على أعداد الرجال، وفي الوقت ذاته قضت بقلَّة الرجال فجعلت الوفيات فيهم أكثر من الوفيات في النساء.

وإذا لم يكن من عوامل السنة الكونية سوى تلك الحروب التي تشن على الدوام غاراتها في أرجاء العالم لكفت في الدلالة على ما أشرنا إليه، فما بالنا إذا ضم إلى ظاهرة الحرب التي تَغتال الرجال، وتَجعل كثرة الأمم أطفالًا ونساء، ظاهرة التعرض لمآزق الحياة المرهقة، وبخاصة في طبقات العمال الذين يباشرون أعمالهم بين الحديد والنار، وفي أعماق البحار. . وفي غير ذلك من المجالات المرهقة التي لا يؤمن فيها الهلاك والموت لكان ذلك كافيًا! !

أوروبا. . والتعدد:

لقد عرف علماء أوروبا واعترفوا بحكم التعدد ومحاسنه -ونحن نذكر شيئًا من ذلك- لا لكي يزيدنا إيمانًا، فنحن نؤمن بكلام ربنا، وبسنة نبينا. . .

وإنما نذكر ذلك للآخرين الذين يسرهم أن يكون الكلام والفكر غربيًّا. . . أوروبيًّا!!

لقد اكتشف مفكرو الغرب أن هناك علاقة بين منع تعدد الزوجات وارتفاع نسبة اللقطاء والموؤدين.

ففي المؤتمر الذي عقدته الحكومة الفرنسية سنة ١٩٠١ م، للبحث عن خير الطرق لمقاومة انتشار البغاء – جاء قولهم:

"إن عدد الأولاد اللقطاء المجموعين في ملاجئ مقاطعة "السين" وحدها، وجار تربيتهم فيها على نفقة المقاطعة بلغ ٥٠,٠٠٠ لقيط وأن بعض القوام على هذه الملاجئ يفحشون بالبنات اللاتي تحت ولايتهم، وأن نفس اللقطاء يفحشون بعضهم ببعض ولا زاجر يزجرهم ".

وكتبت كاتبة إنجليزية في هذا الشأن: " لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإنني كامرأة أنظر إلى هاتيك البنات، وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنًا، وماذا يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وإن شاركني فيه الناس جميعًا ".

هذا هو الداء. . .عرضه الفرنسيون، وتحدثت عنه الإنجليزيات. . .!

فأين الدواء؟

تقول الكاتبة الإنجليزية: "ولله در العالم الفاضل "تومس" فإنه رأى الداء ووصف الدواء، وهو الإباحة للرجل بأن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذا الأسلوب يزول البلاء، وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بواحدة، وهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة، ولو كان تعدد الزوجات مباحًا لما نزل بنا هذا

البلاء".

والذي ذكره المؤتمرون الفرنسيون، وذكرته هذه الكاتبة الإنجليزية سبق إليه القرآن الكريم، حينما شرع التعدد ووسع فيه.

ثم طالب الرجال بالزواج منعًا للانحراف والانحلال، فقال تعالى: - ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ ﴾(١).

وقال تعالى ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ ﴾(٢).

فالسفاح والمخادنة هما رأس الوباء والبلاء الذي حل بالأمم الغربية، ولم تجد له علاجًا في دينها وتشريعها، فراحت تلتمس علاجه في ديننا وتشريعنا!

في الشرق المسلم:

هذا حال الغرب شرحناه. . .

أما حال الشرق، فهذه واحدة من دوله. . . تركيا. . . ماذا جرى لها؟ ؟ وماذا حدث فيها؟

لقد هجرت الإسلام هجرًا غير جميل، وولت وجهها إلى أوروبا تلتمس منهم التشريع، وتقتبس منهم التقدم والحضارة. . فاتخذت لنفسها قانونًا مدنيًّا يمنع تعدد الزوجات، كان ذلك سنة ١٩٢٦ م، ثم مضت ثماني سنوات وتكاثرت الولادات السرية، والزوجات والعرفيات، والموؤدات من

---

(١)سورة: النساء من الآية: ٢٤.

(٢)سورة: النساء من الآية: ٢٥.

الأطفال(١).

إننا في حاجة إلى تعدد الزوجات. . .!

ولسنا في حاجة إلى منع التعدد، أو مهاجمته!

لقد واجه القرآن الكريم قضية التعدد مواجهة منطقية إنسانية إصلاحية. . صريحة وواضحة!

الوجه الثاني: أن الزواج بأكثر من واحدة كان جائزًا في جميع الشرائع السابقة(٢)، كاليهودية والنصرانية التي ينتمي إليها معظم المستشرقين، مما يتبين لنا مما تكنه نفوس هؤلاء من حقد لنبينا محمد ﷺ.

ففي العهد القديم: "وَكَانَ لِجِدْعُونَ سَبْعُونَ وَلَدًا خَارِجُونَ مِنْ صُلْبِهِ، لأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ"(٣).

"فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان إن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (٤).

---

(١) ينظر: العدد ٥٥٦ من مجلة آخر ساعة المصرية الصادرة في ٣ من يونيو سنة ١٩٤٥ م، للكاتب المصري المعروف محمد التابعي وكان مقيمًا آن ذاك في تركيا. نقلا عن: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص: ٣٦٨).

(٢)تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراقي، محمد بن شتى أبو سعد، ص١٢١.

(٣)موسوعة الكتاب المقدس، سفر القضاة (١/ ٤١١)

(٤) موسوعة الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول (٢/ ٦١).

و. . . هكذا يتحدثون عن سليمان. . . الذي أسرف في التزوج من الوثنيات. . . حتى إنه تزوج بألف امرأة. . . وضل في آخر حياته. . . وكفر، واتخذ له آلهة أخرى. . بإغواء هؤلاء الوثنيات الجميلات، هكذا تتحدث أسفار القوم عن سليمان!

أما القرآن الكريم، فإنه يقول:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾(١)، والشياطين، هم هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ومن على شاكلتهم، ممن يسيئون إلى رسل الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق. . .!

وخلاصة القول. إنه ليس في موضع واحد من أسفار العهد القديم حرمة التزوج بأكثر من واحدة، ولو كان التزوج بأكثر من واحدة حرامًا أو مذمومًا لنبه إلى ذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. .

الوجه الثالث: لقد زعموا أن النبي ﷺ كاذب في دعواه للرسالة لأنه تزوج من نساء متعددات!

أما نحن فنؤكد، أن من أمارات صدقه، ودلائل نبوته زواجه ﷺ من نساء متعددات! ذلك أن هؤلاء النسوة –رضي الله عنهن– روين حياته المنزلية وسيرته في بيته وبين أهله، فإذا بها أتقى سيرة، وأنقى سريرة، وأخبرن بعد وفاته ﷺ أن خلقه القرآن.

إن هؤلاء (الضرائر) –إن صح هذا التعبير– قدمن لنا حياته الخاصة بكل

---

(١)سورة: البقرة من الآية: ١٠٢.

وضوح، فما وجدنا فيها شائبة ولا عائبة!

وهكذا تواطأت حياته مع أهله، مع حياته بين الناس، على الصدق والأمانة والرحمة والتقوى والبر والإحسان!

إن كثيرًا من الناس -إلا من رحم ربك- يتخلقون بأخلاق المنافقين، ويتسمون بسماتهم، فهم يتظاهرون بالصدق والإصلاح والمروءة وهم في الواقع كاذبون مفسدون سفهاء ولكن لا يشعرون ولا يعلمون!

وهؤلاء المنافقون المتظاهرون المختفون وراء الأقنعة، لا يستطيعون أن يحتفظوا بهذا السمت المزور طويلًا. . . فتبدو ملامحهم واضحة، وبخاصة في بيوتهم، وبين زوجاتهم وأولادهم.! !

فإذا كان في بيته زوجة واحدة. . لا زوجات، فإنها سوف تخرج أخباره وأسراره، وتشيعها بين الناس!!

وانطلاقًا من هذا المعنى، نقول: إن الرسول ﷺ لم يكن في بيته زوجة واحدة. . بل كن زوجات كثيرات!!

فلو كان كاذبًا -حاشاه، وأعاذه الله- لظهرت بادرات كذبه، وبادرات لسانه بين هؤلاء الزوجات!

ولقامت كل واحدة منهن بإشاعة ذلك بين الجارات والقريبات. . وبين غير الجارات والقريبات!!

وبين أيدينا مصداق ذلك. . وهي حادثة ذكرها القرآن الكريم، إذ يقول الله تعالى: - ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾(١).

---

(١)سورة: التحريم من الآية:١.

إنه سر بسيط، أفضى به النبي ﷺ إلى اثنتين من أفضل نسائه، هن (عائشة وحفصة) رضي الله عنهما! وأمرهما بكتمانه، ولكن الذي حدث أن السر ذاع وشاع وانتشر،. . وتناقلته الألسنة، والآذان. . . وامتلأت به كتب التفسير وغيرها فيما بعد!!

إن هذا يجعلنا نقرر: أن الرسول ﷺ كان طاهر السيرة والسريرة، في داخل بيته وخارجه على السواء!!

الوجه الثالث: أن الرسول ﷺ تزوج خديجة رضي الله عنها، وهو في سن الشباب وقمة الطاقة والقوة الجسدية والجنسية، لو كان عنده أهواء جنسية لاختار من أجمل بنات العرب مالاً ونسبًا، وهو الشاب الأمين ومن نسب عريق وأصيل، إلا أن الله تعالى أراد أن يتزوج من خديجة التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة، ليكون ذلك نقاء في صفحة حياته النقية أصلاً، ويكون صفعة في وجوه من أراد أن يثير حوله شبهة الشهوانية أو الهوى.

الوجه الرابع: ثم إن مرحلة الشباب التي مرّ بها هذا النبي عليه الصلاة والسلام لتشهد له بما كان عليه من الفضائل والأخلاق من السلوك وصدق الحديث والأمانة وغيرها، حتى سمي بين قومه بالصادق الأمين.

الوجه الخامس: إن الفترة التي عدد فيها النبي ﷺ الزوجات، هي -باعتراف الموافق والمخالف- أكثر فترات عمره ﷺ، عملًا وتضحية وجهادًا وتعليمًا وأعباء!

الوجه السادس: إن النبي ﷺ كان أزهد الناس في الدنيا، ويريد الله لزوجاته -أيضًا- أن يكن بعيدات عن الدنيا وزينتها، إذ يقول الله له، لكي يبلغهن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾(١).

إن الرجل الشهواني يريد لزوجته، أو زوجاته، أن يتزيَّن بأبدع الحلي، وأروع الحلل!!

كذلك فإن الدارس المنصف لأسباب ذلك التعدد يجد أن له مقاصد وأهدافًا جليلة ونبيلة!!

الوجه السابع: لو كان التعدد من الأمور الشهوانية والبهيمية لدى المسلمين لاستباح دين المسلمين إطلاق العنان لأبنائه بأن يسرحوا ويمرحوا في عالم الشهوة والهوى ومع أكبر عدد من النساء كما كانت عليه العرب في الجاهلية وبيوت الخنا التي كانت ترفرف على أبوابها أعلام الفاحشة والفجور، وكما نلاحظه في العصر الحالي من الإباحية المطلقة والبهيمية الجامحة التي ليس لها ضوابط ولا روادع، بل إن معظم بيوت الفاحشة في أوربا وغيرها عبارة عن مؤسسات لها حصانة قانونية، ولها الحرية التامة في الدعاية والإعلان حتى صارت مهنة وتجارة عالمية مربحة، ناهيك عن الدعم التي تجده هذه المؤسسات من القوى السياسية في تلك البلاد تحت راية الحريات الشخصية، حتى وصل بهم الحال أن يتزوج الرجال بالرجال، وصارت لهم منظمات ومراكز تعقد فيها عقود رسمية في المحاكم والدوائر الرسمية.

أما عن نشاطات هذه المؤسسات والنوادي فهي قوية جدًا، ولديها قوة

---

(١)سورة: الأحزاب من الآية: ٢٨ – ٢٩.

إعلامية هائلة للدعاية والترويج والربح، والشاهد على ذلك الفضائيات التي تبث في الليل والنهار الأفلام الجنسية بشتى الصور والأشكال، وشبكات الإنترنت التي صارت من أكبر الميادين الدعائية لها. وحسبنا أن نعلم أن هناك ما يقارب اثنين وعشرين مليون موقع جنسي على شبكات الإنترنت، عدا المحادثات المباشرة على مدار الساعة وبالعملات الصعبة.

هذه هي البهيمية الحقيقية والغريزة الحيوانية الجامحة من غير ضوابط وأحكام التي أفسدت المجتمعات الإنسانية وأخرجتها من إنسانيتها، واستولت على عقول الناس وَلوَّثت صفاء العقول وبراءة النفوس بالشهوات والخبائث.

والشيء الذي يأسف له القلب ويندى له الجبين أن هذه الثقافة الجنسية قد دخلت كثيرًا من البلاد الإسلامية وإن لم تكن على نحو رسمي ولكنها موجودة ولها تجارها وعملاؤها.

الوجه الثامن: أن زواجه بكل واحدة منهن لقصة وحكمة، فتزوج ﷺ زوجة لبعض أصحابه الذين جاهدوا معه قد مات زوجها حال الهجرة وأن أهلها ما زالوا على الشرك، فإما أن تعود إليهم فتتعرض للعذاب والفتنة، وإما أن تترك بلا زوج يحميها، ويقف إلى جانبها لمواجهة ظروف الحياة لأنها غير مرغوب فيها لسنها، أو لقلة جمالها.

ومنها: أن يكون الهدف ربط العلاقات وتوطيدها مع من يعينه على تبليغ الدعوة. . . فيؤكد معه رباط الإيمان برباط المصاهرة. . ولم يكن ﷺ في هذه الحالة هو الذي يأخذ دائمًا، فقد يعطي، فإذا كان قد تزوج بابنتي صاحبيه أبي بكر وعمر، فلقد زوج عثمان وعليًّا بابنتيه (. . بل إنه زوج عثمان باثنتين هما: رقية، وأم كلثوم، واحدة بعد الأخرى. . فلما ماتت الثانية، قال له: «لو كان عندنا

ثالثة لزوجناك» !

– ومنها: أن يكون الهدف استنقاذها من الرق، أو استنقاذ أهلها وذويها.

– ومنها: بيان الأحكام الشرعية، وتطبيقها عمليًّا، ليكون أسوة للناس في محاربة الجاهلية وعاداتها.

– ومنها: النقل عنه ﷺ، والتبليغ، وتعليم المسلمات أمور دينهن، وبخاصة هذه الأمور التي يستحيي النبي ﷺ من تعليمها لهن. إلى غير ذلك من الأمور.

وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل، نعرضه حينما نتعرض لبيان زواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين واحدة واحدة.

١ – **خديجة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

– أول زوجاته ﷺ.

– بقي معها نحوًا من ست وعشرين سنة – كما أسلفنا–. – كان له منها أولاده الستة، القاسم، والطيب، وقد ماتا قبل البعثة، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وفاطمة، ومتن قبله إلا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر، ولم يتزوج ﷺ في حياتها غيرها.

٢ – **سودة بنت زمعة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: – تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة، وقبل الهجرة.

– كانت في مثل سن خديجة، أي في السادسة والستين من عمرها، ولم تكن في جمال خديجة.

– وقد أسلمت مع زوجها، وهاجرا إلى الحبشة فرارًا من أذى الجاهليين من قريش، ومات بعد أن عادا.

- وكان أهلها لا يزالون على الشرك، فإذا عادت إليهم فتنوها في دينها، فتزوجها النبي ﷺ حماية لدينها من الفتنة.

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

- كانت في نحو التاسعة من عمرها، فما كانت تشتهى لأنها كانت ضاوية، ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة.

فما كان زواجه منها لشهوة يبتغيها، وإنما كان لتوثيق صحبته بالصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!

- وكانت جميع زوجاته الطاهرات ثيبات (أرامل) فيما عدا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فإنها البكر الوحيدة.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

- وكان زواجه بها لتوثيق الصحبة بأبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان له الوزير الثاني. - وما أحاط بزواجه ﷺ بها، يدل على أن مودته ﷺ هي التي دفعت إلى هذا الزواج:

ذلك أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ماتت زوجته رقية -وغزوة بدر قائمة- رغب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أن يزوجها من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعرض عليه، فسكت عثمان. فشكا عمر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سيتزوجها من هو خير من عثمان، وسيتزوج عثمان من هي خير من حفصة» .

فتزوج النبي ﷺ حفصة، وتزوج عثمان أم كلثوم بنت النبي ﷺ!

ومن هنا ترى: أن زواجه ﷺ منها كان ربطًا للمودة، وإرضاء للقلوب.

٥- أم حبيبة (رملة) بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

-تزوجها ﷺ والحرب قائمة بينه وبين المشركين بقيادة أبيها، أبي سفيان.

- هاجرت إلى الحبشة، وتوفي عنها زوجها، فكانت بين أمرين، إما أن ترجع إلى أبيها زعيم المشركين -آنئذ- فتفتن في دينها، وإما أن تعود إلى المدينة ولا مأوى لها. فآواها النبي ﷺ بزواجه منها.

- إذ بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة فخطبها له ﷺ. ودفع النجاشي صداقها، وهو أربعمائة دينار، وبعث بها إلى النبي ﷺ. - وبهذا الزواج أصاب النبي ﷺ هدفين:

أحدهما: أنه وقاها من الشرك وأن تفتن في دينها.

الثاني: أنه أصهر إلى أبي سفيان الذي سره ذلك، وقال: "نعم الفحل لا يجدع أنفه" -يعني: محمدًا ﷺ.

٦- زينب بنت خزيمة رضي الله عنها:

- كانت قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوج بها النبي ﷺ ولم تعمر عنده سوى عامين.

- وكان يقال لها أم المساكين، قتل زوجها يوم أحد، وكان الزواج بها إيواءًا لها، وتشجيعًا لها على إعانة المساكين.

٧- زينب بنت جحش رضي الله عنها: - وكانت زوجًا لزيد بن حارثة.

أما الشبهة التي ذكرها أحد المستشرقين حول قصة زواج النبي ﷺ من زوجة ابنه بالتبني، فقد رواها مغلوطا وبرواية غريبة، وقد علل هذا المستشرق

حسب هوى نفسه قصة هذا الزواج ليطعن في شخصية الرسول ﷺ وموقفه من النساء، وفيما يلي بيان بحقيقة هذا الزواج ومعالمه:

روى الطبري بسنده: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾[1]. . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، " وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ انْطَلَقَ يَخْطُبُ عَلَى فَتَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةِ فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: لَسْتُ بِنَاكِحَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَانْكِحِيهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُؤَامِرُ فِي نَفْسِي فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ أَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾[2]. . إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[3]، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتَهُ لِي يَا رَسُولَ اللهِ مُنْكِحًا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَتْ: إِذَنْ لَا أَعْصِي رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَنْكَحْتُهُ نَفْسِي "[4]

وزيد كان قد سبي في الحرب واشترته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأهدته إلى الرسول ﷺ الذي خيّره بين أن يذهب مع أبيه أو يبقى معه، فقال: "ما أنا بمفارق رسول الله ﷺ"، فقال عليه الصلاة والسلام: "اشهدوا أنه حرّ وأنه ابني يرثني وأرثه" فسمي لذلك زيد بن محمد[5].

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ

---

(١)سورة: الأحزاب من الآية: ٣٦.

(٢)سورة: الأحزاب من الآية: ٣٦.

(٣)سورة: الأحزاب من الآية: ٣٦.

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/ ١١٢)

(٥)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١٤، ص١١٨.

ٱللَّهِۚ ﴾(١).

وأما الأسباب والظروف التي كانت وراء زواج زيد بزينب رضي الله عنهما ثم افتراقهما، وزواج النبي ﷺ بزينب فيمكن إيجازها بما يلي:

أ- أن ذلك كان أمراً ربانيـاً أولاً وآخراً، لا نستطيع أن نجادل في ذلك بشيء، فهو أعلم بخلقه، وأعلم بشؤونهم جميعا، ما ينفعهم وما يضرهم، وينزل إليهم ما تتحقق به مصالحهم وتسير بها أمورهم. فكان زواج زيد من زينب أمراً من رب العالمين وكان طلاقها كذلك، وبالتالي كان زواج النبي ﷺ بزينب أيضـاً أمراً ربانيـاً، والرسول ﷺ المبلغ والمنفذ لأمر خالقه عز وجل، فكل ما حدث بهذا الموضوع كان تدبيراً إلهيـاً عظيمـاً، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾(٣).

ب- كان في زواج زينب من زيد رضي الله عنهما -حسب ما تبين لنا- أمر إنساني عظيم وهو إزالة الفوارق الطبقية الموروثة والنظرة الدونية التي كانت سائدة في أوساط القبائل إلى غيرهم من العبيد والموالي، تحقيقـاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ ﴾(٤)، ولا يتم ذلك إلا بتطبيق عملي، فكان زواج ابنة القبيلة بمولى من الموالي.

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٧٨٢.
(٢) سورة: الأحزاب من الآية: ٣٦.
(٣) سورة: الأحزاب من الآية: ٣٨.
(٤) سورة: الحجرات من الآية: ١٣.

ج- **إبطال عادة التبني التي كانت منتشرة عند العرب وهي**: أن يعجب الرجل بأحد الأطفال أو الفتيان فيتبناه ويدعوه ابنه ويلحق بنسبه فيتوارث وإياه توارث النسب ويُعامل معاملة الابن في جميع الحقوق والواجبات. وتحدث عادة التبني غالباً في سبايا الحروب حين يؤخذ الأطفال والصبيان أثناء الغارات، فمن شاء أن يلحق بنسبه واحداً منه فعل ذلك من غير إحراج.

وردّ الأدعياء إلى آبائهم، لقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ** ﴾[(١)]، ولاسيما وأن العلاقات بين زيد وزينب قد اضطربت وبدأ زيد يشكو إلى الرسول ﷺ هذا الاضطراب، وأنه غير قادر على الاستمرار معها.

د- أن الله تعالى قد ألهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أمر زواجه من زينب، ومع ذلك فإنه يقول عليه الصلاة والسلام لزيد رضي الله عنه ﴿ **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ** ﴾ إلى أن يضعه الله تعالى أمام أمر لابد من إظهاره ومواجهة الناس به، وذلك بأن يتزوج من مطلقة ابنه بالتبني، فيقول الله تعالى: ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾[(٢)].

فعن أنس قال" "جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: "**اتق الله وأمسك عليك زوجك**" قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه"[(٣)] .

---

(١)سورة: الأحزاب من الآية: ٤ – ٥.

(٢)سورة: الأحزاب من الآية: ٣٧.

(٣)صحيح البخاري، رقم ٧٤٢٠.

هـ- وكان في النهاية زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب، حسب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[١].

حيث لم يعقد عليها كما عقد على سائر زوجاته، يقول أنس رضي الله عنه: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات[٢].

وأظن أن هذا البيان كاف لإزالة الشبهة، ودحض الافتراء الذي يردده المستشرقون وبعض أذنابهم حول قصة زواج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها.

٨- أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة رضي الله عنها:

- وهي مخزومية، وقد مات عنها زوجها أبو سلمة، وهو عبد الله بن عبد الأسد.

- وعند موت زوجها توفي عنها وهي شابة طلب إليها أن تتزوج من بعده، ودعا لها مخلصًا أن يتزوجها من هو خير منه.

- وقد رأى النبي ﷺ أنها ذات عيال، يحتاجون إلى من يرعاهم.

- وكانت هي وزوجها مهاجرين، فانقطعت عن ذويها.

٩- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت جويرية بنت الحارث النبي ﷺ، فقالت:

---

(١)سورة: الأحزاب من الآية: ٣٧.

(٢)صحيح البخاري، رقم ٧٤٢٠.

"يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي، فجئتك أسألك في كتابتي. فقال رسول الله ﷺ: "فهل لك إلى ما هو خير منه". قالت: وما هو يا رسول الله قال: "أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك". قالت: قد فعلت. قالت: فتسامع تعني الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق"[١].

فكان زواجها رضي الله عنها بركة عليها وعلى قومها.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها:

«سبيت مع أختها، وأمرهما بلال رضي الله عنه على قومهما من اليهود في خيبر، فلام النبي ﷺ بلالًا، وقال: **"أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما"!.**»[٢].

- وعرض الفتاتين ليزوجهما بعض أصحابه، فتزوجت أختها وبقيت هي فتزوجها النبي ﷺ، مواساة، وبرًا، ورحمة.

١١- ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

- وقد اختارها زوجًا له العباس بن عبد المطلب، لتوثيق ما بينه ﷺ، وبين

---

(١)سنن أبي داود، برقم٣٩٣١.

(٢)السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٧٤).

القبائل العربية، وقد أصدقها العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ماله أربعمائة درهم.

- ويروى أنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، ذلك أنها لما علمت بخطبة النبي لها، قالت: " البعير وما عليه لله ورسوله ".

فنزل قول الله تعالى: - ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠ ﴾ (١).

هؤلاء هن زوجاته اللائي دخل بهن، وهن اللائي يطلق عليهن (أمهات المؤمنين) حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ (٢).

وقال في منع زواجهن من بعده: - ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ ﴾(٣).

- فدخل بإحدى عشرة فهن أمهات المؤمنين.

- ومات عن تسع، إذ ماتت في حياته خديجة، وزينب أم المساكين.

هذا هو العدد الذي أحله الله لنبيه ﷺ، والذي تحققت به كل المقاصد الاجتماعية والتعليمية والتشريعية التي تتعلق بالدعوة.

ولقد قال الله تعالى في ذلك: - ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ

---

(١)سورة: الأحزاب من الآية: ٥٠.

(٢)سورة: الأحزاب من الآية: ٦.

(٣)سورة: الأحزاب من الآية: ٥٣.

ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾، ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾(١).

وهذا النص يشير إلى:

- منع التعدد بالنسبة للنبي ﷺ بعد هذا العدد (٢).

- وأن النبي ﷺ كان يرجى من يشاء منهن ويؤوي إليه من يشاء.

لقد كانت نساء النبي أمهات المؤمنين مدارس لتعليم العلم وإشاعة الخير.

- أما قيامهن بتعليم العلم، فلقد كان الكثيرات من النساء يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة، والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام. وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تهم بسؤال النبي ﷺ عن بعض هذه الأمور. . .

كما كان من خلق النبي ﷺ الحياء، فكان كما حدثت عنه دواوين السنَّة: «أشد حياء من العذراء في خدرها» .

فما كان ﷺ يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من قبل النساء بصراحة ووضوح، وإنما كان يكني في بعض الأحيان!

وربما لا تفهم المرأة السائلة مراده ﷺ من كناياته.

---

(١)سورة: الأحزاب من الآية: ٥١ -٥٢.

(٢) تفسير الطبري ط هجر (١٩/ ٨٧)، تفسير السمعاني (٤/ ٢٧٧)، تفسير ابن جزي (٢/ ١٥٦)، وهذا على قول من أقوال أهل التفسير في الآية.

«تروي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن كيفية غسلها من الحيض، فعلمها النبي ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: " خذي قرصة ممسكة- أي: قطعة من القطن بها أثر الطيب فتطهري بها "، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: " تطهري بها " قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ قالت عائشة: فاجتذبتها من يدها، فقلت: ضعيها في مكان كذا وكذا وتتبعي بها أثر الدم!» ولعله من فضول القول أن نقول إن كثيرًا من الأحكام الخاصة بالمرأة رويت عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة".

وقال عروة بن الزبير: "ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة. وقال أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما. وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. وأسند الزبير بن بكار عن أبي الزناد، قال: ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة، فقيل له: ما أرواك! فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا" (١).

وفي الصّحيح عن أبي موسى الأشعريّ- مرفوعا: «فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام» (٢).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٤/ ٢٠٠، ٥/ ٣٦، ٧/ ٩٧، ٩٨ ومسلم في الصحيح ٤/ =

الوجه التاسع: إن بيوت النبي ﷺ كانت بفضل زوجاته بمنزلة مدارس تخرج المؤمنات الداعيات لهذا الدين، وكانت كل زوجة داعية وفقيهة تعلم النساء أحكام دينهن لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت النسوة يترددن إليهن، ويسألن عما يشكل عليهن من أمور الدين كحقوق الزوج وأحكام الطهارة والتحلي بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام.

الوجه العاشر: أما بالنسبة للحديث الذي يذكره هؤلاء المستشرقين "حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة" فإن كلمة (ثلاث) زيادة لم ترد في رواية من الروايات التي أوردها الإمام أحمد والنسائي، وجملة (وجعلت قرة عيني في الصلاة) من أصل الحديث وليست مضافة إلى الرواية فيما بعد كما يدعون، وهذا يدل على عدم دقتهم في البحث والتحري، وفيما يلي سرد لجميع روايات هذا الحديث ليتبين الحق من الباطل، ويعلم العقلاء والمنصفون حقيقة دعاوى هؤلاء المستشرقين:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **"حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة**[١]". وفي رواية أخرى: "حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"[٢].

وجاء الحديث في ثلاث روايات للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة "[٣].

=

١٨٩٥ عن أنس كتاب فضائل الصحابة باب (١٣) فضل عائشة رضي الله عنها حديث رقم (٨٩/ ٢٤٤٦).

(١)سنن النسائي (٧/ ٦١)، (٣٩٣٩).

(٢)سنن النسائي (٧/ ٦١)،(٣٩٤٠).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ٣٥١)(١٣٠٥٧). قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

وفي أخرى: "حبب إلي النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة " (١)

ثم بعد ذلك نقول: هلاّ أتوا بالمصدر الذي اقتبسوا منه هذا الحديث وأن جملة "وجعلت قرة عيني في الصلاة " أضيفت إليه فيما بعد أو أنه عبارة عن تشويش فحسب؟!

ب - زعمهم اهتمامه صلى الله علي وسلم بالغنائم والسلب (٢).

يقول مرجليوث: "عاش محمد ﷺ هذه السنين الست ما بعد الهجرة إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب - ولكن نهب أهل مكة قد يسوّغه طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك - على أي حال - سبب ما، أحقيقيًا كان أم مصطنعًا يدعو إلى انتقامه منهم، إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعد تعديًا منهم جميعًا لأن قتل أحدهم رسول محمد ﷺ لا يصلح أن يكون ذريعة للانتقام، ... إن استيلاء محمد على خيبر يبين لنا إلى أي حد قد أصبح الإسلام خطرا على العالم" (٣).

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٣٠٥)(١٢٢٩٣) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢)عبد الله بن يزيد الأنصاري- قال: «نهى النبي ﷺ عن النهبى والمثلة»، (النهبى) أخذ الشيء من أحد عيانا وقهرا. (المثلة) العقوبة في تقطيع الأعضاء كجذع الأنف والأذن وفقوء العين ونحوها إلا إذا كان ذلك قصاصا.تعليق مصطفى البغا. صحيح البخاري (٣/ ١٣٥)(٢٤٧٤).

(٣) المستشرقون والسيرة النبوية (ص: ٣٦)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٦٩) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٤) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي (ص: ٧٦).

ولا استغراب في هذا الكلام حيث خرج من أفواه يهودية أو صليبية وسطرتها أقلامهم المنحرفة، ويشم من هذا الكلام حقد وحسرة ولاسيما أن هذا الدين قد وصل إلى أرجاء العالم وما وراء المحيطات والجبال، وهذا هو الشيء الذي يغيظهم ويحرق صدورهم، لذا يتخبصون ويفترون دون دليل علمي أو وثيقة تاريخية، ويكتبون الكلام جزافًا ويسمعه الحمقى والغاوون.

الجواب عن هذه الفرية:

١- كيف بنبي أرسل من رب العالمين يكون همه السلب والنهب والعيش على أقوات الناس وأموالهم، وكل حركة من حياته عليه الصلاة والسلام وكل كلمة وسلوك ينطق بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء المستشرقون؟ فالمعروف من حياة النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يعيش على الكفاف وأنه كان يمر الشهر والشهران ولا يُوقَد في بيته نار، وأنه تعرض في بداية دعوته لأكبر جائزة ومنال من قريش فرفضها، حيث عرضت عليه المال والنساء والجاه فقال ﷺ: **"والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار"**(١).

فمن يرفض هذا العرض المغري ويركن إلى الزهد ويصبر نفسه مع الفقراء، ويحث أصحابه على شظف العيش والخشونة فيه، ووصف دار الدنيا بأنها دار ابتلاء واختبار، لا يكون من هذا شأنه إلا رجل يعيش من أجل رسالة عظيمة وهدف سام وجليل، وهي الدعوة إلى دين الله والعيش في ظلالها والموت في

(١)المطالب العالية: ٤٢٧٨، ورواه أبو يعلى وإسناده صحيح، والطبراني في الأوسط والكبير. وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٥: رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. صحيح السيرة النبوية للعلي (ص: ٥٧)

سبيلها، والتاريخ يشهد لهذا النبي عليه الصلاة والسلام بما كان عليه في حياته إلى أنْ توفَّاه الله تعالى، من صدق في الحديث واستقامة في السلوك وأمانة في التعامل، وإخلاص في العمل، وغير ذلك من الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة التي شهد له بعض الغربيين، يقول "الكونت هنري دي كاستري": "إن محمدًا ﷺ ما كان يميل إلى زخارف الدنيا ولم يكن بخيلاً، وكان يستدر اللبن من نعاجه بنفسه، ويجلس على التراب، ويرقع ثوبه ونعاله بيده، ويلبسها مرقعة، وكان قنوعًا، وقد خرج من هذا الباب، ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته، وتجرد من الطمع، وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد الغرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم تكن له حاشية، ولم يتخذ وزيرًا ولا حشمًا، وقد احتقر المال، وإنه بلغ من السلطان منتهاه، ومع ذلك لم يكن له علامات الإمارة والملك سوى خاتم من الفضة مكتوب عليه "محمد رسول الله"[(١)].

٢- ثم لينظر هؤلاء الذين لا يريدون أن يقرؤوا التاريخ على حقيقته وإنما يريدونه على هواهم ومصالحهم وأحقادهم لهذا الدين ونبيه عليه الصلاة والسلام، لينظر هؤلاء إلى الخُلق العظيم الذي كان يتحلى به الرسول عليه الصلاة والسلام وسماحته مع أعدائه، فبعد فتح مكة انقادت إليه القبائل، وصارت تحت سيطرته الجزيرة العربية، وأولئك الأعداء الذين كذبوه وحاربوه وأعرضوا عن دعوته، وقتلوا أصحابه وأهله، وقاطعوه في كل شيء مع صحابته ثلاث سنوات، وأخرجوه مع المؤمنين من ديارهم إلى الحبشة والمدينة، ها هم اليوم ضعفاء وأذلاء أمام هذا النبي ﷺ ينتظرون جزاءهم وعقابهم على ما

---

(١)الإسلام والمستشرقون، ص٣١٧.

اقترفوه خلال تلك السنوات نحو هذا النبي وأصحابه ودعوته، وقلوبهم وجلة تخشى أن ينزّل عليهم هذا النبي عليه الصلاة والسلام أقسى العقوبات أو أشد أنواع العذاب، ولكن الأمر كان على خلاف هذا التصور فخاطبهم نبي الرحمة ﷺ **"من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"** قال الراوي: "فغلق الناس أبوابهم" [(١)].

فأين الانتقام الذي يزعمه هؤلاء الحاقدون على الإسلام وأهله؟.

وسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام مليئة بمثل هذه المواقف الرحيمة التي حيرت القاصي والداني من الأعداء وغيرهم، إلا أن هذا المستشرق الحاقد لا يريد أن يراجع التاريخ من أبوابه.

٣- أما مسألة يهود خيبر فإن فيه القول الكثير الذي لا يذكره المستشرقون فإنهم من ناحية كفرهم كمشركي قريش والله تعالى أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بقتالهم وإخراجهم من خيبر بعد نزول قوله تعالى:

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ** ﴾[(٢)]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾** ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ **قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ**

(١)مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ٥٥٥)(١٠٩٤٨)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه أبو داود (١٨٧٢).

(٢)سورة: البقرة من الآية: ٢١٦.

(٣)سورة: البقرة من الآية: ٢٤٤.

﴿٢٩﴾[١].

٤- أما من الناحية الأخرى، فإن يهود خيبر لم يكونوا مسالمين مع المسلمين أبدًا، فقد ذهب إليهم كثير من زعماء بني النضير وظاهروهم على المسلمين وهم الذين حرضوا بعض القبائل على قتال النبي ﷺ في غزوة الخندق مثل غطفان وغيرها بشرط أن يكون لهم نصف ثمر خيبر.

يقول الأستاذ الإنجليزي الشهير LW.Montgomery Watt في كتابه)) Mohammad Prophet and Statesman (محمد النبي والسياسي): «كان يهود خيبر وخاصة رؤساء قبيلة بني النضير التي أجلاها الرسول من المدينة يضمرون الحقد لمحمد، وهم الذين نجحوا في حمل قبائل العرب المجاورة على حمل السلاح على المسلمين والزحف عليهم، بما بذلوه من أموال، وكان ذلك هو السبب الرئيسي في توجّه محمد إلى خيبر بجيوشه»[٢].

٥- أمّا تعليل مرجليوث أنّ سبب انتقام المسلمين من اليهود في غزوة خيبر هو قتل أحدهم رسولَ رسولِ الله ﷺ، فهو خطأ وافتراء عظيم على الحقائق التاريخية التي لاشك أنها لا تخفى على مرجليوث، ولكن التعصب يصم ويعمى، فالصواب الثابت تاريخيـاً[٣] أنّ قتل أحدِ يهود خيبر رسولَ رسولِ الله ﷺ - عبد الله بن سهل - كان بعد غزوة فتح خيبر، وليس قبلها[٤]، حتى يكون

---

(١)سورة: التوبة من الآية:٢٩.

(٢) نقلا عن السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص: ٤٢١).

(٣)صحيح البخاري ح٦١٤٢،٦١٤٣، صحيح مسلم رقم ١٦٦٩.

(٤)حيث ورد في صحيح مسلم المشار إليه في الحاشية السابقة صريحا أن عبد الله بن سهل وحميصة بن مسعود الأنصاريين خرجا إلى خيبر في زمان رسول الله وهي يومئذ صلح =

سبباً للانتقام منهم، من هنا يتبين لنا التلبيس الذي يمارسه المتعصبون الحاقدون من المستشرقين على عامة القراء والتحريف المتعمد لحقائق السيرة النبوية بصفة خاصة، ومعروف في كتب السيرة أنّ من أهم أسباب غزوة خيبر هو تحريض أهل خيبر قبائل العرب والمشركين على قتال محمد ﷺ والمسلمين.

الشبهة الرابعة: زعمهم أن الأحاديث النبوية هي نتيجة التطور الديني (١).

يقول جولد تسيهر: "إن القسم الأكبر من الحديث ليس صحيحًا ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عهد النضوج"(٢).

ويقول بروكلمان: "كان محمد ﷺ وأصحابه يصلون مرتين في اليوم في مكة، أو ثلاث مرات في المدينة كاليهود، ثم جعلت الطقوس المتأخرة المتأثرة بالفرس عدد الصلوات في اليوم خمسًا" (٣).

ويقول أيضًا: "القسم الأعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعين اصطناعه مصدراً لعقيدة النبي نفسه"

= وأهلها يهود.....

(١) ينظر: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٥٩)، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص١٩٠. حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها (ص: ٤٩)، السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٤٥)، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مكتبة السنة (ص: ٢٨٢)، السنة قبل التدوين (١/ ٤٦).

(٢)السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص١٩٠.

(٣)تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧٣.

ويقول برنارد لويس: "لقد استحدثت طرق جديدة في الحياة مع مرور الزمن وتوسع البلاد الإسلامية، وظهرت حاجات أدت إلى أوضاع غريبة تمامًا على الحياة البسيطة والفكر الذي كان سائدًا في عصر الصحابة – وبالإضافة إلى ذلك فإن الأحداث الغريبة والتأثيرات الأجنبية التي كان لا بد من استيعابها وهضمها كان لا بد أن تحدث خللاً في التمسك بالمفهوم الجامد للسنة على أنها المعيار الوحيد للصدق والعدل"(١).

الجواب عن هذه الفرية:

أن هذا الكلام فيه كثير من اللغط والافتراء، لأن وفاة الرسول ﷺ لم تكن في منتصف طريق دعوته إلى الله، وإنما كان بعد أن أدى الرسالة وبلغ الأمانة، حتى نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه"(٣)، وهذا يدل على أن إلتحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى كان بعد أدائه رسالة ربه للناس، وهذا يعني أن هذا الدين أُرسيت أصوله وأحكامه الثابتة في الحياة، وكان شريعة واضحة المعالم، لم تكن فيه مبهمات أو غموض أو أسرار، وإنما كان بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وإن التطور الذي حدث بعد عهد الرسالة كان في بعض الفروع والجزئيات التي ظهرت عندما توسعت رقعة

---

(١)الاستشراق والاتجاهات الفكرية، مازن مطبقاني، ص١٥٦.

(٢)سورة: المائدة من الآية:٣.

(٣)الموطأ للإمام مالك، برقم ١٨٧٤، ص٧٠ بلاغـًا، وقد وصله الحاكم في المستدرك ١/ ٩٣ من حديث ابن عباس، وإسناده حسن كما في تخريج المشكاة.

الخلافة الإسلامية، وعندما فتح المسلمون البلاد الأخرى، فكان لا بد أن تعتريهم بعض الحوادث الجديدة التي لم يكن لها نص في القرآن أو السنة، فتعامل العلماء معها بطرق علمية متينة وقواعد معلومة تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله، كالإجماع والقياس وغيرهما من مصادر التشريع الإسلامي.

ومن ناحية أخرى لو نظر الإنسان إلى هذا الدين منذ عهد النبوة إلى الآن سيجد فيه حجة قوية على بقاء الأصول على حالها منذ ذلك الوقت، ووحدة المسلمين في أداء عباداتهم وشعائرهم مع اختلاف يسير في بعض فروعها، في جميع أرجاء العالم رغم تباين أقطارهم واختلاف لغاتهم وتمايز أعراقهم وأجناسهم، ولو كانت الأحاديث النبوية نتيجة التطور الديني والاجتماعي كما يدعي هؤلاء القوم، لوجدنا المسلمين في كل بلد بل في كل منطقة يختلفون في كيفية أداء الصلوات وعدد ركعاتها وأوقاتها وكذلك الصيام والحج وغيرها من العبادات، ولكن الله تعالى أراد لهذا الدين أن يكون هكذا إلى يوم الدين؛ لأنه جل ثناؤه تكفل بحفظه وحمايته، من أيادي الانحراف والتزييف والتضليل.

 الشبهة الخامسة: زعمهم أن السنة مقتبسة من اليهودية والنصرانية[١].

يقول بروكلمان: "وأغلب الظن أن محمدًا ﷺ قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدًا، وهو أمر لم يكن مستغربًا عند أصحاب

---

(١) ينظر: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٤٩)، المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم (ص: ٤) الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته (ص: ٨٣)، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه (١/ ٢٨٥)، أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ (ص: ١٢).

النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي. وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد" (١).

ويقول جولد في كتاب "العقيدة والشريعة في الإسلام": "لكي نقدر عمل محمد ﷺ من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتساءل عما إذا كان تبشيره ابتكارًا وطريفًا من كل الوجوه ناشئًا عن روحه، وعما إذا كان يفتح طريقًا جديدًا بحتًا. فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة حقيقية عند بني وطنه"(٢).

ويرى ريتشارد بل: مؤلف كتاب "مقدمة القرآن": أن النبي ﷺ قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وبخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل (٣).

---

(١)افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، ص٢٢-٢٣.

(٢)العقيدة والشريعة في الإسلام، أجناس جولد تسيهر، ص٥-٦.

(٣)الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود زقزوق، ص١٠٢.

الجواب عن هذه الشبهة:

لا ريب أن هناك أموراً مشتركة كثيرة في التشريعات بين الإسلام والديانات الأخرى، مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأن مصدر الديانات كلها من عند الله الواحد الأحد، وكلها تأتي إلى البشر عن طريق الوحي إلى الرسل والأنبياء، ورغم أن الديانات السابقة أصابها التحريف والزيادة والنقصان إلا أنه بقي منها بعض الأمور التي توافق القرآن الكريم والسنة النبوية كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥ ﴾(١).

ومما جاء أيضا في الإسلام ويوافق ما في التوراة ما ورد في حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: "أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: **"ما تجدون في التوراة في شأن الرجم"** فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: "كذبتم إن فيها الرجم"، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله:

(١)سورة: المائدة من الآية: ٤٤ -٤٥.

فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة" (١).

ثم إنه لو كانت رسالة الإسلام مقتبسة من تلك الأديان لما جاء في كتاب الله تعالى الأمر بمخالفتهم ومحاربتهم، وعدم موالاتهم ونصرتهم، هذا فضلا عما اتصف به صحابة رسول الله ﷺ من صدق وإخلاص لهذا الدين، فلو كان للقرآن علاقة بالتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية من حيث الاقتباس، لرأينا الكثير من هؤلاء الصحابة ينقلون إلينا ذلك، ولكن لم يحدث شيءٌ من هذا، وهذا دليل على بطلان قولهم من أن السنة مزيج من العقائد والأديان السابقة.

❑❑❑❑

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٣٦٣٥.

الباب الثالث
شبهات حول السنة

الشبهة الأولى: الزعم بأن السنة ليست وحيا [١].

يدعي بعض المشككين أن السنة مجرد اجتهادات خاطئة، فليست وحيًا من قبل الله -سبحانه - على رسوله ﷺ ولكنه اجتهاد وتصرف من النبي ﷺ بمقتضى بشريته، وهو ﷺ بهذا الاعتبار يصيب ويخطئ، وبالتالي فهي ليست منزهة عن الخطأ، لأن المنزه عن الخطأ إنما هو الوحي، ولا وحي إلا القرآن المجيد. وإذا كانت أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ليست وحيًا، فلسنا ملزمين باتباعها، ولا هي مصدر من مصادر التشريع.

ومن أمثلة ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ قَالَ فَخَرَجَ شِيصًا [٢] فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ مَا لِنَخْلِكُمْ قَالُوا قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ

---

(١) ينظر: شبهات حول السنة والسيرة النبوية (ص: ٤٠) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٥٥) شبهات القرآنيين (ص: ٣٠) الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص: ٧٧).

(٢) الشيص: البسر الذى لا نوى له، قال القاضى: وهو ردىء البسر الذى إذا يبس صار حشفا، وقوله فى الرواية الأخرى: "فنفضت" أى سقطت ثمرها. إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٣٥).

بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"(١).

فقال رسول الله ﷺ: «**ما أظن يغني ذلك شيئا**»

قال ﷺ: "**أنتم أعلم بأمور دنياكم**" إذ قد قرر الرسول ﷺ في هذا الحديث أن المسلمين أعلم بأمور دنياهم، وبالتالي فإن الشريعة لا تتدخل في تحديد الأمور الدنيوية التي هم بها عالمون .

الجواب عن هذه الشبهة:

أما الآيات من كتاب الله تعالى الدالة أن السنة وحي يجب اتباعه فتم ذكره من قبل في أدلة حجية السنة.

أما حديث تأبير النخل وردت فيه روايات عند مسلم نذكرها حتى يتبين المعنى منها، وهي:

١ – عن رافع بن خديج، قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة، وهم يأبرون النخل، يقولون يلقحون النخل، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه، قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا» فتركوه، فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر» قال عكرمة: أو نحو هذا. قال المعقري: فنفضت ولم يشك(٢).

---

(١) رواه مسلم في الفضائل وجوب امتثال ما قاله شرعًا (٤٣٥٨).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٥) (٢٣٦٢) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي.

٢ - عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رءوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أظن يغني ذلك شيئا»** قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: **«إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل»** (١).

٣ - عن عائشة، وعن ثابت، عن أنس، أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون، فقال: **«لو لم تفعلوا لصلح»** قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: **«ما لنخلكم؟»** قالوا: قلت كذا وكذا، قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» (٢).

وبالنظر في تلك الروايات يتبين أن الحديث لم يتضمن نهيا عن تأبير النخل، وما في الرواية الأولى قوله ﷺ: **«لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا»**، وفي الرواية الثانية قوله ﷺ: **«ما أظن يغني ذلك شيئا»**، وفي الرواية الثالثة قوله ﷺ: «لو لم تفعلوا لصلح».

وقد ترجم النووي لهذا الباب بعنوان: "باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي".

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في قوله ﷺ: **"إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا**

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٥) (٢٣٦١) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٦)(٢٣٦٣). كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي.

أمرتكم بشئ من رأي فإنما أنا بشر" وفي رواية: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" قال العلماء: قوله ﷺ من رأيي أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ﷺ ورآه شرعا يجب العمل به وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله مع أن لفظة الرأي إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله في آخر الحديث قال عكرمة أو نحو هذا، فلم يخبر بلفظ النبي ﷺ محققا قال العلماء ولم يكن هذا القول خبرا وإنما كان ظنا كما بينه في هذه الروايات، قالوا: ورأيه ﷺ في أمور المعايش وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا ولا نقص في ذلك وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها" (١).

فالمسألة إذن ترجع إلى التجربة والخبرة ولا علاقة لها بالوحي من قريب أو بعيد ومن المعلوم أن الأمور التي تقوم عليها معايش الناس وحياتهم الدنيوية لا صلة لها بالوحي إلا فيما يتصل بها من حل أو حرمة وإباحة، وأما كيفية مزاولتها والقيام بها فذلك متروك للخبرة والتجربة يزاولونها على ما ألفوا.

ومن تأمل قول النووي: "باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي"، فالأصل الاقتداء بالنبي ﷺ فيما قاله شرعا، أما معايش الدنيا فكذلك الاقتداء إلا أن يكون النبي ﷺ قاله على سبيل الرأي أي أنه قاله لا على سبيل التشريع.

ثانيـًا: اجتهاد النبي ﷺ في موقع الجيش في غزوة بدر:

قد رجع النبي لرأي الحباب بن المنذر في اختيار موقع الجيش في غزوة بدر.

روى ابن إسحاق: جاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله ﷺ فقال: "أرأيت

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١١٦).

هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال يا رسول الله فإن هذا ليس لك بمنزل امض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فنعسكر فيه ثم نغور ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ لقد أشرت بالرأي ثم أمر بإنفاذه فلم يجيء الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب وامتلكوا مواقع الماء" (١).

الجواب عن هذه الشبهة من جهتين:

الجهة الأولى: أن هذا الحديث ضعيف، ضعفه الحافظ الذهبي وغيره.

الجهة الثانية: لو فرضنا صحته فهو في منأى عن التشريع، فهو من باب السياسة والمعايش التي لا نص فيها، فقد قال ﷺ: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فالمسألة تخضع للتجربة والمشاورة، وقد قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٣).

---

(١) رواه ابن هشام: ٢/ ٦٦، عن ابن إسحاق، قال: فحدثت عن رجال من بني سلمة؛ أنّهم ذكروا أنّ الحباب ... وهذا سند ضعيف، لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة. وقد وصله الحاكم: ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧، من حديث الحباب، وفي سنده من لم أعرفه، وقال الذهبي في (التلخيص) : «قلت: حديث منكر وسنده» كذا الأصل، ولعلّه سقط منه «واه» أو نحوه؛ ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في البداية: ٣/ ٢٦٧، وفيه الكلبي وهو كذّاب. فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٣٢) دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) سورة ءال عمران: من الآية: ١٥٩.

(٣) سورة النحل: من الآية:٤٣.

ثالثـًا: اجتهاده ﷺ في القضاء وإخباره بأنه قد يقضي لأحد بحق أخيه:

قال رسول الله ﷺ: أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ قال: " **إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا، بقوله: فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها** " (١).

فهذا الحديث ظاهره أنه قد يقع منه ﷺ في الظاهر مخالف للباطن، وأنه قد يظلم أحدا بناء على ما يسمعه من خصمه.

الجواب عن هذه الشبهة:

أن الأنبياء بشر لا يعلمون شيئا من الغيب إلا ما أعلمهم الله تعالى، والنبي ﷺ قدوة لأمته فالقاضي يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

والذي في الحديث فمعناه إذا حكم بغير اجتهاد كالبينة واليمين فهذا إذا وقع منه ما يخالف ظاهره باطنه لا يسمى الحكم خطأ بل الحكم صحيح بناء على ما استقر به التكليف وهو وجوب العمل بشاهدين مثلا فإن كانا شاهدي زور أو نحو ذلك فالتقصير منهما وممن ساعدهما وأما الحكم فلا حيلة له في ذلك ولا عيب عليه بسببه.

قال النووي: "وقوله ﷺ **(إنما أنا بشر)** معناه التنبيه على حالة البشرية وأن البشر لا يعلمون من الغيب وبواطن الأمور شيئا إلا أن يطلعهم الله تعالى على شيء من ذلك وأنه يجوز عليه في أمور الأحكام ما يجوز عليهم وأنه إنما يحكم

---

(١)صحيح البخاري (٣/ ١٨٠) ٢٦٨٠ كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، والإمام مسلم (١٧١٣) في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

بين الناس بالظاهر والله يتولى السرائر فيحكم بالبينة وباليمين ونحو ذلك من أحكام الظاهر مع إمكان كونه في الباطن خلاف ذلك ولكنه إنما كلف الحكم بالظاهر وهذا نحو قوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفي حديث المتلاعنين لولا الأيمان لكان لي ولها شأن ولو شاء الله تعالى لأطلعه ﷺ على باطن أمر الخصمين فحكم بيقين نفسه من غير حاجة إلى شهادة أو يمين لكن لما أمر الله تعالى أمته باتباعه والاقتداء بأقواله وأفعاله وأحكامه أجرى له حكمهم في عدم الاطلاع على باطن الأمور ليكون حكم الأمة في ذلك حكمه فأجرى الله تعالى أحكامه على الظاهر الذي يستوي فيه هو وغيره ليصح الاقتداء به وتطيب نفوس العباد للانقياد للأحكام الظاهرة من غير نظر إلى الباطن"(١).

قال النووي: "وأكثر العلماء على أنه يجوز عليه الخطأ فيما لم ينزل عليه وقد أجمعوا كلهم على أنه لا يقر عليه"(٢).

وقال في موضع آخر: "واتفق العلماء رضي الله عنهم على جواز اجتهاده ﷺ في أمور الدنيا ووقوعه منه وأما أحكام الدين فقال أكثر العلماء بجواز الاجتهاد له ﷺ لأنه إذا جاز لغيره فله ﷺ أولى ولكن لا يقر على خطأ" (٣).

(١)شرح النووي على مسلم (١٢/ ٥).
(٢) شرح النووي على مسلم (١١/ ٩١)، وفي موضع آخر: (١٢/ ٦).
(٣)شرح النووي على مسلم (١/ ٢٤١).

الأدلة من الإعجاز العلمي في السنة النبوية أنها وحي [١]

تمهيد:

وأعني بالإعجاز العلمي ما اصطُلِحَ عليه مؤخراً مما جاء في السنة النبوية الشريفة مما له علاقة بالعلوم الكونية والعصرية، فجاء العلمُ الحديثُ كاشفًا لما كان قد جاء فيهما صراحةً أو إشارة.

١ - الفرق بين دم الحيض ودم الاستحاضة:

فعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جاءت فاطمة بت أبي حُبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أُستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاةَ؟ فقال رسول الله ﷺ: **"لا، إنما ذلك عِرقٌ، وليس بحيضٍ، فإذا أقبلت حيضتُك فدعي الصلاةَ، وإذا أدبرت (فإذا ذهب قدرها) فاغسلي عنك الدم (فاغتسلي) ثم صلي"** متفق عليه [٢].

وقد ورد عندهما عن أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أيضـًا.

فقد فرَّق رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث الشريفة بين دم الحيض ودم الاستحاضة - مع أنهم ما كانوا يفعلون ذلك - وهذا ما بينه العلمُ الحديث.

فالدمان يختلفان من حيث المنشأ واللون والرائحة والمدة والفترة بين الدمين والنظام،. إلخ.

---

(١) السنة النبوية وحي - خليل خاطر (ص: ٥٩) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

(٢) البخاري: كتاب الوضوء: باب غسل الدم، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب المستحاضة وغسلها وصلاتها، رقم (٦٢ - ٦٣) .

أما الحيض فيمتاز بالأمور التالية:

- إن دم الحيض ينتج عن تساقط الغشاء المبطن للرحم المتموت، ويتوقف هذا الدم عندما يكتمل ترمم الغشاء المبطن الجديد للرحم، استعداداً للدورة الشهرية الجديدة التالية.

- لون دم الحيض أحمر غامق لا يتخثّر، وقد تُرى فيه قطع صغيرة داكنة في الأيام الأولى للحيض، وهي بطانة الرحم المتموتة.

- هذا الدم يكون غزيراً في الأيام الأولى، ويخف تدريجيًّا، ويميل لونه للبني والاصفرار قبل أن ينقطع.

- ترافقه - غالبًا - آلام العادة الشهرية في الأيام الأولى، وبعض النساء يُمَيِّزنه من رائحته الخاصة.

- وعندما يكون غزيراً جدّاً - بشكل نزيف - فإنه يَميل إلى الأحمر القاني (بسبب ضخامةٍ أو تليُّفٍ في الرحم) وهذه حالة مرضية عندها يترافق بوجود خثرات دمٍ صغيرة أو كبيرة حسب الشدة.

- إن مدة الحيض عادة تكون (من ٥ - ٧ أيام) لكنها قد تقل إلى يومين، أو تزيد إلى (٨) أيام، وقد تزيد أكثر، وتعتمد مدةُ الحيض على طول فترة ترمم الغشاء المبطن للرحم زيادةً أو نقصانًا.

- تكون الدورة الشهرية عند (١٥؟) من النساء (من ٢٨- ٣٠) يومًا.

- تعدُّ الدورة طبيعيةً إذا كانت المدة بين الحيضتين (من٢١- ٣٥) يومًا.

أما دم الاستحاضة فيمتاز بما يلي:

- يختلف لونه عن دم الحيض، يكون لونه مائلاً إلى الاحمرار القاني.

- أنه ناتج عن تمزق الأوعية الدموية - فهو دم عِرْق - (لحمية، ورم، تسمُّك في بطانة الرحم)

- وغالبًا إذا كان غزيراً ترافقه خثرات دموية.

- قد يشبه دمَ الحيض عند زيادة مدة الحيض عن (٨ - ١٠) أيام، في حالات اضطراب الدورة الشهرية.

- ليس له طبيعة منتظمة مثل الدورة الشهرية، فقد يحدث خارج الدورة، وقد يلي حدوث الدورة مباشرة.

- ليس له مدة ثابتة، فقد تطول مدته إلى أشهر بل أكثر، وقد تقل.

- لا ترافقه آلام كآلام الدورة الشهرية.

٢- ليس من كل الماء يكون الولد:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: **"ما مِن كلِّ الماء يكون الولد، إذا أراد الله خَلْقَ شيءٍ لم يمنعه شيءٌ"**(١).

في هذا الحديث الشريف ثلاثة أمور علمية محضة، سبق بها الاكتشافات الحديثة، وهي:

أ -ليس الخلق يكون من جميع الماء - خلافًا لما كان يُعتقد إلى عهد قريب في الغرب، مع تقلبهم في ذلك - علمًا بأن الرجل يقذف في المرة الواحدة

---

(١) رواه مسلم: كتاب النكاح: باب حكم العزل، رقم (١٣٣) .

ما يقرب من نصف مليار نطفة، لكن لا يصل إلى البويضة إلا أقل من خمسمائة، وقد يصل العشرات فقط، ولكن الذي يلقحها حُوَيْن واحد (نطفة) .

ب - أن السقط قد يقع مبكِّراً قبل التخلق.

ج - أن الحمل قد يقع بإذن الله تعالى مع تناول الأم موانع الحمل، وهذا واضح من لفظ الحديث "إذا أراد الله خَلْقَ شيء لم يمنعه شيء" والنصوص كثيرة في الدلالة على ذلك.

وهذا هو المشاهد الآن، حيث وقع حَملُ كثير من النساء، وهن يأخذن موانع الحمل.

٣ - إثبات ماء الرجل وماء المرأة:

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه - في قصة سؤال الحبر اليهودي لرسول الله ﷺ بعض الأسئلة، وفيه: قال الحبر: جئتُ أسألك عن الولد؟ فقال ﷺ: "ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا؛ فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا (أي كان الولد ذكراً) بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا (أي كان الولد أنثى) بإذن الله" قال اليهودي: صدقتَ وإنك لنبيٌّ، ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: **"لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه، حتى أتاني الله به"**(١).

(١) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم (٣٤) .

وقد ورد نحو ذلك من حديث عائشة وأنس وأم سلمة رضي الله عنهم [١] ففي هذه الأحاديث الشريفة - وغيرها - أمور علمية، لم تُعرف إلا في هذا القرن، أو قبله بقليل، ومنها:

أ - إثبات ماءٍ للرجل، وآخر للمرأة، وهذا لم يُعرف إلا مؤخراً، حيث كانوا يتصورون أن الجنين يُخلق من ماء الرجل لا غير، وبخاصة بعد اكتشاف (لوفنهوك) وتلميذه (هام) النطفة، وكانوا يصورون النطفة على أنها إنسان صغير جدّاً، ينمو في الرحم، حتى يبلغ حجمَه المعروف، دون طروٍّ أيِّ تغيير عليه في تركيبه وشكله. واستمر الأمر حتى بعد اكتشاف البويضة، ولم يحسم الأمر إلا في القرن الماضي، حيث اكتشف أهمية النطفة والحُوَيْن في عملية تخلق الجنين[٢].

ب - التفريق بين ماء الرجل وماء المرأة، والذي لم يعرف إلا مؤخَّراً، لأن منشأ مائها يكون بانسكاب السائل الجريبي، الذي يأتي مع البويضة من المبيض، ويكون لونه أصفر رقيقًا.

ج - الجنين لا يكون إلا بعد معاشرة الرجل للمرأة جنسيًّا، فهو مخلوق منهما، خلافًا لما كان سائداً حتى القرن التاسع عشر المسيحي.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الحياء في العلم، وكتاب الأنبياء: باب ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾. وكتاب مناقب الأنصار: باب (٥١) حدثنا حامد بن عمر. وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم (٣٠ - ٣٣) .

(٢)انظر: الطب النبوي والعلم الحديث (٣: ٣٢٨) وعلم الأجنة في القرآن والسنة (٢١).

د - تعيين جنس الجنين لا يكون إلا بغلبة أحد الماءين، خلافًا لما كان سائداً حتى القرن التاسع عشر الميلادي- كما ذكرت - ذلك أنهم كانوا يرون أن ما يطرأ على الجنين إنما هو مجرد نمو في الحجم والوزن والشكل، وأنه من ماء الرجل فقط، أو من ماء المرأة فقط - بعد اكتشاف البويضة - ولكنهم اكتشفوا مؤخراً أنه من الرجل والمرأة معـًا، كما نصت عليه هذه الأحاديث.

هـ - تحديد الشبه، ونظام التوارث الخَلْقي، بين الولد وأعمامه، وبين الولد وأخواله، وقد سبق الإسلامُ العلمَ الحديثَ بأكثر من ألف عام في ذلك.

٤ - استقرار النطفة الأمشاج في الرحم:

عن حذيفة بن أَسيد رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبيَّ ﷺ قال: **"يدخل الملَكُ على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين - أو خمسة وأربعين - ليلةً، فيقول: يا رب، أشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فيُكتبان، فيقول: يا ربِّ، أذكرٌ أم أنثى؟ فيُكتبان، ويُكتبُ عملُه وأثره وأجلُه، ورزقُه، ثم تطوى الصحف، فلا يزداد فيها ولا ينقص"** (١).

ففي هذا الحديث الشريف برواياته إشارة إلى حقائق علمية، منها:

أ -كون النطفة لا تكون في الرحم قبل استقرارها فيه.

ب-كون النطفة تكون متحركةً قبل استقرارها في الرحم.

ج-استقرار النطفة في الرحم، لكن لم يُحدِّد الحديث مدة الحركة قبل

---

(١)صحيح مسلم: كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه، ... رقم (٢).

الاستقرار.

د- الإشارة إلى منع دخول أي شيء على النطفة قبل هذه المدة، وهذا هو الواقع حيث إن الرحم يقفل - تقريباً - بما يكون فيه من موانع-بعد نزول البويضة وانغراسها في جدار الرحم، وقد جاء العلم الحديث ليقرر هذه الحقائق العلمية كلها، والتي لم تُعرف إلا مؤخَّراً [١].

□ من قوانين الوراثة التي اكتشفت حديثا:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ، فقال: «**يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود، وإني أنكرته**»، فقال له النبي ﷺ: «**هل لك من إبل؟**» قال: نعم، قال: «**ما ألوانها؟**» قال: حمر، قال: «**فهل فيها من أورق؟**» قال: «**نعم**»، قال رسول الله ﷺ: «**فأنى هو؟**»، قال: «**لعله يا رسول الله يكون نزعه عرق له**»، فقال له النبي ﷺ: «**وهذا لعله يكون نزعه عرق له**» [٢]

شرح الحديث: (إن امرأتي ولدت غلاما أسود وإني أنكرته) معناه استغربت بقلبي أن يكون مني. (الأورق): هو الذي فيه سواد ليس بصاف.

والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيها بعرق الثمرة، ومعنى (نزعه) أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه، وأصل النزع الجذب فكأنه جذبه إليه

---

(١) ينظر: الطب النبوي والعلم الحديث، ومع الطب في القرآن الكريم، ودورة الأرحام، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن. نقلا عن: السنة النبوية وحي - خليل خاطر (ص: ٦٣).

(٢)رواه البخاري (٤٩٩٩)، كتاب: الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد، ومسلم (١٥٠٠)، كتاب: اللعان، وهذا لفظ مسلم.

لشبهه، يقال منه نزع الولد لأبيه وإلى أبيه ونزعه أبوه ونزعه إليه.

وفي هذا الحديث أن الولد يلحق الزوج وإن خالف لونه لونه حتى لو كان الأب أبيض والولد أسود أو عكسه لحقه ولا يحل له نفيه بمجرد المخالفة في اللون، وكذا لو كان الزوجان أبيضين فجاء الولد أسود أو عكسه لاحتمال أنه نزعه عرق من أسلافه (١).

وجه الإعجاز: إن علم الوراثة الحديث يؤكد أن الشبه بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر، بل بعيد كل البعد عن كلا الأبوين، وبما أن الصفات الوراثية قد تكون سائدة، وقد تكون متنحية، فإن الصفات المتنحية لا تكون ظاهرة لا في الأب، ولا في الأم، فإذا اتفق وكان كلا الأب والأم يحملان هذه الصفات المتنحية، فإن ربع أولادهم - تقريبا - ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحية بصورة واضحة جلية، وذلك لاجتماع الصفتين من كلا الأب والأم.

وقد أشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى قوانين الوراثة التي اكتشفت حديثا والتي اكتشف كثيرا منها (مندل)، ففي هذا الحديث شرح للصفات الكامنة المحمولة على المورثات التي لم توضع موضع التنفيذ لكونها قد سبقت أو غلبت بمورثات أخرى، فقد يرث الإنسان صفة من جد أو جدة بينه وبين أحدهما مئات السنين؛ وهذه الظاهرة معروفة ومشار إليها في علم الوراثة، والرسول الكريم ﷺ أشار إليها في هذا الحديث وشرح قوانينها بالصفات السابقة والمسبوقة، وبحضور الأنساب حتى آدم عليه السلام(٢).

---

(١) العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام لابن العطار (٣/ ١٣٦٣).

(٢) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة =

لعاب الكلب وقوة مفعول التراب لتنظيفه:

لقد شدد رسول الله ﷺ النهي عن مخالطة الكلاب، وهي سباع مدجنة فيها من الطفيليات والجراثيم الدقيقة الشيء الكثير، والتي قد تسبب للإنسان أخطارا محققة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **"إذا شرب الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبعا"** (١)، ولمسلم: **"أولاهن بالتراب"** (٢).

وله في حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **"إذا ولغ الكلب في الإناء، فاغسلوه سبعا، وعفروه الثامنة بالتراب"**(٣).

ويشير هذان الحديثان الأخيران الواردان عن النبي ﷺ إلى ضرورة إراقة الإناء الذي ولغ فيه الكلب وتطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بغسله سبع مرات أولها بالتراب.

وقد أكد الأطباء على ضرورة استعمال التراب في عملية غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب وبينوا الحكمة في الغسل سبع مرات أولاهن بالتراب: أن فيروس الكلب دقيق ومتناه في الصغر، ومن المعروف أنه كلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا

=

(٨/ ٦).

(١) رواه البخاري (١٧٠)، كتاب: الوضوء، باب: الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، ومسلم (٢٧٩)، كتاب: الطهارة، باب: حكم ولوغ الكلب، وهذا لفظ البخاري.

(٢) رواه مسلم (٢٧٩)، كتاب: الطهارة، باب: حكم ولوغ الكلب، بلفظ: "طهور إناء أحدكم ..... ".

(٣) رواه مسلم (٢٨٠)، كتاب: الطهارة، باب: حكم ولوغ الكلب.

هو امتصاص الميكروب - بالالتصاق السطحي- من الإناء على سطح دقائقه.

وقد ثبت علميا أن التراب يحتوي على مادتين قاتلتين للجراثيم هما (تتراكسلين) و (التتاراليت) وتستعملان في عمليات التعقيم ضد بعض الجراثيم. والغسل بالتراب أقوى من الغسل بالماء، لأن التراب يسحب اللعاب ويسحب الفيروسات الموجودة فيه بقوة أكثر من إمرار الماء، أو اليد على جدار الإناء، وذلك بسبب الفرق في الضغط الحلولي بين السائل (لعاب الكلب) وبين التراب (١).

 تمييز بول الغلام الرضيع:

قال ﷺ: "إنما يغسل من بول الأنثى وينضح من بول الذكر"(٢).

عن أم قيس بنت محصن الأسدية رضي الله عنها: أنها أتت بابن لها صغير؛ لم يأكل الطعام، إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه؛ فنضحه بماء، ولم يغسله(٣).

يفهم من هذين الحديثين فقهيا أن بول الغلام الذي لم يأكل الطعام نجاسته مخففه ويكتفى فيها بالنضح أي الرش بالماء، ويفهم منها علميا وجود فارق طبيعي يجعل بول الغلام الذي لم يأكل الطعام أقل عرضة للتلوث وأخف

---

(١)الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة (٨/ ١٩).

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (١/ ٢٧٩)، قال الأرؤوط: حديث صحيح.

(٣) رواه البخاري (٢٢١)، كتاب: الوضوء، باب: بول الصبيان، ومسلم (٢٨٧)، كتاب: الطهارة، باب: حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله، وهذا لفظ البخاري.

نجاسة.

وقد قامت الأستاذة أصيل محمد علي، جامعة دهوك – كلية العلوم – قسم الفيزياء – العراق، والدكتور أحمد محمد صالح، جامعة دهوك – كلية الطب – قسم الأحياء المجهرية الطبية – العراق، بعمل دراسة لنسبة تواجد البكتيريا في بول الأطفال الرضع وحديثي الولادة، لغرض دراسة الحديث النبوي الشريف من الناحية العلمية ومعرفة الفرق بين بول الغلام والجارية الرضع، حيث تم التركيز على عدد البكتيريا في العينات وكذلك نوع البكتيريا من ناحية صبغة جرام (السالبة والموجبة). وقد أثبتت هذه الدراسة عمليا بالتجربة أنه قبل اكتشاف البكتريا بقرون كان النبي محمد ﷺ موصولا بالوحي معلما من قبل العليم الحكيم.

اعتمدت هذه الدراسة على عينات جمعت لـ ٧٣ طفلا تم اختيارهم بشكل عشوائي باستخدام الأكياس البلاستيكية المعقمة والمخصصة لهذا الغرض.

وفحصت العينات مباشرة في المختبر باستخدام صبغة جرام حيث تم تحضير مسحة من راسب كل بول على شريحة زجاجية ثم صبغها بصبغة جرام. أظهرت النتائج وجود فروق معنوية في نسبة عدد البكتيريا بين الجنسين الذكري والأنثوي.

وقد كانت النتائج على النحو التالي:

أولا: في الفئة العمرية حتى ٣٠ يوم كانت نسبة تواجد البكتريا في بول الرضع الإناث ٤٤,٩٥٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتريا في الحقل المجهري لبول الرضع الإناث ٤١,٩ بينما بلغ العدد ٢ في نفس الحقل للرضع

الذكور.

ثانيا: في الفئة العمرية ١ – ٢ شهر كانت نسبة تواجد البكتريا في بول الرضع الإناث ٤٨,٩١٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتريا في الحقل المجهري لبول الرضع الإناث ٢٤,١ بينما بلغ العدد ٢,٢٥ في حالة الرضع الذكور.

ثالثا: في الفئة العمرية ٢ – ٣ شهر كانت نسبة تواجد البكتريا في بول الرضع الإناث ٦٩,٩٣٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتريا في الحقل المجهري لبول الرضع الإناث ٢٤,١ بينما بلغ العدد ١,٦ في حالة الرضع الذكور.

رابعا: في الفئة العمرية أكثر من ٣ شهور كانت نسبة البكتريا في بول الرضع الإناث ٦٩٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتريا في الحقل المجهري لبول الرضع الإناث ١٣,٩ بينما بلغ العدد ٦,٨ في حالة الرضع الذكور.

ويلاحظ في حالة الرضع الإناث تناقص عدد البكتريا مع التقدم في العمر، وفي حالة الرضع الذكور عقب انخفاض أولي تزايد عدد البكتريا مع تناول الطعام والتقدم في العمر تماما كما أفاد الحديث النبوي.

هذا هو أول بحث تجريبي في هذا المجال، وبالطبع لم يدرك أحد منذ زمن الوحي فروقا بين بول الجارية وبول الغلام الذي لم يأكل الطعام بعد حتى أن الفقهاء قد اجتهدوا في التعليل، لكن براهين الوحي تشع اليوم بنور اليقين، ودين تتفق تشريعاته مع حقائق التكوين لن تبيده أبدا حيل مهما بلغت أو عتاد [1].

---

(١) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة =

 عجب الذنب:

عن أبي هريرة رَضِوَالِلَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»(١)، وفي رواية عن أبي هريرة رَضِوَالِلَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن فى الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا فيه يركب يوم القيامة**». قالوا: «**أى عظم هو يا رسول الله؟**». قال: «**عجب الذنب**»(٢).

وفي رواية عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب**».

(**عجب الذئب**): أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص.

يستنتج من هذه الأحاديث الصحيحة الحقائق التالية:

- أن عجب الذنب مكون أساس يتركب منه الجنين في مراحله الأولية. فالإنسان يبدأ خلقه في مرحلة التكوين من عجب الذنب.

- عجب الذنب لا يبلى، ولا تأكله الأرض.

=
(٨/ ١٩).

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٦٥) رقم (٤٩٣٥)، صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧١) رقم(٢٩٥٥)، (عجب الذئب) أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص ويقال له عجم بالميم وهو أول ما يخلق من الأدمى وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه. تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، على صحيح مسلم.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٠)، رقم(٢٩٥٥).

- فيه يركب الخلق يوم القيامة، فمنه يعاد خلق الإنسان يوم القيامة.

إن ثبوت الاستنتاج الأول علميا (عجب الذنب مكون أساس يتركب منه الجنين في مراحله الأولية) يكفى لقبول الاستنتاج الثالث (فيه يركب الخلق يوم القيامة) والذي هو قطعا من الغيب الذي لا يمكن الخوض فيه، **وفى ذلك أدلة على أمور عديدة منها:**

- الدليل على أن البعث حق.

- الدليل على نبوة الرسول ﷺ لما ثبت من صدق حديثه.

- الدليل على سلامة منهج سلف هذه الأمة في سلامة النقل عن رسول الله ﷺ حتى وصلت إلينا الأحاديث النبوية الشريفة كما أخبر عنها.

المسألة الأولى التي ذكرتها الأحاديث النبوية: وهي أن الإنسان يبدأ خلقه من عجب الذنب:

أوضح علم الأجنة الحديث أن عجب الذنب هو الشريط الأولي، حيث إن هذا الشريط الأولى هو الذي يتكون إثر ظهوره الجنين بكافة طبقاته وخاصة الجهاز العصبي، ثم يندثر هذا الشريط ولا يبقي منه إلا أثر فيما يسمي عظم العصعصي (عجب الذنب).

ونتيجة لظهور الشريط الأولى يبدأ تكون الجهاز العصبي والنوتوكورد (سالفة العمود الفقري) كما تتكون الطبقة المتوسطة (الميزودرم) ويشهد الجنين بداية تكوين الأعضاء، أما عند غياب أو عدم تكون الشريط الأولى فإن هذه الأعضاء لا تتكون وبالتالي لا يتحول القرص الجنيني البدائي إلى مرحلة تكون الأعضاء بما فيها الجهاز العصبي.

ولأهمية هذا الشريط الأولى فقد جعلته لجنة "وارنك" البريطانية (المختصة بالتلقيح الإنساني والأجنة) العلامة الفاصلة بين الوقت الذي يسمح فيه للأطباء والباحثين بإجراء التجارب على الأجنة المبكرة الناتجة عن فائض التلقيح الصناعي في الأنابيب (الأطباق)، فقد سمحت اللجنة بإجراء هذه التجارب قبل ظهور الشريط الأولى ومنعته منعا باتا بعد ظهوره على اعتبار أن ظهور هذا الشريط يعقبة البدايات الأولى للجهاز العصبي.

إن الشريط الأولى ذو أهمية بالغة لأن نشاطه الجم يؤدي إلى تكون النوتوكورد (سالفة العمود الفقري)، وإلى تكون الطبقة المتوسطة الداخلية (الميزودرم) التي يكاد ينتهي الشريط الأولى من مهمته تلك في الأسبوع الرابع حتى يبدأ في الاندثار ويبقي كامنا في المنطقة العجزية - العصعصية - في الجنين ثم في المولود، ويندثر ما عدا ذلك الأثر الضئيل الذي لا يري بالعين المجردة.

المسألة الثانية التي ذكرت في الأحاديث وهي أن عجب الذنب لا يبلى.

لقد اكتشف العلماء أن الذي يقوم بالتخليق والتنظيم لجميع خلايا الجنين هو الشريط الأولي، وأول من اكتشف ذلك من العلماء هو العالم الألماني الشهير "هانسن سبيمان" حيث قام بدراسات وتجارب على الشريط الأولي والعقدة الأولية واكتشف أن الخيط الأولي والعقدة الأولية هما اللذان ينظمان خلق الجنين وأطلق عليهما اسم (المنظم الأولي أو المخلق الأولي (Primary Organizer) وقام بقطع الشريط الأولي وزرعه في جنين آخر في المراحل الجنينية المبكرة في الأسبوع الثالث والرابع فأدى ذلك إلى نمو جنين ثانوي من هذه القطعة المزروعة في الجنين المضيف؛ حيث تقوم هذه القطعة المزروعة بالتأثير على البيئة التي حولها والمكونة من خلايا الجنين المضيف، بحيث تؤثر

عليها وتنظمها ويتخلق منها جنين ثانوي مغروسا في جسد الجنين المضيف.

ثم قام هذا العالم الألماني "سبيمان" عام ١٩٣١ م بسحق المنظم الأولي وزرعه مرة أخرى فلم يؤثر السحق حيث نما مرة أخرى وكون محورا جنينيا ثانويا رغم سحقه ولم تتأثر خلاياه.

وفي عام ١٩٣٣ م قام هذا العالم وعلماء آخرون بغلي المنظم الأولي وزراعته بعد غليه فشاهدوا أنه يؤدي إلى نمو محور جنين ثانوي بعد غليه ولم تتأثر خلاياه بالغليان، ولقد نال العالم الألماني (سبيمان) جائزة نوبل عام ١٩٣٥ م على اكتشافه للمنظم الأولي.

المسألة الثالثة التي أخبرت بها الأحاديث هي أن الإنسان يركب خلقه يوم القيامة من عجب الذنب:

فقد أشار المصطفي ﷺ أنه لا يبقي من الإنسان إلا عجب الذنب فإذا أراد الله بعث الأجساد أنزل عليها مطرا من السماء فينبت الإنسان من بقايا ذلك الشريط الأولى الكامن في عجب الذنب (**المنطقة العصعصية**). قال ﷺ: «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**» (١).

وجه الإعجاز: من خلال اكتشافات العلم الحديث رأينا أن الإنسان يبدأ خلقه وتركيبه في اليوم الخامس عشر من عجب الذنب، ويعمل عجب الذنب على تكوين أجزاء جسم الإنسان ثم يرجع فيستقر في نهاية العمود الفقري في

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٦٥)، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ ﴾ (٤٩٣٥)، صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما بين النفختين (٢٩٥٥).

العصعص، وأظهرت التجارب أن عجب الذنب يبقى محافظا على خواصه حتى لو تعرض للحرق أو الطحن أو الغلي، وتمكن العلماء من ملاحظة قدرة عجب الذنب على إعادة عملية التخليق إذا تعرض لبعض المؤثرات مشكلا ما يشبه الجنين.

وكل هذه الحقائق احتوتها الأحاديث النبوية الشريفة ولم تتوصل العلوم التجريبية إلى معرفتها إلا بعد مئات السنين، وبعد أن تمكنوا من حيازة التقنيات الحديثة وعلى مراحل مختلفة من تطور هذه التقنيات حتى تمكنوا من الحصول على هذه الحقائق العلمية التي أخبرنا عنها النبي ﷺ بلفظ موجز يحوي في طياته جوامع الكلم، فلا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لهذه الحقائق العلمية من قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة غير وحي صادق من الله الخالق الذي خلق فأبدع، وألهم خاتم أنبيائه النطق بهذه الحقائق ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته ورسالته ما يكون ملائما لكل إنسان في كل عصر وزمان [(١)].

الشبهة الثانية النهي النبوي عن كتابة الحديث [(٢)].

من أبرز الشبهات التي يستند إليها منكرو السنة النبوية، أن النبي ﷺ لم يأمر

---

(١) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة (٨/ ٤٠).

(٢) ينظر: أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة (ص: ١١)، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص: ٢٠)، موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (٧/ ٩١) تدوين السنة النبوية (ص: ١٥)، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري (ص: ٧٣)، السنة قبل التدوين (١/ ٣١٦).

بكتابة السنة وإنما نهى عنها، وهذا يدل على عدم حجيتها، إذ لو كانت حجة لأمر بكتابة القرآن، صيانة له.

الجواب عن هذه الشبهة:

نعم لقد ثبت نهي النبي ﷺ عن كتابة السنة في أول الإسلام، وثبت أيضا إذنه بالكتابة وإباحتها.

أما النهي: فقد روى مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: **" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"** (١).

أما الإذن بالكتابة: عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: "اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حق"(٢).

قال القاضي عياض: روى عن زيد بن ثابت أنه دخل على معاوية فسأله عن حديث، فأمر إنسانا فكتبه. فقال له زيد: إن النبى ﷺ أمر ألا نكتب شيئا من حديثه فمحاه(٣).

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٨) رقم (٣٠٠٤).
(٢) أبو داود، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم(٣٦٤٦). قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(٣) أبو داود، كتاب العلم، ب كتابة العلم، رقم (٣٦٤٧)، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه، المطلب بن عبد الله بن حنطب لم يسمع من زيد بن ثابت.

وهذا النهى قال فيه بعض العلماء: إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة لئلا يختلط به، فيشتبه على القارئ. ويحتمل أن يكون النهى منسوخا، وقد قال ﷺ فى خطبته: **"اكتبوا لأبى شاه"**(١) لما استكتبه، وقال ﷺ لرجل شكا إليه سوء الحفظ: " استعن بيمينك "(٢)، وكتب – عليه الصلاة والسلام – كتابا فى الصدقات والديات(٣)، أو كتب عنه فعمل به الأمة ولم ينكرها أحد، وقد أمر ﷺ أمته بالتبليغ، فإذا لم يكتب ذهب العلم.

قال القاضى عياض: "بين السلف اختلاف كبير فى كتابة العلم من الصحابة والتابعين، فكرهه كثير منهم، وأجازه الأكثر. فمنعه لما جاء من النهى عنه، ومخافة الاتكال على الكتاب وترك الحفظ، ولئلا يكتب شئ مع القرآن. ومنهم من كان يكتب، فإذا حفظ محا. ثم وقع بعد الإتفاق على جوازه لما جاء عنه عليه السلام من إذنه لعبد الله بن عمرو فى الكتاب"(٤)(٥).

قال أبو عمر بن عبد البر: "من كره كتاب العلم إنما كرهه لوجهين:

أحدهما: أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به.

ثانيهما: لئلا يتكل الكاتب على ما كتب، فلا يحفظ، فيقل الحفظ.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، برقم (٤٤٧).

(٢) الترمذى، كتاب العلم، باب ما جاء فى الرخصة فى كتابة العلم (٢٦٦٧)، قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك القائم. وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: الخليل بن مرة منكر الحديث.

(٣) صحيح مسلم كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم (٤٦٧).

(٤) أبو داود، كتاب العلم، باب كتابة العلم، برقم (٣٦٢٩).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٥٤).

كما قال الخليل رَحِمَهُ اللَّهُ:

لـيس بعلـم مـا حـوى القمطـر   مـا العلـم إلا مـا حـواه الصـدر"(١)

قال أبو عمر: "كان العرب مطبوعين على الحفظ، مخصوصين بذلك، والذين كرهوا الكتاب كابن عباس، والشعبي، وابن شهاب، والنخعي، وقتادة من ذهب معهم مذهبهم وجبل جبلتهم كانوا قد طبعوا على الحفظ، فكان أحدهم يجتريء بالسمعة، أ لا ترى ما جاء عن ابن شهاب إنه كان يقول: إني لأمر بالبقيع فأسد آذاني مخافه أن يدخل فيها شيء من الخنا، فو اللّه ما دخل أذني شيء قط فنسيته، وجاء عن الشعبي نحوه، وهؤلاء كلهم العرب، ومشهور أن العرب قد خصت بالحفظ، كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة، وقد جاء أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعه، في سمعة واحدة على ما ذكروا، وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم، وقد أرخص رسول اللّه ﷺ في كتاب العلم، كما ثبت أنه ﷺ كان يكتب لولاته وعما له كتبا يبين فيها أحكام الصدقات (الزكاة) والديات والفرائض (المواريث) وبعض السنن، هذه الوقائع والآثار تدل دلالة قاطعة على أن النبي كان قد أذن في كتابة أحاديثه للعمل بها في حياة المسلمين" (٢).

قال الأوزاعي: "كان هذا العلم شيئا شريفا إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله" (٣).

---

(١)جامع بيان العلم وفضله - ت السعدني ط العلمية (ص: ٩٦).
(٢) يراجع: جامع بيان العلم وفضله - ت السعدني ط العلمية (ص:٩٧ - ٩٨) بتصرف
(٣) تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ٦٤)، جامع بيان العلم وفضله - ت السعدني ط العلمية (ص: ٩٦).

فكان النهي عن الكتابة خشية اختلاط الحديث بالقرآن، ولئلا يتكل أحد عليها، وكانت الأمية منتشرة، وإن كان قال بعض العلماء بعدم الكتابة، ولكن زال الخلاف بعد ذلك وأجمعوا على جواز الكتابة وزال الخلاف.

قال ابن الصلاح: "ولعله ﷺ أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان، ونهى عن الكتابة عنه من وثق بحفظه، مخافة الاتكال على الكتاب، أو نهى عن كتابة ذلك حين خاف عليهم اختلاط ذلك بصحف القرآن العظيم، وأذن في كتابته حين أمن من ذلك"(١).

ثم قال ابن الصلاح: "ثم إنه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة" (٢).

فنهي النبي ﷺ عن كتابة الحديث في أول الأمر لا يصلح البتة دليلا على أن السنة ليست حجة يحتج بها في إثبات الأحكام الشرعية.

الشبهة الثالثة: الزعم أن تأخر تدوين السنة أدى إلى ضياعها (٣).

مضمون الشبهة:

قالوا: "لم يكن للمسلمين حتى منتصف القرن الثاني كتاب مدون سوى

---

(١) مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث - ت عتر (ص: ١٨٢).

(٢) مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث - ت عتر (ص: ١٨٣).

(٣)موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (٧/ ٧٧) ينظر: الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص: ٣٨) السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق - أنور الجندي (ص: ١٢) الإمامة وأثرها على السنة النبوية الشريفة (ص: ٦٨).

القرآن، فلم تسلم السنة من التحريف؛ لأنها رويت شفاها من صدور الرجال حتى وصلت إلى عصر التدوين في منتصف هذا القرن"(١).

الجواب عن هذه الشبهة من عدة وجوه:

الوجه الأول: تعريف التدوين، وذكر الفرق بينه وبين الكتابة.

المراد بتدوين السنة هو: جمعها وترتيبها مكتوبة.

الديوان لغة: مجتمع الصحف(٢)، ودونه تدوينًا جمعه(٣).

دون الديوان: أنشأه وجمعه والكتب، أي: دون الكتب جمعها ورتبها.

والديوان: الدفتر يكتب فيه أسماء الجيش، وأهل العطاء، والكتبة ومكانهم، ومجموع شعر شاعر، والجمع دواوين(٤).

الفرق بين الكتابة والتدوين

قال في اللسان: كتب الشيء كتبًا، وكتابة: خطه(٥).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٧٥٠)، وأول من قال بذلك جولد زيهر، ثم تبعه المستشرقون، حتى غالى في هذى الدعوة جوزيف شاخت - المستشرق الألماني المتعصب - حتى قال: إنه لا صحة لأي حديث منسوب للنبي ﷺ، وأن المجموعة الأولى المعمول عليها من الأحاديث النبوية، التي تعرف بأحاديث الأحكام، قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا. أصول الفقه المحمدي له ترجمة. الأستاذ الصديق بشير مجلة كلية الدعوة بليبيا (١١/ ٦٥٢).

(٢) لسان العرب (١٣/ ١٦٦).

(٣) تاج العروس (٩/ ٢٠٤).

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٣٠٥).

(٥) لسان العرب (١/ ٦٩٨).

فالفرق بيّن: أن الكتابة خط الشيء وكتابته، وإن لم يكن مجموعًا.

والتدوين: جمع الكتب، فالتدوين مرحلة تالية للكتابة، وعلى هذا يفهم إطلاق الأئمة قولهم: أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري(١)، وهو أن مرادهم: أول من جمعه مصنفًا مرتبًا ابن شهاب، وليس معناه: أول من كتبه، كما ذكرنا فيما سبق من كتب من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حديث النبي ﷺ.

الوجه الثاني: كتابة الصحابة للحديث وحفظه في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته، وضوابط ذلك:

حفظ السنة على أنواع.

والحفظ نوعان: حفظ الصدر، وحفظ الكتاب.

ومن أمثلة حفظ السنة بالكتابة في عهده ﷺ:

١ - صحيفة أبي شاهٍ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لَمَّا فتح اللهُ على رسوله ﷺ مكةَ، قام في الناس فحمِد الله وأثنَى عليه ثم قال: "**إن الله حبس عن مكة الفيل** ... "، وذكر حديثًا

---

(١)وذلك نحو قول الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٢٥١ - ١١٣): وأول من دون الحديث: ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير، فلله الحمد. فقد ميز الحافظ بين ثلاث مراحل:

١ - بداية التدوين بمعنى الجمع.

٢ - تتابع الناس في الجمع والتدوين، كثرة التدوين

٣ - تصنيف ذلك المدون وتميز بعضه عن بعض في أبواب.

طويلاً جاء في آخره: فقام أبو شاهٍ - وهو رجل من اليمن - فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال ﷺ: **" اكتبوا لأبي شاهٍ"** (١).

٢ - صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب"(٢).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: "كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شيء أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ؛ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شيء تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ الله ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضبِ وَالرِّضَا؛ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ؛ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُول الله ﷺ؛ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: **"اكتُبْ فو الذي نَفْسِي بِيَدِهِ: مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ**"(٣).

٣ - كُتُبه ﷺ إلى الملوك والأمراء؛ إلى كسرى، وقيصر، وهرقل، والنجاشي، وإلى أمراء العرب، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

٤ - كتب كتابَ الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره (٤).

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٦) باب كيف تعرف لقطة أهل مكة (٢٤٣٤)، صحيح مسلم (٢/ ٩٨٨) باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام (١٣٥٥).

(٢) رواه البخاري (١١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢)، وأبو داود (٣٦٤٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٣٢).

(٤)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٠٢).

٥ - صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أخرج البخاري رحمه الله تعالى عن أبي جُحَيفة أنه قال: "قلتُ لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أُعطِيَه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلتُ: ما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل (الديات)، وفكاك الأسير، ولا يُقتَل مسلمٌ بكافر"(١).

ومن أمثلة حفظ السنة بالكتابة في عهده صلى الله عليه وسلم:

٦ – **دعاؤه** صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن سمع شيئًا فبلغه على وجهه كما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حث السامع على تبليغه والعمل به.

قال صلى الله عليه وسلم: **"نَضَّرَ الله امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"**(٢).

٧ - وحث الله تعالى أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن - على نشر سنته الخاصة في تعامله في بيوته صلى الله عليه وسلم، فهذه لا يطلع عليها إلا زوجاته، فقال عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾(٣).

وقوله لوفد عبد قيس حين علمهم العلم "احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم" (٤).

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٣) كتاب العلم، باب كتابة العلم رقم (١١١).
(٢)رواه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٣٢)، وأحمد ١/ ٤٣، وصححه الألباني (٦٧٦٤).
(٣) سورة الأحزاب: من الآية: ٣٤.
(٤) رواه البخاري (٦١٧٦، ٧٢٦٦، ٧٥٥٦) ومسلم (١٧).

٨ – إعادته للحديث ثلاثًا؛ حتى يحفظ عنه ويفهم، فمن ذلك قول أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **"أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا؛ حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم؛ سلم عليهم ثلاثًا"**(١).

٩ – بيانه ﷺ أن ما بعث به هو العلم وحثه على أخذه، وبيان أن مقادير الناس عند الله تتباين بأخذهم لذلك العلم، وذلك شيء ثابت في سنته، فمنه قوله ﷺ: **"مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم** ...... الحديث"(٢) .

١٠ – تحذيره من الجهل، وأنه من أشراط الساعة، فمن ذلك قوله ﷺ: **"من أشراط الساعة: أن يقل العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرحال، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد"**(٣).

١١ – تخولهم بالموعظة والعلم، وتخير الأوقات المناسبة لذلك؛ حتى لا ينفروا، فمن ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السآمة علينا(٤).

ومن مظاهر حفظ السنة عند الصحابة رضي الله عنهم: الحرص على سماعها، وروايتها، وكتابتها، وذلك يتجلى في أمور منها:

١ – كتابة الحديث في عهد الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ومن ذلك:ـ

صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١)رواه البخاري (٩٥).

(٢)رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

(٣)رواه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١).

(٤)رواه البخاري (٦٤١١)، ومسلم (٢٨٢١).

وهذه الصحيفة معروفة مشهورة، وقد رواها عن همام تلميذه معمر بن راشد الصنعاني، وعنه تلميذه عبد الرزاق الصنعاني صاحب " المصنف"، وعنه وعن غيره عن معمر الإمام أحمد في " مسنده ". وهي تتضمن حوالي المائة والأربعين [١٤٠] حديثا. وقد وصلتنا كاملة كما دونها همام عن أبي هريرة رضي الله عنه. كما أن صاحبي " الصحيحين " أخرجا منها أحاديث، اتفقا على مجموعة منها، وتفرد كل منهما بأحاديث.

ولكن هذه الصحيفة كتبت يقينا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن وهبا ولد قبيل سنة ٤٠ للهجرة، وتوفي شيخه أبو هريرة رضي الله عنه سنة ٥٨ للهجرة، والدلائل بين أيدينا تشير إلى أن أبا هريرة كان لا يكتب، وهو ما صرح به نفسه عندما قال: «ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»(١)، فهذا تصريح منه بأنه لا يكتب(٢).

٢ - تفرغ الصحابة لسماع العلم من النبي صلى الله عليه وسلم، **وهذا على ضربين:**

الأول: التفرغ الكامل من كل عمل أو شاغل، حتى عن طلب الرزق والأهل والولد حبًّا في سماع العلم حتى لازموه صلى الله عليه وسلم في حله- إقامته-، وترحاله - سفره - يلحظون ما يفعل، ويحفظون عنه ما يقول، ومن هؤلاء أبو هريرة رضي الله عنه، يقول عن نفسه: "إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون"(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التدوين المبكر للسنة بين الدكتور صبحي الصالح والمستشرقين (ص: ١١).

(٣)رواه البخاري (٢٢٢٣)، ومسلم (٦٥٥٥).

الثاني: التناوب في طلب العلم، فمن ذلك قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما، وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك ...."(١).

٢ - حرص الصحابة على فهم الحديث قبل بثه في الناس، فمن ذلك قول ابن أبي

مليكة: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه؛ حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: " من حوسب عذّب قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴾(٢)، قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك"(٣).

٣ - تثبت الصحابة عند رواية الحديث، ولذلك مظاهر منها: الإقلال من الرواية، والحرص على أداء الألفاظ دون تغيير؛ حرصًا منهم على عدم الوقوع في الإثم، فمن ذلك قول أنس: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن النبي ﷺ قال: "من تعمد عليّ كذبا؛ فليتبوأ مقعده من النار"(٤).

وقول الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سأله ابنه عبد الله: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يُحدث فلان وفلان، قال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: "مَن

(١)رواه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).
(٢)سورة الانشقاق: آية: ٨.
(٣)رواه البخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦).
(٤)رواه البخاري (١٠٨)، ومسلم (٢).

كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار"(١).

ولذلك تجد التخصص في رواية السنة محصور في عدد قليل من الصحابة، في حين أنهم عدد كبير، حتى قال أبو زرعة الرازي: شهد معه حجة الوداع أربعون ألفًا، وكان معه بتبوك سبعون ألفا، وقُبض ﷺ عن مئة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة" (٢)، ومجموع تراجم الصحابة التي في الإصابة (١٢٢٧٩). في حين أن عدد مسانيد الصحابة الرواة في مسند بقي بن مخلد - وهو من أهم مصادر السنة - (١٣٠١).

قال ابن حزم: "مسند (بقي) روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب ونيف، رواة الآلاف منهم سبعة، وهم على الترتيب: أبو هريرة، ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب، ثم أنس بن مالك، ثم عائشة أم المؤمنين، ثم عبد الله بن عباس، ثم جابر بن عبد الله، ثم أبو سعيد الخدري رضي الله عنه"(٣).

وقد تتبع العلماء الرواة من الصحابة، وما لكل واحد منهم، ومن ذلك: ما فعله ابن الجوزي في: (تلقيح فهوم أهل الأثر)(٤)، وابن حزم في: (الرسالة الثانية من جوامع السيرة)، تحت عنوان: أسماء الصحابة الرواة، وما لكل واحد من العدد، وقد عد ابن حزم مسانيد الصحابة فيه (١٠١٠).

قال ابن حزم: "هذا باب في ذكر مَن روى عن النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم حديثًا فما فوقه، ممن نُقل الحديث عنهم على مراتبهم في ذلك:

---

(١)رواه البخاري (١٠٧).

(٢) الباعث الحثيث (٢/ ٥٠٦)، فتح المغيث (٤/ ١٠٩).

(٣)الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٢).

(٤)تلقيح فهوم أهل الأثر (١٨٤).

أصحاب الألوف وما زاد منهم، ثم أصحاب الألفين وما زاد، ثم أصحاب المائتين وشيء، ثم أصحاب المائة وشيء، ثم أصحاب العشرات وشيء، ثم أصحاب العشرين وشيء، ثم أصحاب التسعة عشر ثم، أصحاب الثمانية عشر، ثم أصحاب السبعة عشر، ثم كذلك نقص واحد واحد إلى أصحاب الإفراد، وبهذا يتبين أن الصحابة الرواة على طبقات، وأنهم كانوا يتوقون الرواية، وأن الرواة منهم كانوا أهل تخصص في نشر سنة النبي ﷺ.

أن الصحابة كانوا لا يروون إلا ما تثبتوا منه؛ حرصًا على أداء الألفاظ والمعاني دون تغيير.

أن بعض الصحابة أقل من الرواية عن رسول الله ﷺ؛ اكتفاء بمن قام بالبلاغ كما في حديث الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخوفًا من عدم الضبط.

أن الصحابة كانوا يتوقون رواية الحديث بالمعنى؛ خوفًا من عدم الإتقان، فمن ذلك: (أن مسروقًا حدّث عن رسول الله ﷺ فارتعد وارتعدت ثيابه ثم قال: أو نحو هذا ..) [١].

أن الصحابة كانوا يتذاكرون الحديث؛ خشية نسيانه، فمن ذلك: قول عبد الله بن مسعود: "تذاكروا الحديث فإن حياته مذاكرته"[٢].

تثبت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند سماع الحديث، حتى كان بعضهم يستحلف الراوي، أو يطلب شاهدًا آخر، أو نحو ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك توقيًا من

(١)المستدرك (١/ ١١١)، قال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شواهد فيه عن عبد الله.
(٢)المستدرك (١/ ١٩٣، ٣٧٦) ومعرفة علوم الحديث (١٤٠، ١٤١).

الخطأ في الرواية وتثبتًا من المسموع.

الخلاصة: أن سنة النبي ﷺ سواء رواها الصحابة شفاهًا، أو دوّنوها في صحف- فإنهم كانوا يتثبتون في روايتها غاية التثبت قبل روايتها.

- فلم يرو منهم غير المتقن.

- ولم يرو المتقن منهم غير ما أتقنه.

- وأن السامع لما رواه الأثبات من الصحابة كان يتثبت من المروي، دون تكذيب للراوي، أو اتهام له بالخطأ؛ حرصًا منهم على الإتقان.

وقد ذكرنا من قبل كتابة الحديث في حياة النبي ﷺ.

الوجه الثالث: كتابة الحديث وحفظه في عهد التابعين وأتباع التابعين، وضوابط ذلك:

إن من ما قيضه الله تعالى لنصرة دينه وحفظ سنة نبيه ﷺ أن حبب للتابعين وأتباعهم حفظ الحديث واصطفى رجالا أفذاذا يبذلون الدنيا وما فيها ويقطعون الأرض من بخارى إلى الأندلس ليكتبوا ويحفظوا حديثا واحدا عن النبي ﷺ، أورد ابن شاهين بسنده عن ابن أبي الثلج قال سألت أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلت: يا أبا عبد الله أيهما أحب إليك الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟ قال يكتب الحديث قلت فمن أين فضلت كتابة الحديث على الصيام والصلاة قال لأن لا يقول قائل إني رأيت قوما على شيء فاتبعتهم(١).

---

(١) الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن لابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥ هـ) (ص: ٤٩)

وأما كتابة السنة في عصر التابعين، فكل تابعي له صحيفة، أو كتاب يرويه عن الصحابة، لكن كانت الأحاديث تجمع بلا تأليف ولا ترتيب، ومن ذلك:

أ- روى الخطيب بسنده من عدة طرق عن الإمام عامر الشعبي أنه كان يقول: "إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في الحائط فهو خيرٌ لك من موضعه من الصحيفة فإنك تحتاج إليه يوماً ما"(١).

ب- عن الحسن البصري قال: "ما قُيِّد العلم بمثل الكتاب، إن لنا كتبًا نتعاهدها" (٢).

ج- وعن سعيد بن جبير قال: "كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفتي حتى أملأها، ثم أكتب في ظهر نعلي، ثم أكتب في كَفِّي(٣)".

د- وعن صالح بن كيسان قال: "اجتمعت أنا والزهري - ونحن نطلب العلم - فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنَّه سُنَّة، فقلت: أنا ليس بسُنَّة فلا نكتبه، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت"(٤).

هـ- و روى الخطيب من عدة طرق عن معاوية بن قرة قال: "كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً"(٥).

---

(١)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٠).
(٢)تقييد العلم (١٠٠، ١٠١)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٢).
(٣)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٢).
(٤)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٣٣)، تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٧).
(٥)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٩).

٢- تدوين التابعين للسُّنَّة في الصحف:

انتشرت كتابة الحديث في جيل التابعين على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة فأصبحت دواوين، إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك.

١- صحف سعيد بن جبير، قال: «كان ابن عباس يملي علي في الصحيفة حتى أملأها وأكتب في نعلي حتى أملأها»(١).

٢- صحيفة بشير بن نهيك كتبها عن أبى هريرة وغيره(٢).

٣- صحف مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، قال أبو يحيى الكناسي: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته فيخرج إليَّ كتبه فأنسخ منها"(٣).

٤ - صحف عروة بن الزبير التي احترقت يوم الحرة (٤)، وكان يقول: وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي(٥).

وغير ذلك من الصحف الكثيرة التي رويت عن التابعين، والتي كانت هي الأساس الثاني بعد صحائف الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين - لما أُلِّف وصُنِّف في القرنين الثانى والثالث.

---

(١)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٢).
(٢)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣١٣).
(٣)تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص: ١٠٥).
(٤) وقعة الحرة كانت سنة ٦٣ في خلافة يزيد، ينظر: تاريخ الإسلام ت تدمري (٥/ ٢٥).
(٥) تقييد العلم (٦٠)، جامع بيان العلم (١/ ١٥٣).

٣- جهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز والإمام ابن شهاب الزهري في تدوين السُّنَّة:

أخرج البخاري في "صحيحه" عن عبد الله بن دينار قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لايهلك حتى يكون سراً"(١).

وعن ابن شهاب الزهري قال: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرضٍ له عليها سلطان دفتراً"(٢).

ويفهم من هذا أن التدوين الرسمي كان في عهد عمر بن عبد العزيز، أما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع والعظام فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله ﷺ، ولم ينقطع تقييد الحديث بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام -، بل بقي جنبا إلى جنب مع الحفظ حتى قيض الله للحديث من يودعه في المدونات الكبرى.

قال ابن رجب: "اعلم أن العلم المتلقى عن النبي ﷺ -من أقواله وأفعاله- كان الصحابة رضي الله عنهم في زمن نبيهم ﷺ يتداولونه بينهم، حفظًا له ورواية، ومنهم من كان يكتب، ثم بعد وفاة النبي ﷺ كان بعض الصحابة يرخص في كتابة العلم عنه، وبعضهم لا يرخص في ذلك، ودرج التابعون أيضًا على هذا الاختلاف،

---

(١)صحيح البخاري (١/ ٣١) كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم.
(٢)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٣١).

والذي كان يكتب في زمن الصحابة والتابعين لم يكن تصنيفًا مرتبًا مبوبًا، إنما كان يكتب للحفظ والمراجعة فقط، ثم إنه في عصر تابعي التابعين صنف التصانيف"[١].

وقد كانت تصانيفهم تجمع أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، وكان من أوائل من صنف من أتباع التابعين على ما ذكر العلماء: ابن جريج بمكة، ومالك بن أنس بالمدينة، والربيع بن صبيح، وحماد بن سلمة، وسعيد بن أبي عروبة بالبصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، ومعمر باليمن، وعبد الله بن المبارك بخراسان، والأوزاعي بالشام، وهشيم بواسط، وجرير بن عبد الحميد بالرِّي[٢].

قال العراقي وابن حجر: "وكان هؤلاء في عصر واحد فلا ندري أيهم أسبق"[٣].

وقد وصل إلينا من مصنفات أتباع التابعين، كتاب (الموطأ) لإمام دار الهجرة مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ).

قال الإمام الشافعي عنه: "ما في الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابًا من موطأ مالك بن أنس"[٤].

---

(١)فتح الباري (١/ ٣٦ - ٣٧).

(٢)انظر مقدمة فتح الباري (٨)، وشرح علل الترمذي (١/ ٣٧ - ٣٨ - ٣٩)، وتدريب الراوي (١/ ٨٩).

(٣)تدريب الروي (١/ ٨٩).

(٤)أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٧٧). وقال ابن الصلاح: إنما قال الشافعي ذلك قبل وجود كتابي: البخاري ومسلم.

=

وكتاب (الموطأ) مشهور شهرة عظيمة، وقد طُبع ما لا يحصى من المرات، وقد رواه عن مالك خلق كثير، ولكن أشهر رواية له هي رواية يحيى بن يحيى الأندلسي.

وكذلك وصل إلينا كتاب (الجامع) لمعمر بن راشد الصنعاني (ت ١٥٤ هـ)، وقد طُبع مع مصنف عبد الرزاق في آخر ملحق به (١).

وقال ابن حجر: "ثم تلا المذكورين -أي أتباع التابعين الذين بدأوا التصنيف- كثير من أهل عصرهم إلى أن رأى بعضُ الأئمة أن تفرد أحاديث النبي ﷺ خاصة، وذلك على رأس المائتين، فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسندًا، وصنف مُسَدَّد البصري مسندًا، وصنف أسد بن موسى الأموي مسندًا، ثم اقتفى الأئمة آثارهم، فقلَّ إمام من الحفاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد، كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة"(٢).

والمسند هو: كتاب يجمع فيه صاحبه ما رواه كل صحابي على حدة، فيبدأ مثلًا بما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ثمَّ ما رواه عمر، ثم ما رواه عثمان، ثم ما رواه علي، وهكذا، ولا يكون ترتيبًا على الأبواب الفقهية.

وقد صنف المسند بالإضافة إلى من ذكرهم ابن حجر:

= وقال ابن حجر: إنَّ الشافعي إنَّما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة إلى الجوامع الوجودة في زمنه: كجامع سفيان الثوري، ومصنف حماد بن سلمة، وغير ذلك، وهو تفضيل مُسلَّم لا نزاع فيه. مقدمة فتح الباري (١٢).

(١) المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ).

(٢) تدريب الراوي، للسيوطي (١/ ٨٩)، نقلًا عن ابن حجر.

وصنف أبو داود الطيالسي (١٣٣ - ٢٠٤ هـ)، مسندا على ترتيب الصحابة بالبصرة:(١).

ثم دخل القرن الثالث للهجرة، وهو العصر الذهبي لتدوين السنة النبوية الشريفة، وما انخرم هذا القرن إلا والسنة النبوية قد دُونت بالكامل تقريبًا، فما من إمام من أئمة الحديث الحفاظ إلا وصنف كتابًا يجمع فيه أحاديث النبي ﷺ، التي سمعها بالأسانيد إلى رسول الله ﷺ.

وكان من أبرز وأشهر من دون السنة في هذا العصر: إمام المحدثين، وجبل الحفظ وقدوة العلماء، العالم الرباني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ).

ورأى أن يفرد صحيح الأحاديث بكتاب، فصنف كتابه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) (٢)، وهو المشهور بـ (صحيح البخاري)، وكان مَمَّا قوَّى عزمه على تأليف هذا الكتاب: أنه كان يومًا عند شيخه إسحاق بن راهويه فقال إسحاق: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله ﷺ.

قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع (الجامع الصحيح) (٣).

---

(١)الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليل بن عبد الله بن الخليل الخليلي القزويني (١٤٩).

(٢)ذكر هذا الاسم ابن حجر في مقدمة فتح الباري (١٥)، وذكر النووي في (تهذيب الأسماء واللغات) (١/ ٧٣)، أن اسمه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه).

(٣)مقدمة فتح الباري (٩).

قال الإمام النسائي: ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل [١].

ثم تلاه صاحبه وتلميذه: الإمام الحجة أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٤ - ٢٦١)، وسار على دربه، ونسج على منواله، وأفرد الأحاديث الصحيحة بكتاب، وهو المشهور بـ (صحيح مسلم)، ولكن البخاري ومسلم -كلاهما- لم يستوعبا الصحيح كله. فعن إبراهيم بن معقل قال: سمعتُ البخاري يقول: ما أدخلتُ في كتابي (الجامع) إلا ما صح، وتركتُ من الصحاح لحال الطول [٢].

وكذلك مسلم لم يستوعب كل الصحيح، قال النووي:

اتفق العلماء على أنَّ أصح الكتب بعد القرآن العزيز: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أنَّ مسلمًا كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنَّه ليس له نظير في علم الحديث [٣].

وقال ابن كثير: أول من اعتنى بجمع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وتلاه صاحبه وتلميذه مسلم بن الحجاج، فهما أصح كتب الحديث [٤].

---

(١)مقدمة فتح الباري (١٢).

(٢)تهذيب الكمال (٢٤، ٤٤٢).

(٣)شرح صحيح مسلم للنووي (١، ١٤).

(٤)الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (١٠٢ - ١٠٣).

وصنف أيضًا -مع البخاري ومسلم في هذا العصر- أصحاب السنن الأربعة سننهم، وهي: (سنن أبي داود) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥)، و (سنن الترمذي) أو (جامع الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢١٠ - ٢٧٩)، و (سنن ابن ماجه) لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣)، المعروف بابن ماجه، و (سنن النسائي) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وقد اختصره ابن السُّنِّي وهو تلميذ النسائي وسمَّاه (المجتبى) كما قال الذهبي [١].

فللنسائي كتابان: الأول، ويعرف (بالسنن الكبرى)، والثاني وهو (المجتبى)، وهو اختصار واختيار تلميذه ابن السُّنِّي.

وهذه الكتب الأربعة جمعت الصحيح والضعيف، ويطلق عليها: كتب السنن، ويطلق عليها مع الصحيحين: الكتب الستة، وهي أشهر كتب السنة، بالإضافة إلى (موطأ) مالك، ومسند أحمد بن حنبل.

وممن صنف أيضًا في هذا العصر الذهبي غير أصحاب الكتب الستة:

- الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، وكتابه معروف بـ (سنن الدارمي).

- وأبو يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت:٣٠٧)، وكتابه معروف بـ (مسند أبي يعلى).

- وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١)، وكتابه معروف بـ

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤/ ١٣١).

(صحيح ابن خزيمة).

- **وتبعه تلميذه**: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي السجستاني (ت: ٣٥٤ هـ)، وكتابه يُعرف بـ (صحيح ابن حبان).

لكن قال العلماء: إنَّ كتابهما لا يبلغان مبلغ البخاري ومسلم، فقد اشترطا الصحة ولكنهما تساهلا في الحكم بالصحة على أحاديث كثيرة.

وصنف خلق كثير غير هؤلاء في هذا العصر، ثم تبعهم أئمة حفاظ آخرون.

فمنهم الطبراني (٢٦٠ هـ-٣٦٠ هـ)، فقد صنف معاجمه الثلاث: (المعجم الكبير)، و (المعجم الأوسط)، و (المعجم الصغير)، وغير ذلك من الكتب.

والدارقطني (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ)، وكتابه معروف (بسنن الدارقطني).

ثم صنف أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم (ت ٤٠٥ هـ) (المستدرك على الصحيحين).

وتبعه تلميذه: أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، وصنف (السنن الكبرى)، و (السنن الصغير)، وغير ذلك كثير من الكتب، وهذه هي أشهر كتب السنة التي جمعت حديث رسول الله ﷺ، وهناك مئات أخرى من الكتب ما بين مسانيد ومعاجم، وسنن وصحاح، وجوامع وأجزاء حديثية لا يتسع المجال لذكرها، والحمد لله رب العالمين.

وبهذا يتبين بجلاء من خلال هذه المراحل اتصال النقل إلى النبي ﷺ، فلم يُنْقل كلام عنه إلا بإسناد، ووضع العلماء القواعد لتمييز الأسانيد، صحيحها من سقيمها، وبهذا اختصت هذه الأمة بأنها أمة الإسناد، فليس بينها وبين نبيها سقط أو انقطاع، والحمد لله رب العالمين

الوجه الرابع: وجود ضوابط وأسس حتى تقبل بها الروايات، ومنها:

١ - **المعارضة**: وهي مقابلة المكتوب -بالسماع من الشيخ المروي عنه- مرة أخرى مع الشيخ، بأن يقرأ عليه ما كتب؛ حتى يُجيزه الشيخ به، وتلك سنة أخذها المحدثون من النبي ﷺ حتى قال في مرض موته: "إن جبريل كان يُعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي ..... " (١).

بل إن أنس بن مالك رضي الله عنه كان له كتاب عن النبي ﷺ كتبه عنه، وعرضه عليه، كما في مستدرك الحاكم، وقد مر منذ قليل.

حتى عقد الخطيب البغدادي لذلك بابًا في كتابه: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع قال فيه: باب وجوب المعارضة بالكتاب لتصحيحه، وإزالة الشك والارتياب، ثم قال: يجب على من كتب نسخة من أصل بعض الشيوخ أن يُعارض نسخته بالأصل، فإن ذلك شرط في صحة الرواية من الكتاب المسموع.

ثم روى بسنده عن هشام بن عروة قال: قال لي أبي: كتبت؟ قال: قلت: نعم، قال عارضت؟ قلت: لا، قال: فلم تكتب! (٢).

وقال يحيى بن أبي كثير، يقول: «مثل الذي يكتب ولا يعارض مثل الذي يقضي حاجته ولا يستنجي بالماء»(٣).

---

(١)رواه البخاري (٣٦٢٣)، صحيح البخاري (٤/ ٢٠٤) والمعارضة: القابلة في القراءة عن ظهر قلب. تعليق مصطفى البغا]

(٢)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٧٥).

(٣)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٧٥).

٢ - حفظ الكتاب، وذلك بأمرين: الأول: صيانته ألا تصل له يد، وقد مر أن عبد الله بن عمرو كان له صندوق له حلق يحفظ فيه كتابه، وكان علي يحفظ كتابه في قراب سيفه، وكان خالد بن معدان الذي لقي سبعين صحابيًا يتخذ لكتابه عرى وأزرارًا؛ حفظًا له (١).

الثاني: حفظه حفظ الصدر، فقد كان قتادة يحفظ صحيفة جابر رضي الله عنه.

ثم كان بعد ذلك أول جمع للسنة يُراد به الاستقصاء؛ خوفًا من أن يندرس العلم ويضيع، وذلك في سنة مئة أو نحوها، حيث بعث عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- بأمر لابن شهاب الزهري أن يدون سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعث به إلى كل أرض له عليها سلطان (٢).

وبعثه لأبي بكر بن حزم الأنصاري: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا (٣).

الخلاصة:

١ - أن معني التدوين في الفقرة السابقة هو: التأليف والترتيب، وذلك ما عناه علماء الإسلام بقولهم: أول مَن دوّن السنن ابن شهاب الزهري، ولذا قال الحافظ في الفتح: وأول مَن دوّن الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة

---

(١)تذكرة الحفاظ (١/ ٩٣).

(٢)فتح الباري (١/ ٢٥١، ١١٣).

(٣)سبق تخريجه.

بأمر عمر بن عبد العزيز ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير[١].

٢ - كتابة السنة كانت موجودة في عصر الصحابة والتابعين، وقلَّ تابعي لم يكن له كتاب.

٣ – أن جمع عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام على أسس الرواية الشفاهية، وهذا الجمع الذي جمعه الصحابة والتابعون.

٤ - تدوين السنة بمعنى جمعها وتصنيفها بدأ في نهاية القرن الهجري الأول.

الشبهة الرابعة: التشكيك في رواة الحديث الثقات.

إن الطعن في الثقات من الرواة كثر القول في رواة الأحاديث النبوية في كتابات المستشرقين ووسائلهم الأخرى، ووضعوا مجموعة من هؤلاء الرواة الثقات موضع الشبهة والتشكيك في رواياتهم لتأثرهم بالأحوال السياسية أو الاقتصادية التي كانوا يعيشون فيها، وكان على رأس قائمتهم عَلَمان كبيران ومن أعلام الرواية: هما الصحابي الجليل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان جولد تسيهر من أوائل الذين كتب عنهما وافترى عليهما الفريات العظام، معتمدًا في ذلك على الخلافات التي نشبت بين المسلمين بعد الخلافة الراشدة، والفتن التي مزقت الصف الإسلامي، فاستغلها أمثال تسيهر وغيره ليطعنوا في أهم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وذلك بالطعن في رجال سنده. وهذه بعض الشبهات والتشكيكات التي أثارها المستشرق جولد تسيهر حول الإمام

(١)فتح الباري ١/ ٢٠٨.

الزهري، وهي ليست كل الشبهات لأنها كثيرة، ولكننا نتناول هنا بعضها ونناقشها بموضوعية.

يقول أجناس جولد تسيهر فيما يفتريه على الإمام الزهري: "ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب في الحديث الموافق لوجهات نظرهم، فالمسألة كانت في إيجاد هؤلاء الذين تنسب إليهم، وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث ... إلخ" (١).

ويقول أيضًا: "إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعدًا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى" ومنها حديث: "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه" وأمثال هذين الحديثين، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث، أنه كان صديقًا لعبد الملك وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طرق الزهري فقط" (٢).

إن هذه الفرية رددها هذا المستشرق وتبعه تلامذته من بعده، واقتنع بها كثير من أبناء المسلمين، وهي فرية قديمة حديثة تبنتها الرافضة للطعن في كل رواية

---

(١)السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص ٢٠٦.
(٢)المرجع السابق، ص١٩١.

وردت في العهد الأموي أو ممن كانوا تحت الولاية الأموية، إلا أن التاريخ والشواهد الكثيرة والأدلة العلمية الواضحة التي لا شبهة فيها ولا غبار عليها، قادرة على نفي هذا التشكيك في أعظم شخصية إسلامية كالإمام الزهري الذي اتصف بالحزم والثبات في المواقف، وكان من أوائل الذين خدموا السنة بروايتها وتدوينها، إلا أن أقلام هؤلاء الأعداء لا يتركون أحدًا من المخلصين من رجالات هذه الأمة، حتى يتحول التاريخ الإسلامي في أذهان المسلمين إلى مجرد صراع ونفاق وكذب، وبالتالي يكون هذا الدين كله مبنيا على أوهام وخرافات، ولكن هيهات لهؤلاء أن يدركوا أهدافهم ومآربهم، لأن الله تعالى حفظ هذا الدين بحفظ كتابه، على أيد أمينة وصادقة، وهذه الحقيقة تناقلتها الأجيال بعد الأجيال.

وجعل الله تعالى جيل الصحابة من خير الأجيال، ثم الذين يلونهم، لأنهم جيل القدوة وجيل الرفقة بالنبي ﷺ والرفقة بأصحابه، فمهما كاد هؤلاء وأذنابهم فلن يصلوا إلى الغبار الذي كان تطؤه أقدامهم الطاهرة، ومن أجل أن تدحض فرية هؤلاء القوم على عالم جليل مثل الإمام الزهري، الذي عاش مع الصحابة وسلك نهجهم، لا بد من توضيح بعض الأمور منها:

١ – الإمام الزهري هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، اتصف هذا العالم في عصره بالحرص الشديد على تلقي العلم والسعي الدؤوب من أجل الحصول عليه، كما اتصف بقوة الحفظ والذاكرة، واتصف بصفات أخرى كالكرم والسخاء والشجاعة وحسن الخلق، ومعروف عنه المواقف الثابتة لمن خالف شيئًا من الدين، وشهد له بذلك شيوخه وعلماء الأمة.

٢ – الأمانة التي اتصف بها الإمام الزهري، تجعل هذه الافتراءات ترتد على أصحابها وتقذف في عيونهم القذى وفي بصائرهم ضلالهم وحقدهم، إذ يتبين من خلال دراسة سيرة حياة هذا العالم أنه كان لا يقبل أدنى تنازل في أية جزئية من جزئيات الدين، فكيف لمن هذا شأنه أن يفتري على النبي ﷺ ويضع الأحاديث حسب أهواء الأمراء والخلفاء؟ ويكفي هنا أن نذكر أحد مواقفه العظيمة أمام أحد خلفاء بني أمية عندما أراد أن يؤول حديثًا في غير موضعه، حيث "دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدًا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال الزهري: باطل يا أمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال: بل نبي خليفة، قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾، فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال الوليد: إن الناس ليغرُّونا عن ديننا"(١).

٣ – إن كبار العلماء في الدولة العباسية أخذوا عن الزهري جميع الأحاديث والروايات، ولم يذكر أن أحدهم قدح فيه، من أمثال الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم، رغم أنه كان من رجال بني أمية، الذين لم يسلموا من مهاجمة العباسيين لهم في معظم أمورهم، وهذا دليل كاف للردِّ على المفترين الذين افتروا على هذا العالم الجليل.

٤ – أما بالنسبة لكلام تسيهر على منع عبد الملك بن مروان الناس الحج،

(١)مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١١/ ١٩٣).

وبناء قبة الصخرة ليحج الناس إليها وأمره الإمام الزهري بوضع حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" فإن هذا الكلام لا يستند إلى دليل علمي أو تاريخي، وإنما هو سرد مغلوط ومشبوه يراد منه كعادته إثارة التشكيك في التاريخ الإسلامي ورجالاته، وتنجلي الغمة، ويتضح الأمر من خلال الأمور التالية:

أ - أجمع المؤرخون قاطبة أمثال الطبري وابن خلدون وابن الأثير على أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك، وليس عبد الملك بن مروان، وكان الناس يقفون عندها في يوم عرفة، حيث كانت عادة المسلمين في كثير من البلاد حيث كانوا يخرجون إلى أطراف المدينة في هذا اليوم ويشاركون إخوانهم الحجاج في هذا اليوم، بالرغم من أن كثيرًا من العلماء كرهوا هذا الفعل، فالأمر لم يكن مقتصرًا على قبة الصخرة وإنما كان في كل مكان.

ب - لو كان كلام جولد تسيهر صحيحًا على فعل عبد الملك بن مروان، لما سكت علماء الأمة من ذلك الوقت وإلى يومنا على ذلك، لأن منع الناس من الحج لبيت الله وإنشاء مكان آخر للحج فيه يعد كفرًا، لا يقبل التهاون معه والمجاملة فيه.

ج - يذكر المؤرخون أن الزهري لم يلتق بعبد الملك بن مروان في عهد ابن الزبير، وإنما كان أول لقاء بينهما بعد مقتل ابن الزبير حينما كان شابًا، وإن السنة التي ولد فيها الزهري كانت إحدى وخمسين أو ثمانية وخمسين، وكان مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري عشرين عامًا أو خمسة عشر عامًا، وغير معقول أن يشتهر الزهري في هذه السن المبكرة ثم يفتي بالحج إلى قبة الصخرة بدلاً من الكعبة؟.

د - أما كلام تسيهر أن حديث "لا تشد الرحال" لم يروه غير الزهري فهذا باطل لا أصل له، فقد روي من طرق كثيرة غير طريق الزهري كما أخرجه البخاري ومسلم.

الشبهة الخامسة: زعمهم التعارض في الأحاديث.

يقول جولد تسيهر: "إنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي" (١).

إن تعارض الأحاديث وقوة صحتها لا تعني بأي حال أنها موضوعة أو غير صحيحة، فمن المعلوم أن التعارض الظاهري بين بعض الأحاديث إنما نتيجة بعض الأسباب:

١ - أن الفعل الذي يُروى مرتين بشكل مختلف ربما يكون لكل واحد منهما حالة خاصة أو ظروف خاصة بالوضع الذي كان فيه الصحابي، أو بحسب حال الصحابي الذي كان يسأل النبي ﷺ، وهذا لا يعني أبدًا أن هناك تناقضًا في الأحاديث، مثل الحديثين: "**الوضوء من مس الذكر**" و"هل هو إلا بضعة منك".

٢ - ومنها أن يفعل النبي ﷺ الفعل على وجهين إشارة إلى الجواز، فيروي صحابي ما شاهده في المرة الأولى، ويرويه آخر ما شاهده في المرة الثانية، مثل أحاديث الوتر أنها سبع أو تسع أو إحدى عشرة.

٣ - منها اختلاف الصحابة في فهم مراد النبي ﷺ من الحديث، فبعضهم

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٢٠٣.

يفهمه بالوجوب والآخرون يفهمونه بالاستحباب.

٤ - منها اختلاف الصحابة في حكاية حال شاهدوها من رسول الله ﷺ مثل اختلافهم في حجة الرسول ﷺ هل كان فيها قارنًا أو مفردًا أو متمتعًا؟ وكل ذلك حالات يجوز أن يفهمها الصحابة من النبي ﷺ، فكل يحكم بما يرى.

٥ - ومنها نسخ الحكم السابق بحكم لاحق وهذا كثير كما في بعض أحكام حَدِّ الزاني.

وقد بيّن علماء الأمة أسباب اختلاف الحديث فما كان سببه الوضع بَيَّنوه وما كان سببه شيئـًا آخر بينوه أيضًا، وقد صنفوا في ذلك كتبًا ومراجع [١].

وهذا بيان واضح لمعرفة أسباب الاختلاف والتعارض بين بعض الأحاديث ليعلم الناس ذلك، ويكون حجة في وجوه المغرضين الذين يثيرون مسألة التعارض بوصفها مسألة أحاديث صحيحة وغير صحيحة.

وإذا وجد تعارض، بيّن أهلُ العلم حَلَّ هذا التعارض وفق قواعد معلومة لدى أئمة الحديث، عرفت ب (مختلف الحديث) .

وخلاصة ذلك: أن ينظر في الأحاديث المتعارضة هل يمكن الجمع بينهما؟ فإن كان كذلك فيحمل كل واحد منهما على محمل خاص؟ فإن لم يمكن الجمع بينهما نظر في التاريخ، هل أحدهما متأخر والآخر متقدم، فيكون المتأخر ناسخـًا، والمتقدم منسوخـًا وإن لم يعلم المتأخر من المتقدم عمل بترجيح أحدهما على الآخر وفق المرجحات المعروفة عند المحدثين[٢]، وإن لم

---

(١)المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٢)انظر علوم الحديث لابن الصلاح / ٢٨٤-٢٨٦.

يمكن الترجيح بحيث تساوت طرق الحديثين فيتوقف فيه -إن وجد- وهو الذي يسمّى بالحديث المضطرب إلى حين يتبين الترجيح.

وقواعد الترجيح لا بد للأصولي والمجتهد من معرفتها وحفظها وتصديقها لرفع التعارض الظاهري الواقع بين الأدلة الشرعية وليحقق العمل بالراجح من الأدلة ومن ثم نبطل اتهام الشريعة بالنقص و التناقض ونغلق باب الهروب من الأحكام وترك العمل بها بحجة التعارض الذي يجب على المجتهد دفعه بطرق الترجيح واحد منها .

ومن قواعد الترجيح عند الأصوليين (١):

الترجيح العائد إلى الراوي: إما أن يكون بكثرة الرواة، أو بعلو الإسناد، أو بعلم الراوي، أو بعدالته وورعه، أو بذكائه وضبطه، أو بشهرته .

الترجيح العائد إلى الرواية له وجوه، منها: ترجيح المسند، والمسند بالاتفاق، والمسند إلى كتاب من كتب المحدثين، ومرسل التابعي والمتواتر، والمسند عنعنة، والمسند إلى كتاب موثوق بصحته، والأعلى سندا.

الترجيح العائد إلى المروي عنه له وجوه، منها: الترجيح بالسماع على احتماله، وبالسماع على السكوت، وبالسماع على الكتاب، ومن غير حجاب، وبعد إسلامه، وبالحضور، وبورود صيغة فيه، وما خطره أعظم، وما لا تعم به

---

(١) التعارض اصطلاحا: تقابل دليلين متساويين على وجه يقتضي كل واحد منهما خلاف ما يقتضيه الآخر.

الترجيح اصطلاحا: تقديم المجتهد أحد الدليلين المتعارضين لاختصاصه بقوة الدلالة .

ينظر: قواعد الترجيح عند الأصوليين (ص: ٨٨).

البلوى .

الترجيح العائد إلى المتن له وجوه، منها: ترجيح الخاص، والعام الذي لزمه التخصيص، والعام الذي لم يخصص، والخاص من وجه، والنهي على الأمر، والأمر على الإباحة.

الترجيح باعتبار مدلول اللفظ له وجوه منها: المنطوق، مفهوم الموافقة، دلالة الاقتضاء، والنص على الظاهر.

الترجيح لأمر خارجي له وجوه منها: كثرة الأدلة، موافقة دليل آخر، العمل(١).

الشبهة السادسة: الزعم بأن الحديث تم روايته بالمعنى فضاع كثير من ألفاظه (٢)

مضمون الشبهة:

ادعاؤهم أن تأخر تدوين السنة أدى إلى روايتها بالمعنى؛ فضاع كثير من ألفاظها، والمراد تعميم القول في السنة ووسمها بالتحريف وصولا لإنكار حجيتها.

---

(١)قواعد الترجيح عند الأصوليين (ص: ٨٩)

(٢) يراجع: السنة قبل التدوين (١/ ١٢٦)، موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (٧/ ١٠٧) شبهات حول السنة والسيرة النبوية (ص: ٤٩) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص: ٨٥) شبهات القرآنيين (ص: ٤٧) أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة (ص: ٢٠) السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ١٣١)، السنة النبوية وشبهات المنكرين (ص: ٧١).

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- لقد حث النبي ﷺ الصحابة أن يرووا أحاديثه بألفاظها بل أحيانا كان إذا سمع راويا يبدل لفظا مكان لفظ استوقفه، وأمره أن يرويه كما قال ﷺ.

٢ – لقد حرص الصحابة على رواية الحديث بلفظه أشد الحرص، وذلك من خلال حفظه في صدورهم أو صحفهم.

٣ – إذا كان العلماء قد جوزوا للراوي العالم بالألفاظ ومدلولاتها روايته الأحاديث بالمعنى، فإنهم لم يجوزوا لغير العالم بالألفاظ ذلك، فقد جعلوا قيودا وضوابط لرواية الحديث بالمعنى تضمن حفظه من التحريف، وقد كانت هذه الشروط خاصة برواة أجيال ما بعد الصحابة، لا جيل الصحابة.

وتفصيل ذلك:

أولا: رواية الأحاديث باللفظ هي الأصل وحث النبي ﷺ على ذلك:

- ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: **"نَضَّرَ الله امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"**(١).

فقوله ﷺ: **" فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ"**، دعوة لنقل الحديث بلفظه ومعانيه لا بمعانيه فقط.

وقوله ﷺ: **"مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"**(٢)، لقد بلغ هذا

(١)رواه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٣٢)، وأحمد ١/ ٤٣، وصححه الألباني (٦٧٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩١)، مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ =

الحديث حد التواتر فمن يجرؤ بعد ذلك الكذب من الصحابة وهم أتقى الناس وأورعهم؟

بل كان الواحد منهم إذا سئل يود لو أن أخاه كفاه مؤونة السؤال، حتى إن بعضهم كان يأبى أن يروي شيئا عن رسول الله ﷺ مخافة الزيادة والنقصان، ومن هذا ما يرويه العلاء بن سعد بن مسعود، قال: قيل لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما لك لا تحدث كما يحدث فلان وفلان؟ فقال: «ما بي ألا أكون سمعت مثل ما سمعوا، أو حضرت مثل ما حضروا، ولكن لم يدرس الأمر بعد، والناس متماسكون، فأنا أجد من يكفيني، وأكره التزيد والنقصان في حديث رسول الله ﷺ»(١).

وعن البراء بن عازب، قال: قال النبي ﷺ: " **إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به** ". قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «**لا، ونبيك الذي أرسلت**» (٢).

= رقم ٤.

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٧٢).

(٢) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء (١/ ٥٨) رقم (٢٤٧)، أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم ٢٧١٠

ففي هذا الحديث دعوة من النبي ﷺ إلى رواية الحديث بلفظه، ولكنه لم يعم النهي عن رواية الحديث بالمعنى حتى لا يشق على أمته.

ثانيًا: حرص الصحابة على رواية الحديث بلفظه.

وقد اشتهر من بين الصحابة الذين كانوا يتشددون في الحرص على لفظ الرسول ﷺ، عبد الله بن عمر. روى محمد بن سوقة قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان عبد الله بن عمر إذا سمع من نبي الله ﷺ شيئا، أو شهد معه مشهدا، لم يقصر دونه أو يعدوه، قال: فبينما هو جالس وعبيد بن عمير يقص على أهل مكة، إذ قال عبيد بن عمير: " مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين، إن أقبلت إلى هذه الغنم نطحتها، وإن أقبلت إلى هذه نطحتها "، فقال عبد الله بن عمر: " ليس هكذا "، فغضب عبيد بن عمير، وفي المجلس عبد الله بن صفوان، فقال: " يا أبا عبد الرحمن، كيف قال رحمك الله؟ " فقال: قال: " مثل المنافق مثل الشاة بين الربيضين، إن أقبلت إلى ذا الربيض نطحتها، وإن أقبلت إلى ذا الربيض نطحتها "، فقال له: " رحمك الله هما واحد "، قال: " كذا سمعت " (١).

وروى ابن عمر حديث «بني الإسلام على خمس»، فأعاده رجل فقال له ابن عمر: «لا، اجعل صيام رمضان آخرهن، كما سمعت من في رسول الله ﷺ» (٢)، ولهذا نرى في بعض الأحاديث، قول الراوي - كذا وكذا - لا أدري بأيهما بدأ، أو أيهما قال قبل، ونحو ذلك. وهذا تنبيه من الراوي إلى أنه أدرك الحديث

---

(١)مسند أحمد ط الرسالة (٩/ ٣٨٣)(٥٥٤٦)، قال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير مصعب بن سلام، وهو التميمي الكوفي، ففيه ضعف، وقد توبع.
(٢)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٧٦).

وفهمه، ولكنه لم يتأكد من ترتيب اسمين فيه أو كلمتين فبين موضع شكه وأن الشك منه ليس في أصل الحديث، ومن هذا ما رواه خالد بن زيد الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «**قريش والأنصار، وأسلم وغفار، - أو غفار وأسلم -**» [(١)].

وتشدد بعض الرواة في المحافظة على نص الحديث بألفاظه، فمنع زيادة حرف واحد، أو حذفه وإن كان لا يغير المعنى، ومن هذا ما رواه سفيان، قال: حدثنا الزهري، أنه سمع أنس بن مالك، يقول: «نهى رسول الله ﷺ عن الدباء والمزفت أن ينتبذ فيه» فقيل لسفيان: أن ينبذ فيه؟ فقال: لا، هكذا قاله لنا الزهري: «ينتبذ فيه» [(٢)].

وكان بعض الرواة شديدي الحرص على اللفظ الذي سمعوه، فلا يخففون حرفا ثقيلا، ولا يثقلون حرفا خفيفا، ولا يبدلون حركات الحروف التي يسمعونها، بل يروونها كما سمعوها، وإن كان ذلك التغيير لا يبدل معناها، نحو (نما - نمى) في حديثه ﷺ «ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمى خيرا» قال حماد: «سمعت هذا الحديث من رجلين، فقال أحدهم: " نَمَى خيرا" (خفيفة) وقال الآخر: " نمَّى خيرا " (مثقلة)» [(٣)].

وكان الأعمش يقول: «كان هذا العلم عند أقوام، كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوا، أو ألفا، أو دالا ... » [(٤)].

---

(١)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٧٦).

(٢)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٧٧).

(٣)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٨٠).

(٤)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٧٧).

وقال محمد بن سيرين: «كان أنس بن مالك قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، وقال: وكان مما إذا حدث عنه قال: أو كما قال» (١).

ثالثًا: منهج القرآن الكريم في سرد قصص النبيين وأقوامهم:

ولم يكن الصحابة والتابعون بدعا في رواية بعض الأحاديث بمعناها، بل وجدوا دليل الجواز في منهج القرآن الكريم - كما ذكر الرامهرمزي – وقد قص الله عز وجل في القرآن كثيرا من أقوال خلقه بغير ألفاظهم، لأن من ذلك ما يطول فيبلغ الحد المعجز، ومنه ما يكون عن لسان أعجمي، ومنه ما يأتي في مواضع بألفاظ وفي آخر بغيرها، وقد تتعدد الصور كما في قصة موسى عليه السلام.

وفي سنة رسول الله ﷺ، فقد كان يرسل سفراءه ورسله فينقلون رسائله ويترجمونها إلى غير العربية، فإباحة ترجمة الحديث إلى لغة ثانية دليل على إباحة نقله بنفس اللغة على معناه، بلفظ عربي هو أقرب إلى لفظ الرسول ﷺ من ألفاظ اللغة الأجنبية، بل هذا أولى بأن يكون مباحا (٢).

رابعًا: ما جبل الله تعالى الصحابة والتابعين من حوافظ العظيمة:

ويزيدنا ثقة بأن جل ما روي عن رسول الله ﷺ كان بلفظه - عليه الصلاة والسلام -، تلك الحوافظ التي وهبها الله - عز وجل - لحملة الشريعة الإسلامية، ورواة الحديث الشريف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، فيروي لنا التاريخ ما كان يحفظه أبو هريرة وغيره، وإن المرء ليعجب عندما يطلع على أخبار صحيحة، تذكر تلك الحوافظ العظيمة التي حملت إلينا السنة كذاكرة عبد

(١)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٣٥).
(٢)السنة قبل التدوين (١/ ١٣٤).

الله بن عباس الذي اشتهر بسرعة حفظه، حتى إنه كان يحفظ الحديث من مرة واحدة، ويروى أنه سمع قصيدة لابن أبي ربيعة عدتها ثمانون بيتا فحفظها من المرة الأولى، وفي الصحابة أمثاله كزيد بن ثابت الذي حفظ معظم القرآن قبل بلوغه، وتعلم لغة اليهود في سبعة عشر يوما، وفيهم عائشة أم المؤمنين التي كانت آية من آيات الذكاء والحفظ وغير هؤلاء.

وفي التابعين نافع مولى عبد الله بن عمر الذي لم يخطئ فيما حفظ، وأجمع النقاد على دقة حفظه، وفيهم ابن شهاب الزهري حافظ زمانه، وعامر الشعبي ديوان عصره، وقتادة بن دعامة السدوسي مضرب المثل في سرعة الحفظ والضبط والإتقان.

ذكروا أن صحيفة جابر -على كبرها- قرئت عليه مرة واحدة، وكان أعمى؛ فحفظها بحروفها، حتى قرأ مرة سورة البقرة، فلم يخطئ حرفا ثم قال: لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة [1].

خامسًا: الأحاديث ليست كلها قولية، بل منها ما هو إخبار عن أفعال النبي ﷺ، وهي كثيرة:

فإذا طالعنا ما اختلف فيه الرواة من حيث اللفظ، مما تعددت طرقه وجدنا معظمه مما كان أخبارا عن عمل من أعماله ﷺ، أو تبليغا لحكم واقعة شاهدوها بأعينهم، فنراهم يقولون: «أمر رسول الله ﷺ بكذا»، و «نهى رسول

---

(١) يراجع: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٨٠) التدوين المبكر للسنة بين الدكتور صبحي الصالح والمستشرقين (ص: ١٠) جهود الأئمة في حفظ السنة (ص: ١٠).

الله ﷺ عن كذا»، والمعنى في كل هذا واحد، وهذا طبيعي لا يدخل الريب في مروياتهم، لاختلافهم في صيغ الأداء، لأن كل راو عبر عما شاهده بلفظه، ومن النادر أن نرى اختلافا فيما نقلوه إلينا من جوامع الكلم، أو مما يتعبد بلفظه، كصيغ الأذان والإقامة والدعاء والتشهد وغير ذلك (١).

سادسًا: تعدد مجالس الرسول ﷺ وكثرتها:

وليس جميع ما نقل إلينا مما اختلف لفظه بسبب الرواية بالمعنى، فجله يعود إلى تعدد مجالس الرسول ﷺ وكثرتها، فقد يتناول موضوعا واحدا في مناسبات مختلفة، ويجيب السائلين بما يتناسب مع مداركهم، وقد يستفتيه أكثر من واحد في واقعة واحدة، فيفتي كل واحد بما يكفيه ويروي غليله، بألفاظ مختلفة، وعبارات متفاوتة، تؤدي الغاية المقصودة، وما روي بالمعنى مع هذا لا يكاد يخفى على أهل هذا العلم، لكثرة دراستهم حديث الرسول ﷺ، وللأمانة العلمية التي كان عليها الرواة، فكانوا مثلا رائعا في الضبط والدقة والإتقان، يتبعون بعض ما يروونه بعبارة تفيد احتياطهم فيما نقلوه، وينبهون في أثناء سياق الحديث على موضع السهو أو الظن، وكانوا يحرصون دائما على نقل اللفظ النبوي كما صدر عنه - عليه الصلاة والسلام -.

ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب وأما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى إن هذا الخلاف لا نراه جاريا ولا أجراه الناس فيما نعلم فيما تضمنته بطون الكتب فليس لأحد

---

(١)السنة قبل التدوين (١/ ١٣٧).

أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظا آخر»[١].

سابعًا: الرواية بالمعنى تمنع باتفاق في الأحاديث المتعبد بلفظها كالأذكار:

كما اتفقوا على أن الراوي الثقة العالم باللغة العارف بما تحيله الألفاظ، ليس له أن يروي الحديث المتعبد بلفظه: (كألفاظ التشهد، والأذان ونحوها) وإن كان بمعناه قطعا.

ثامنًا: الرواية بالمعنى لا تعد كذبا والصحابة إنما أمروا بالتبليغ على ما جرت به العادة:

إن الناس يبعثون رسلهم ونوابهم ويأمرونهم بالتبليغ عنهم، فإذا لم يشترط عليهم المحافظة على الألفاظ، فبلغوا المعنى؛ فقد صدقوا: ولو قلت لابنك اذهب فقل للكاتب: أبي يدعوك، فذهب وقال له: والدي -أو الوالد- يدعوك، أو يطلب مجيئك إليه، أو أمرني أن أدعوك له، لكان مطيعا صادقا، ولو اطلعت بعد ذلك على ما قال فزعمت أنه عصى أو كذب وأردت أن تعاقبه لأنكر العقلاء عليك ذلك[٢].

تاسعًا: شروط الرواية بالمعنى:

وقد أطال بعض العلماء القول في أدلة كل من المجيزين للرواية على المعنى والمانعين لها، وأجمع العلماء كلهم على أنه لا يجوز للجاهل بمعنى ما ينقل أن يروي الحديث على المعنى. ومن أجاز هذه الرواية إنما أجازها للعالم بشروط،

---

(١) يراجع: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مجمع البحوث (١/ ٣٦) السنة قبل التدوين (١/ ١٤٢).

(٢)الأنوار الكاشفة (١/ ٨٢).

قال الماوردي: «إن نسي اللفظ جاز، لأنه تحمل اللفظ والمعنى، وعجز عن أداء أحدهما فيلزمه أداء الآخر، لا سيما أن تركه قد يكون كتما للأحكام، فإن لم ينسه لم يجز أن يورده بغيره، لأن في كلامه ﷺ من الفصاحة ما ليس في غيره»[١]. وقال السيوطي: «ولا شك في اشتراط أن لا يكون مما تعبد بلفظه ... وعندي أنه يشترط أن لا يكون من جوامع الكلم» [٢].

وعن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها «يا بني إنه يبلغني أنك تكتب عني الحديث ثم تعود فتكتبه»، فقلت لها: «أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره». فقالت: «هل تسمع في المعنى خلافا؟»، قلت: «لا»، قالت: «لا بأس بذلك» [٣]، وعن أيوب، عن محمد بن سيرين قال: «ربما سمعت الحديث عن عشرة، كلهم يختلف في اللفظ، والمعنى واحد» [٤].

اختلف العلماء في حكم الرواية بالمعنى على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: يرى عدم جواز الرواية بالمعنى، وإنما يجب على الراوي أن يروي الحديث بلفظه كما سمعه، ويحرم عليه تغيير لفظ الحديث، وهذا مذهب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وابن سيرين، ومعهما جماعة من العلماء.

المذهب الثاني: يرى جواز الرواية بالمعنى لكن في حالة معينة، واختلفوا في هذه الحالة على عشرة آراء، فمنهم من يرى جواز الرواية بالمعنى في الحديث

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٥٣٧).

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٥٣٧).

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٢٠٥).

(٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (ص: ٥٣٤).

الطويل، ولا يجوز في الحديث القصير، ومنهم من قال: يجوز في أحاديث النهي والأمر، ولا يجوز في غير ذلك، وقيل: يجوز من الصحابة ولا يجوز من غيرهم، وقيل: يجوز لمن نسي اللفظ، وغير ذلك من الآراء التي ليس عليها دليل؛ لذا عزفت عن ذكرها بالتفصيل.

المذهب الثالث: رأي جمهور الصحابة، والتابعين، والمحدثين، والفقهاء، ومنهم الأئمة الأربعة [١].

قالوا بجواز الرواية بالمعنى، لكن هذا ليس على إطلاقه، بل له ضوابط وشروط، **منها**:

١ - أن يكون الراوي عالما وفاهما لمعنى الحديث.

٢ - أن يكون الراوي عالما بلغات العرب، ومرادفات الألفاظ، وتراكيب الجمل.

٣ - أن يكون عالما بالفقه، واختلاف الأحكام؛ حتى يميز بين ما تحمله الألفاظ من معان.

٤ - أن يكون مميزا لما يحيل معاني الألفاظ والتراكيب؛ فلا يبدل عاما بخاص، ولا مطلقا بمقيد، ولا خفيا بجلي ...... إلخ.

٥ - أن يكون المعنى ظاهرا معلوما.

فالذين أجازوها، على أنها رخصة تقدر بقدر الحاجة إليها، لا على أنها أصل

---

(١) السنة النبوية وشبهات المنكرين (ص: ٧١).

يتبع ويلتزم في الرواية[١].

الخلاصة:

حث النبي ﷺ الصحابة أن يرووا أحاديثه بألفاظها، وتوعد ﷺ من كذب عليه متعمدا، وقد حرص الصحابة على نقل الحديث بلفظه ولم يترخصوا في المعنى إلا عند الضرورة، وحفظوا الحديث في الصدور والسطور، وكان التابعون على نهجهم، ومن جوز من العلماء رواية الحديث بالمعنى إنما بشروط وقيود، وأن اختلاف بعض ألفاظ الحديث ليس مرده فقط الرواية بالمعنى وإنما لتعدد مجالس الرسول - ﷺ - وكثرتها، وكذلك الأحاديث ليست كلها قولية، بل منها ما هو إخبار عن أفعال النبي ﷺ، وأيضا الرواية بالمعنى لا تعد كذبا والصحابة إنما أمروا بالتبليغ على ما جرت به العادة.

الشبهة السابعة: رد بعض الأحاديث لمخالفتها للعقل والجواب عنها[٢].

بعض من ينتسب للإسلام يردون السنة بعقولهم القاصرة ويشككون في صحتها وإن كان الحديث في أعلى درجات الصحة، متفق عليه أو رواه البخاري، أو يؤولون الحديث تبعا لما يعتقدونه وإن خالفوا في ذلك الإجماع، فإذا ثبت معنى الحديث عن طريق علماء الغرب، قالوا عند ذلك: صدق رسول

---

(١) دفاع عن السنة (٧٣، ٧٤).

(٢) السنة النبوية وحي - خليل خاطر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة . السنة والتشريع - موسى شاهين لاشين، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مجمع البحوث.

الله ﷺ، فكيف بإيمان امرئ لا يصدق بالوحي من المعصوم ﷺ حتى يعرضه على الوحي الذي تلقاه من أوروبا؟

مثلا: فحديث الذباب والأمر بغمسه إذا سقط في الطعام أو في الشراب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء**» (رواه البخاري). وفي رواية للبخاري أيضا: «**إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء**».

اتخذ بعض من لا دين لهم (حديث الذباب) للتنديد بالدين، وأنكره بعض ضعاف الإيمان، وحاول المستنكرون من المتدينين أن يبحثوا عن تأويل مقبول له، لمواجهة استهجان بعض المتخصصين في العلوم والطب، أو سخرية البعض الآخر من نص هذا الحديث النبوي.

وهذا الحديث في أعلى درجات الصحة، والخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس هو عدم التفريق بين المستحيل والمستغرب؛ لأن المستحيل يعود إلى أصل الشيء ونكرانه، ولكن المستغرب يعود إلى ضعف القائم بالتصوير وعدم إدراكه؛ فإذا جاءت هذه الأحاديث من طرق ثابتة تفيد القطع، فيجب اعتقادها، ولا يصح إنكارها.

كم من أمر جاء موافقا لما قاله النبي ﷺ بعد سنين أو مئات السنين. وإن جاءت هذه الأحاديث عن طريق غلبة الظن، فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها، بل يلزمه التأني، والسؤال عن صحة الخبر، حتى لا يقع في التناقض بعد ثبوته. وإن من يتخذ من هذا الحديث (حديث الذباب) أو غيره سبيلا لإثارة

المشاكل ضد الإسلام أو السخرية منه أو الاستهزاء به، فهو كافر بإجماع العلماء.

إن من الاستقراء التاريخي، وتتبع التطور العلمي، والفكري، نرى أن كثيرا مما كان غامضا على العقول، أصبح مفهوما وواضحا، بل نرى كثيرا مما كان ينكره العقل، أصبح الآن يقره، ويسلم بوجوده، وصار عنده من الحقائق كيف يكون الذباب الذي هو مباءة الجراثيم فيه دواء؟ وكيف يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد؟ وهل الذباب يعقل فيقدم أحد الجناحين على الآخر؟ كيف يجتمع الشفاء والدواء في جناحي الذباب؟ كيف يعلم ذلك في نفسه حتى يقدم جناح الداء، وما ألجأه إلى ذلك؟

إن علماء الطب والطبيعة وغيرهم يعترفون بأنهم ما وسعوا كل شيء علما، ولم يحيطوا بدقائق كل العلوم والمعارف. واكتشافات العلم كانت وما زالت تتوالى من اكتشاف شيء بعد آخر. فبأية عقيدة وإيمان ينفي هؤلاء المنكرون أن يكون الله - سبحانه وتعالى - قد أطلع رسوله ﷺ على أمر لم يصل إليه علماء الطب وعلماء الطبيعة بعد.

إن الذباب مما يتعذر دفعه كثيرا، وتصعب الوقاية منه في كثير من الأحوال، فإذا دعت الضرورة ووقع الذباب في الطعام، فإن الحديث النبوي يكشف عن وجود مواد مضادة لكثير من الأمراض، فإن نحن غمسنا الذبابة وخرج منها السائل قتلت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية، وهذا غير مرفوض عقليا، وإن كان مستغربا، والغرابة تأتي من الجهل بمادته، ولأن النفس تعافه.

الذباب في عالم الحشرات:

الذباب أنواع، منه ما قد يكون مفيدا للإنسان، كالذباب الأزرق وغيره من

الأنواع الآكلة للرمم والجثث والمواد العفنة، فهو يخلص الإنسان منها، وينظف البيئة من الملوثات، وكذلك ذبابة الخل التي يستعملها علماء الوراثة في تجاربهم وبحوثهم واكتشافاتهم في علم الوراثة وتقدم البشرية فيه.

أما الوجه السيء للذباب فهو الأضرار التي تنجم عن حركته ونقله للميكروبات إلى الإنسان، وهي الميكروبات التي تسبب له أمراضا كثيرة، مثل الكوليرا (وتنتشر في شكل وباء يقتل المئات أحيانا)، التيفود، مرض النوم، الليشمانيا، حمى الباباتازي، الدوسنتاريا الأميبية، الدوسنتاريا البكتيرية، الإسهال الصيفي، السل، الجزام، الجمرة الخبيثة، والخراريج. هذا إلى جانب نقل بيض بعض الديدان والطفيليات.

ولقد وصل عدد الميكروبات الضارة التي أحصاها أحد العلماء في شعر ذبابة واحدة إلى (٦٦٠٠٠٠٠) ستة ملايين وستمائة ألف ميكروب!!

وهناك من العلماء من عثر على (٥٠,٠٠٠,٠٠٠) خمسين مليون ميكروب على جسم ذبابة واحدة!! هذا العدد هو عدد الميكروبات التي عثر عليها العالم على وبين شعر الذبابة، يعني موجودة على الذبابة من الخارج، ولكن هناك أعداد أخرى لميكروبات أخرى موجودة داخل جسم الذبابة، وخصوصا في القناة الهضمية (الجهاز الهضمي).

الذبابة المنزلية الشائعة توجد في كل مكان تقريبا، غير نظيف، أو حتى نظيف، لكنه يحتوي طعاما شهيا للذباب، كالسوائل الحلوة أو المشروبات أو الأطعمة المكشوفة. والذبابة التي عمرها يتراوح بين (٩)، (١٢) يوما، هي التي تبيض، فأين تبيض؟ إنها تبيض في الأماكن القذرة وشقوق الحظائر الملوثة بالروث، وتبيض أيضا في القمامة، وخصوصا قمامة الفواكه والخضراوات

المتعفنة، وهذه أفضل أماكن لتربية يرقات الذباب بعدما يفقس البيض.

ويتجمع الذباب عندما يبيض، والأنثى الواحدة منه تبيض بيضا متجمعا في شكل كتل، كل كتلة فيها (١٠٠) بيضة، ويصل عدد الكتل التي تضعها الأنثى في حياتها (٢٠) كتلة، يعني أن متوسط عدد البيض الذي تبيضه أنثى الذبابة المنزلية هو (٢٠٠٠) بيضة [١].

الذباب: مصدر الداء ومصدر الدواء:

توصل (بريفيلد) - من جامعة هال بألمانيا - في عام ١٨٧١ م إلى أن الذبابة المنزلية تصاب بطفيل من الفطريات يقضى حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة، على شكل خلايا خميرة مستديرة. وبعد نضج هذه الخلايا المستديرة، تستطيل وتخرج من بين الشدف البطنية أو من المتنفسات الفتحات التنفسي والفطر في هذه الحالة يكون في دورة التكاثر، وتتضاعف أعداد البذور داخل الخلايا، فيزداد ضغطها، فتنفجر الخلايا، وتخرج منها بذور الفطر باندفاع شديد مصحوبة بالسائل الخلوي على هيئة رشاش.

وقدم العالم "دريل" في ١٢ ديسمبر ١٩٢٣ م تقريرا عن أسباب تكرار ظهور وباء (جائحة) الكوليرا في الهند، وطرق مكافحته، وقد كان موفدا لهذا الغرض من رئاسة الصحة البحرية والحجر الصحي المصري وبعد أن قام "دريل" وزملاؤه المتخصصين بدراسة الموقف وتقويمه، قدم هذا التقرير المسهب،

---

(١) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة (٨/ ٩).

الذي أثبت فيه أن البكتريوفاج (أي قاتل أو بالع أو آكل أو مفترس) البكتريا، أو الخلية البكتيرية البلعمية. هو العامل الوحيد في مكافحة وباء الكوليرا، ويوجد هذا العامل في براز الناقهين من هذا المرض، وأن الذباب ينقله من البراز إلى آبار ماء الشرب فيشربه الأهالي. وحين يظهر البكتريوفاج القوي في ذباب البلاد ومائها تنطفئ جذوة الكوليرا.

وحصل "دريل" وزملاؤه على البكتريوفاج القوي من جسم الذباب، وتوصل إلى أن الحصانة (المناعة) الحقيقية يحققها الأهالي بعد دخول البكتريوفاج في أمعائهم بشرب ماء أو بتناول الأغذية المحتوية عليه والمنقولة إليها بواسطة الذباب.

ونشرت جريدة "التجارب الطبية" في عددها الصادر في عام ١٩٢٧ م تحت عنوان: "الباكتريوفاج من ذباب البيوت": لقد أطعم الذباب الذي يألف البيوت من مزرعة الجراثيم الممرضة، وبعد حين اختفى أثر الجراثيم التي في الذباب وماتت كلها، وظهرت في الذباب مادة قاتلة للجراثيم تسمى (باكتريوفاج) وهي مادة ذات أثر قوي ضد أربعة أنواع من الجراثيم الممرضة.

كما ذكرت المقالة أن خلاصة من الذباب في محلول ملحي فسيولوجي وجد أنها تحتوي هذا العامل "الباكتريوفاج" وكذلك مادة أخرى ليست من هذا النوع ولكنها مفيدة في الدفاع العضوي ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم الممرضة.

وأعلن أستاذ علم الفطريات الكبير "لانجيرون" في عام ١٩٤٥ م أن فطر (إنتوموفنزالي) الذي يعيش دوما في بطن الذبابة على هيئة خلايا مستديرة، يحتوي خميرة (إنزيم) خاصة قوية، تحلل وتذيب من أجزاء الحشرة الحاملة

للمرض.

ونجح الباحث "موفيتش" عام ١٩٤٧ م في عزل مضادات حيوية من مزرعة للفطريات التي تعيش على جسم الذبابة ووجدها ذات مفعول قوي على جراثيم سلبية لصبغة جرام (مثل جراثيم الزحار والتيفويد)، ووجد أن جراما واحدا منها يحفظ أكثر من ألف لتر من اللبن من التلوث بالجراثيم المذكورة.

وفي سنة ١٩٤٨م في بريطانيا اكتشاف مادة مضادة للحيوية تسمى "كلوتينيزين"، وذلك من أنواع تابعة لفصيلة الفطريات التي تعيش في الذبابة، ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد.

وفي سنة ١٩٤٩ م، في سويسرا اكتشاف مادة مضادة للحيوية تسمى "انياتين"، وذلك من فطريات تعيش في الذبابة. وتؤثر هذه المادة بقوة في جراثيم سالبة وجراثيم موجبة لصبغة جرام، وفي بعض الفطور الأخرى، مثل جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد والكوليرا. وتكفي كمية قليلة من هذه المادة المعزولة من جسم الذبابة لقتل أو إيقاف نمو هذه الجراثيم المرضية.

كما تمكن العالمان الإنجليزيان "ارنشتاين"، و"كوك" والعالم السويسري "روليوس"، في عام ١٩٥٠ من عزل مادة أسموها "جافاسين" وذلك من فطر ينتمي إلى نفس الفصيلة المذكورة سابقا، وهو يعيش على الذباب، واتضح لهم أن هذه المادة تقتل جراثيم مختلفة من بينها الجراثيم السالبة لصبغة جرام والجراثيم الموجبة لصبغة جرام. مما يفيد في مكافحة الجراثيم التي تسبب أمراض الحميات التي يلزمها فترة حضانة قصيرة.

إن الحديث النبوي لا ينكر أن الذبابة تحمل الأقذار وجراثيم الأمراض، بل

يؤكد ذلك ويكرره بقوله: (في إحدى جناحيه داء)، فهذا شيء أصبح الآن معروفا لدى الجميع، وأما الجانب الذي يجهله الكثير من الناس فهو وجود مضادات حيوية للجراثيم في الذباب.

ومن المعروف منذ القدم أن بعض المؤذيات يكون في سمها نفع ودواء، فقد يجمع الضدان في حيوان واحد، فالعقرب في إبرتها سم ناقع، وقد يداوى سمها بجزء منها. والنحلة يخرج من إبرتها سم ناقع، ويخرج من فمها شراب نافع. ويحضر لقاح من الأفاعي والحشرات السامة، يحقن به لديغ العقرب، أو لديغ الأفعى. ويستخرج البنسلين من العفن ومواد قذرة من تراب المقابر .. إلخ.

وللجرثومة ذيفان (Toxin) وهو مادة منفصلة عن الجراثيم. وإذا دخل الذيفان في بدن الحيوان قام البدن بتكوين أجسام مضادة له تبطل مفعوله، وتسمى هذه المادة: مبيد الجراثيم (باكتريوفاج).

فهل يستبعد القول بأن الذباب يلتهم الجراثيم ضمن ما يلتهمه، فيكون في جسم الذباب الأجسام الضدية المبيدة للجراثيم التي لها القدرة على الفتك بالجراثيم الممرضة التي ينقلها الذباب إلى الطعام أو الشراب. فإذا وقعت الذبابة في الطعام فما علينا إلا أن نغمسها فيه، فتخرج تلك الأجسام الضدية فتهلك الجراثيم التي تنقلها الذبابة.

وقد حصل الدكتور / أبو الفتوح مصطفى عيد، على درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية تحت إشراف الدكتور / أمين رضا، وقد ورد فيها قوله: «وقد كانت الحرب العالمية حقلا خصيبا تطور خلالها علاج هذا المرض (التهاب العظام المزمن)، ففيها استنتجت طريقة العلامة "أور" سنة ١٩٢٧ م، وطريقة

العلاج بيرقات الذباب للأستاذ "بيير" سنة ١٩٣١ م.

كما ورد في مقالة لمجلة (جراحة العظام الأمريكية) - مجلد ١٦ عدد ٣ - سنة ١٩٣٤ م، شرح لعلاج الالتهابات العظمية المزمنة باستعمال الذباب، وشرح لكيفية تربية الذباب لهذا الغرض. وسبق أن نشر على صفحات نفس المجلة عام ١٩٣١ م، إعلان لشركة "لديرل" عن بيعها يرقات الذباب لاستعمالها للعلاج.

كما ورد في نفس المجلة (عدد أبريل ١٩٣٥ م) مقالة للعالم "وليم روبنسون" يشرح فيه تطور التفكير في اغتذاء الذباب على الأنسجة الميتة، وكذلك إفرازات هذه اليرقات والتمثيل الغذائي فيها، بهدف فهم سر التئام الجروح إذا تركت ملوثة بيرقات الذباب.

إن هذه البحوث والمقالات والأخبار والمعلومات، وغيرها كثير، تؤكد إمكانية استعمال الذباب على المستوى التجاري وتربيته وتسويقه بهدف علاج الجروح المتقيحة، وعلاج تقيحات العظام، ولكن هذا لم يلق الاهتمام المطلوب. ويعلل الدكتور / أمين رضا هذا في رسالة بعث بها إلى الدكتور / غريب جمعة بأن ظهور مركبات السلفا في نفس الوقت، وظهور المضادات الحيوية الذي بدأ في الحرب العالمية الثانية، حول أنظار العلماء إلى هذه الطرق التي كانت جديدة في زمانها.

ونشرت إحدى المجلات[1] مقالا للأستاذ الدكتور أمين رضا (أستاذ جراحة العظام والتقويم بجامعة الإسكندرية) قال فيها إن جميع الجراحين

---

(١) مجلة "التوحيد" بالقاهرة في عددها الخامس لسنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

الذين عاشوا في السنوات التي سبقت اكتشاف مركبات السلفا - أي في السنوات العشر الثالثة من القرن العشرين - رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب، وكان الذباب يربى لذلك خصيصا. وكان هذا العلاج مبنيا على اكتشاف (باكتريوفاج) القاتل للجراثيم، على أساس أن الذباب يحمل في آن واحد الجراثيم التي تسبب المرض، وكذلك الباكتريوفاج الذي يهاجم هذه.

إن في هذا الحديث إعلان بالغيب عن وجود سم في الذباب، وهو شيء لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلا في القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين) الميلاديين. وفي هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود شيء على الذباب يضاد السموم التي تحملها. والعلم الحديث يخبرنا بأن الأحياء الدقيقة (من بكتريا وفيروسات وفطريات) تشن الواحدة منها على الأخرى حربا لا هوادة فيها. فالواحدة منها تقتل الأخرى عن طريق مواد سامة تفرزها. ومن هذه المواد السامة بعض الأنواع التي يمكن استعمالها في العلاج. وهي ما نسميه "المضادات الحيوية"، مثل البنسلين والكلوروميستين وغيرهما.

بحوث معملية حديثة على هدي الحديث النبوي:

قام الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم حسن، أستاذ الحشرات الطبية ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض، بكلية العلوم (بنين) - جامعة الأزهر - القاهرة - مصر، بإجراء بحث علمي تجريبي دقيق رد فيه عن طريق العلم التجريبي على المتشككين في هذا الحديث.

وقد أجرى الدكتور نبيه عبد الرحمن باعشن - رئيس قسم الأحياء بكلية العلوم جامعة الملك عبد العزيز بجدة - وزملاؤه سلسلة من البحوث تحت

عنوان: "تأثير السقوط والغمس للذبابة المنزلية على مدى تلوث الماء والأغذية بالميكروبات". وكان مما ورد فيه عن تأثير السقوط والغمس للذباب على تلوث ونمو الميكروبات على الحليب، ما يلي:

- وجود عامل مثبط لنمو الجراثيم الموجودة على الذباب، والتي تسقط في الماء أو الطعام، عند سقوط الذباب فيه، ومن ثم، الحد من نمو الجراثيم، وتقليل عددها أيضا.

- إن عملية الغمس تقلل من تأثير الجراثيم التي يحملها الذباب وتسقط في الماء أو الطعام عند سقوط الذباب فيه.

- إن تأثير عملية الغمس هي على الجراثيم المرضية أكثر مما هي على الجراثيم الكلية (النافعة) التي لا تحمل الأمراض، وهذا ما يؤكده الحديث الشريف (داء، شفاء).

- إن فعالية الغمس أظهرت فعالية القضاء على الجراثيم عند درجات مشابهة لدم الإنسان وجسمه، بخلاف ما لو أجريت في وسط متعادل.

وهذا ما يبين المعجزة في الحديث، وهي أن النتائج قد أثبتت بشكل واضح أن الذباب إذا سقط ثم طار، فإن الجراثيم التي تسقط منه في الطعام أو الشراب تزداد أعدادها، بينما إذا غمس ثم رفع، فإن الجراثيم التي تسقط لا تبقى أعدادها كما هي، بل تبدأ بالتناقص، ويحد من نموها أيضا.

فلو سقط من الذبابة (١٠٠٠) جرثومة مثلا، ثم طارت الذبابة، فإن الألف تزيد لتصبح مثلا (١٠١٠ - ١٠٢٠ - ١٠٥٠ وهكذا) بينما لو سقط منها (٢٠٠٠) جرثومة ثم غمست، فإن الألفين لا يزيدا بل ولا تبقى عند حدها، بل

تنقص شيئا فشيئا لتصبح مثلا (١٩٥٠ - ١٩٠٠ - ١٨٥٠) حتى تصبح أقل بكثير مما سقط، وهذا ما تؤكده هذه التجارب.

إن هذه التجارب أثبتت صحة الحديث النبوي، أيضا، من الناحية العلمية التجريبية، وإن كنا ننتظر ما هو أكثر من ذلك.

إن الأمر المتوقع والمنطقي أن غمس الذباب يزيد من عدد الجراثيم التي تسقط منه في الماء أو الطعام، وذلك لأنها تعطي فرصة أكبر لسقوط الجراثيم عن سطحه، بخلاف وقوفه على الطعام أو الشراب، لأن الذي يمس منه هو أطرافه وخرطومه وأطراف أجنحته، بينما في الغمس يسقط كله. هذا لو كان الأمر عاديا ومتوقعا.

بينما أظهرت التجارب عكس ذلك تماما، وهذا هو المذهل في الأمر، نتيجة تجارب كثيرة جدا وتكررت في مدة تزيد عن سنتين في كل من جدة والقاهرة، وفي معامل (مختبرات) الجامعات، ومن قبل أساتذة مختصين هدفهم هو الناحية العلمية، وإن كانوا قد فرحوا بالنتائج التي توصوا إليها. إن هذه التجارب أثبتت إعجازا علميا في السنة يضاف إلى المعجزات العلمية الأخرى التي تدلل على معجزة النبي ﷺ الخالدة، في الكتاب والسنة.

هل ذكر الأجنحة في الحديث النبوي يفيد التخصيص، أم أنه أمر اعتباري؟

ورد في نص الحديث (فليغمسه)، أي: فليغمس الذبابة كلها، فقد دخل في الغمس جسمها مع جناحيها، ولم يرد في الحديث غمس الجناحين فقط، مما دل على أن الداء والشفاء في الجناحين أمر اعتباري لا يفيد التخصيص، والأمر بغمسها يؤكد ذلك، وهو لأجل تطهير الشراب من الجراثيم، وذلك بإدخال

الباكتريوفاج (عامل الشفاء) والجراثيم، وتحقق وظيفتهما على حمل ونقل الجراثيم والباكتريوفاج فقط.

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الطعام إذا وقعت عليه (فيه) لإفساد أثر الميكروبات المرضية التي تنقلها. وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار إليها الحديث، وهي أن في أحد جناحيها داء (أي: في أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالميكروبات المرضية التي حملتها) وفي الآخر شفاء، وهو المواد الحيوية المضادة التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها، والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول خلايا الفطريات المستطيلة.

إن حديث الذباب يتضمن معجزتين علميتين لرسول الله ﷺ:

إحداهما: وجود الميكروب في جانب من الذبابة ووجود المضاد الحيوي في الجانب الآخر.

وأما المعجزة الثانية فهي في كلمة (فليغمسه)، لأن الغمس يتضمن ولوج المنطقة التي بها فطريات حاملة للمضادات الحيوية وللميكروبات ولأن عملية الغمس تسمح للسائل أن ينتشر إلى الغشاء بالانتشار الغشائي حتى ينفجر هذا الغشاء ويخرج السيتوبلازم الذي يحتوي مضادات الميكروبات التي يكفي (٢) مللي جرام منها لتطهير ألف لتر من اللبن الملوث بجميع الميكروبات.

تنبيهات:

- هذا الحديث النبوي لم يدع أحدا إلى صيد الذباب ووضعه عنوة في الإناء ولم يشجع على ترك الآنية مكشوفة، ولا على الإهمال في نظافة البيوت

والشوارع، ولا يتعارض مع الحماية من أخطار انتشار الذباب بأية صورة، ولا يمنع أحدا من الأطباء والقائمين على صحة الشعب من التصدي للذباب في موطنه ومحاربته وإعدامه وإبادته.

- وإن من يقع الذباب في إنائه، ويشمئز من ذلك ولا يمكنه تناول ما فيه فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولكن من كان فقيرا وقعت ذبابة في إنائه المحتوي على حساء (شربة أو مرق) وبضعة كيلوجرامات من اللحم قد أعدها لضيوفه في مناسبة من المناسبات، هل يغمس هذه الذبابة الواحدة ثم ينزعها، ويتجنب الآثار المرضية التي قد تسببها تلك الذبابة الواحدة أم يسكب ما في الإناء من لحم؟!!!(١).

الشبهة الثامنة: الاكتفاء بالقرآن عن السنة(٢).

قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾(٤).

قد فهم منكرو السنة من هاتين الآيتين أن القرآن الكريم اشتمل على كل شئ، فلا مرجع إلا إليه، فلو جاز الرجوع إلى السنة لكان شكا في اشتمال القرآن

---

(١) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة (٨/ ١٧).

(٢) ينظر: الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص: ١٣١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مجمع البحوث (١/ ١٦)، شبهات حول حجية السنة النبوية (ص: ١)، كيف نتعامل مع السنة النبوية ط الشروق (ص: ٥٢).

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ٣٨.

(٤) سورة النحل، من الآية: ٨٩.

على كل شئ وهو خلاف ما أخبر به الآيتان.

الجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: لا نسلم لكم بأن المراد بالكتاب في الآية الأولى هو القرآن، وإنما المراد به عند أكثر أهل التأويل هو اللوح المحفوظ(١).

الوجه الثاني: إن المراد أن القرآن الكريم بيان لأمور الدين، إما بطريق النص، وإما بطريق الإحالة على السنة، فهو إما أن ينص على حكم الشئ صراحة، وإما أن يحيل إلى السنة.

قال الشيخ الصاوي: قوله: ﴿ تِبۡيَٰنًا ﴾ أي: بيانـًا شافيـًا بليغـًا، لأن زيادة البناء، تدل على زيادة المعنى.

قوله: ﴿ لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ محتاج إليه من أمر الشريعة. ن قلت: إنا نجد كثيراً من أحكام الشريعة، لم يعلم من القرآن تفصيلاً، كعدد ركعات الصلاة، ونصاب الزكاة وغير ذلك، فكيف يقول الله تبيانـًا لكل شيء؟ أجيب: بأن البيان، إما في ذات الكتاب، أو بإحالته على السنة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾(٢)، أو بإحالته على الإجماع، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٩/ ٢٣٤)، تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٥٠٢)، تفسير القرطبي (٦/ ٤٢٠) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٣٠)، تفسير المراغي (٧/ ١١٧).

(٢) سورة الحشر، من الآية: ٧.

وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[١]، أو على القياس، قال تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[٢]، والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس.

فهذه أربعة طرق، لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلها مذكورة في القرآن، فكان تبيانـاً لكل شيء بهذا الاعتبار[٣].

الشبهة التاسعة دعوى مخالفة السنة للقرآن الكريم[٤].

قال منكرو حجية السنة لقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا رُوِيَ عَنِّي حَدِيثٌ فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ فَمَا وَافَقَهُ فَاقْبَلُوهُ وَمَا خَالَفَهُ فَرَدُّوهُ**»، ففيه دلالة أنه لا يحتج إلا بالقرآن الكريم.

الجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا حديث موضوع[٥] قال ابن معين والخطابي: "وضعته

(١) سورة النساء، آية: ١١٥.

(٢) سورة الحشر، من الآية: ٢.

(٣) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (ص: ١٠١١، بترقيم الشاملة آليا).

(٤)ا السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٦١٦)، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص: ١٥٣). دفع شبهات المستشرقين حول السنة (ص: ١٩) السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ٨٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص: ٢١).

(٥) حديث موضوع، قال ابن معين والخطابي :" وضعته الزنادقة " وبيان ذلك:
قال الإمام الشافعي: "أفتجد حجة على من روى أن النبي قال: " ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله "
فقلت له: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغر ولا كبر، فيقال لنا: قد ثبَّتم حديث من روى هذا في شيء، وهذه أيضا رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه
=

الزنادقة"[١].

الوجه الثاني: أنا إذا عرضناه على كتاب الله عز وجل خالفه، ففي كتاب الله عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[٢]، ونحو هذا من الآيات[٣].

=
الرواية في شئ قال: فهل عن النبي رواية بما قلتم؟
فقلت له: نعم، إن النبي ﷺ قال: " لا أُلفَين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ".قال الشافعي: فقد ضيق رسول الله على الناس أن يردوا أمره، بفرض الله عليهم اتباع أمره.(الرسالة ٢٢٦،٢٢٥،٢٢٤) فقرة: ٦٢٣،٦١٧،٦٠٢،٦٠١" بتصرف يسير

(١) وفي كشف الخفاء قال العجلوني: قال السخاوي: رواه الدارقطني في الأفراد والعقيلي في الضعفاء، والحديث منكر جدًّا، وقال العقيلي: ليس له إسناد يصح، وقد سئل شيخنا -يعني الحافظ ابن حجر- عن هذا الحديث فقال: إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال، وقد جمع طرقه البيهقي في كتاب المدخل انتهى، وقال الصغناقي: "ويُروى إذا حدثتم عني حديثًا فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق فاقبلوه، وإن خالف فردوه"، قال: هو موضوع، انتهى،ينظر: كشف الخفاء ت هنداوي (١/ ٩٩).
وفي تذكرة المحتاج،قال ابن الملقن: " رواه البيهقي في المعرفة وقال : وَرُوِيَ من أوجه أخر كلهَا ضَعِيفَة قد بينتها فِي الْمدْخل، وقال في كتاب المدخل إلى دلائل النبوة: الحديث الذي روي في عرض الحديث
على القرآن باطل لا يصح، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن" (تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج لابن الملقن١/ ٢٧).
وقال الشوكاني: قال الخطابي: **وضعته الزنادقة،** ويدفعه حديث: "أوتيت الكتاب ومثله معه.كذا قال الصغاني. قلت: وقد سبقهما إلى نسبة وضعه إلي الزنادقة: يحيى بن معين، كما حكاه عنه الذهبي، (الفوائد المجموعة للشوكاني٢٩١).
(٢) سورة الحشر، من الآية:٧.
(٣) يُراجع: الفوائد المجموعة للشوكاني٢٩١.

قَالَ البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الحديث الذي روي في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح.

قال: وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن"(١).

الوجه الثالث: أنا عرضناه على السنة الثابتة عن النبي ﷺ فخالفها.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **"أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ.."**(٢)، ففي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه(٣).

وقَدْ ضَيق رسول الله ﷺ على الناس أن يردّوا أمره، بفرض اللهِ عليهم اتباع أَمرِه(٤).

وحديث رسول الله ﷺ الثابت عنه قريب من العقول موافق للأصول لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذي وضع به رسول الله ﷺ من دينه وما افترض على الناس من طاعته، ولا ينفر منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال

---

(١) يُراجع: تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج لابن الملقن١/ ٣١.

(٢) رواه أحمد في المسند ١٧١٧٤، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، وأبو داود في "السنن" (٤٦٠٤).

(٣) يُراجع: معالم السنن للخطابي٤/ ٢٩٩.

(٤) يُراجع: الرسالة للشافعي ٢٢٦،٢٢٥،٢٢٤.

واتباعه فيما حكم به، وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل في الأخلاق حسن عند أولي الألباب.

والسنة الثابتة ليست منافرة للقرآن بل معاضدة له، وإن لم يكن فيه نص صريح بلفظها فإن النبي ﷺ يفهم من القرآن مالا يفهمه غيره، وقد قال لما سئل عن الحمر: " ما أنزل فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾(١).

فانظر أخذ حكمها من أين؟ وقال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم: "ما من شيء إلا بين لنا في القرآن ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه، فلذلك قال تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٢)" فانظر هذا الكلام من ابن مسعود أحد أجلاء الصحابة وأقدمهم إسلاما (٣).

الشبهة العاشرة: إنكار الاحتجاج بأخبار الآحاد(٤)(٥).

يدعي بعض المتوهمين أن أخبار الآحاد لا يحتج بها في الدين؛ زاعمين أنها

---

(١) سورة الزلزلة، آية ٧،٨.

(٢) سورة النحل: من الآية: ٤٤.

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص:٢٦- ٢٧).

(٤) الخبر إما أن تكون له طرقٌ: كثيرة مِن غير حصرِ عددٍ معين، فهذا إذا توافرت فيه بقية شروط التواتر، فهو حديثٌ متواتر وخبَرٌ متواتر. أو يكون الخبر له طرق محصورة بعددٍ لا يَبْلغ التواتر، فهذا آحاد. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ت الرحيلي (ص: ٤٣).

(٥): دراسات أصولية في السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوي ينظر : موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (٧/ ٦١)، السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ١٧١) كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية (ص: ٤١).

تفيد الظن، والظن أكذب الحديث، والنبي ﷺ لم يقبل من ذي اليدين حتى أقره الباقون.

الجواب عن هذه الشبهة:

أنه يجوز التعبد بخبر الواحد سمعا والعمل به، وهو مذهب جمهور العلماء، وهو الحق؛ لما يلي من الأدلة:

الدليل الأول: إجماع الصحابة السكوتي، بيان ذلك:

أنه ثبت في وقائع وحوادث - لا يمكن حصرها - قد اشتهرت ونقلت عن الصحابة - رضوان الله عليهم - أنهم عملوا بخبر الواحد بدون نكير، مما يدل على إجماعهم على ذلك.

وكل واقعة لم تتواتر، ولكن بمجموع تلك الوقائع والحوادث قد حصل لنا العلم بأنهم اتفقوا على العمل به.

من هذه الوقائع:

١ – ما رواه قبيصة بن ذؤيب، أن أبا بكر، قال: هل سمع أحد منكم من رسول الله ﷺ فيها شيئا؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال: " شهدت رسول الله ﷺ يقضي لها بالسدس "، فقال: هل سمع ذلك معك أحد؟ فقام محمد بن مسلمة، فقال: " شهدت رسول الله ﷺ يقضي لها بالسدس" "فأعطاها أبو بكر السدس"(١).

فقد أعطى أبو بكر رضي الله عنه الجدة السدس وقبل منهما، مع أن ذلك لم يبلغ حد

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٤٩٣)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

التواتر.

٢ – عن ابن عباس قال قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر فقال أذكر الله امرأ سمع رسول الله ﷺ قضى فى الجنين فقام حمل بن مالك بن النابغة الهذلى فقال يا أمير المؤمنين كنت بين جاريتين – يعنى ضرتين – فجرحت أو ضربت إحداهما الأخرى بمسطح عمود ظلتها فقتلتها وقتلت ما فى بطنها فقضى النبى ﷺ فى الجنين بغرة عبد أو أمة فقال عمر الله أكبر لو لم نسمع هذا لقضينا بغيره[1].

فقبل منه هذا الخبر وعمل به مع أنه خبر واحد.

٣ – كان عمر بن الخطاب يقول: الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا، حتى قال له الضحاك بن سفيان: كتب إلي رسول الله ﷺ أن أورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، فرجع عمر[2].

فقبل منه ذلك وعمل به مع أنه خبر واحد.

٤ – أن عمر كان لا يأخذ الجزية من المجوس حتى حدَّثه عبد الرحمن بن عوف أن رسول اللّه ﷺ قال: " سنوا بهم سُنَّة أهل الكتاب "، فقبل عمر ذلك وعمل به وبدأ يأخذ من المجوس الجزية مع أنه خبر واحد [3].

---

(١) أخرجه صحيح البخاري (٧/ ١٣٥)(٥٧٥٨) أخرجه مسلم في القسامة باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ. . رقم(١٦٨١)، وهذا لفظ السنن المأثورة للشافعي (ص: ٤٢٥) رقم (٦٢٧)، سنن الدارقطني ط-أخرى (٨/ ٤).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٢٢) رقم (١٥٧٤٥)، سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٤/ ٥٥١)، قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) موطأ مالك ت عبد الباقي (١/ ٢٧٨)(٤٢)، قال ابن حجر: وهو منقطع؛ لأنّ محمَّد =

٥ – عن أبي موسى، قال: اختلف رهط من المهاجرين، والأنصار فقال الأنصاريون: لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء. وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال: قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة فأذن لي، فقلت لها: يا أماه – أو يا أم المؤمنين – إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك، فقالت: لا تستحيي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك، قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل**»(١)، فقبل الصحابة وعملوا به مع أنه خبر واحد.

٦ – عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس بقباء، في صلاة الصبح إذ جاءهم آت، فقال: إن النبي ﷺ، قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة؛ فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة (٢).

فقبل هؤلاء خبر الواحد وعملوا به من غير نكير.

٧ – أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يذهب إلى أن الربا المحرم هو ربا النسيئة فقط،

=

بن علي لم يلق عمر، ولا عبد الرحمن، وقد رواه أبو علي الحنفي، عن مالك عن جعفر، عن أبيه، عن جده. التلخيص الحبير (٥/ ٢٣٢٢). وقال ابن عبد البر: وهو مع هذا كله منقطع ولكن معناه متصل من وجوه حسان. أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) (٥/ ٣٣٢٧).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين (١/ ٢٧١) (٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٩٥)، كتاب: القبلة، باب: ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٢٦)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

ثم حكي عنه أنه رجع، وذهب إلى تحريم؛ كلٍّ من ربا النسيئة وربا الفضل، ولا يفرق بينهما أخذاً بخبر أبي سعيد الخدري في الصرف وهو: أن رسول الله ﷺ قال: **"لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض"**(١)

أي: لا تفضلوا، فأخذ بخبر الواحد وعمل به.

٨ - قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا لا نرى بالخبر بأسا حتى كان عام أول، فزعم رافع أن نبي الله ﷺ نهى عنه» (٢)، فهنا قد أخذ بخبر الواحد وعمل به.

وغير ذلك من الأخبار مما لا يحصى، حيث رجعوا إلى عائشة، وأم سلمة، وحفصة، وميمونة، وزيد، وأسامة، وأبي الدرداء، وغيرهم من الرجال والنساء، والعبيد والموالي، مما يدل دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يقبلون خبر الواحد ويعملون به.

وهذه الأخبار وإن لم تتواتر آحادها، إلا أنها بمجموعها أفادتنا علماً يقينياً لا يقبل الشك: أن الصحابة كانوا يقبلون خبر الواحد ويعملون به، ويتركون ما خالفه، دون نكير من أحد، إذ لو وجد إنكار لبلغنا كما بلغتنا تلك الأخبار، مما يدل على إجماع الصحابة على العمل بخبر الواحد.

هذه النقول تدل على أنهم قد عملوا بمجرد خبر الواحد دون قرائن، ومن زعم أن الصحابة لم يعملوا بخبر الواحد بمجرده، بل عملوا به بسبب قرينة

---

(١) رواه البخاري (٢٠٦٨)، كتاب: البيوع، باب: بيع الفضة بالفضة، ومسلم (١٥٨٤)، كتاب: المساقاة، باب: الربا.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٤٧)، (بالخبر) ضبطناه بكسر الخاء وفتحها والكسر أصح وأشهر وهو بمعنى المخابرة[شرح محمد فؤاد عبد الباقي]

أوجبت العمل به "، يلزم منه أن الصحابة لم يعملوا بأي آية من الكتاب، أو أي حديث متواتر إلا بسبب قرينة أوجبت العمل بهما، وأنه لو لم توجد هذه القرينة لم يعملوا بالكتاب، ولا بالسُّنَّة المتواترة، وهذا باطل قطعـًا، **لأمرين**:

أولهما: أن الصحابة قد ثبت عنهم أنهم عملوا بظواهر الآيات والأحاديث المتواترة بدون قرائن.

ثانيهما: أن تقدير قرينة في الآية والمتواتر يؤدي إلى إبطال أدلة الشريعة عن العمل، وبالتالي يؤدي إلى تعطيل الشريعة كلها؟

حيث يلزم منه: أنه لا يعمل بأي دليل إلا بقرينة، إذن لا حاجة إلى الأدلة؛ لأن العمل كان بسبب القرينة.

نوقش هذا الدليل: بأن ما ذكر من إجماع الصحابة على قبول أخبار الآحاد يتعارض مع ما روي عنهم في ردها وعدم العمل بها في قضايا كثيرة منها ما يلي:

ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي، قال ابن سيرين: وسماها أبو هريرة، ولكن نسيت أنا، قال: فصلى بنا ركعتين، ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها، كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: أقصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول، يقال له: ذو اليدين، فقال: يا رسول الله! أنسيت، أم قصرت الصلاة؟ قال: "لم أنس، ولم تقصر"، فقال: "أكما يقول ذو اليدين؟"، فقالوا: نعم، فتقدم، فصلى ما ترك(١).

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨)، كتاب: المساجد، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، =

فالنبي ﷺ لم يقبل خبر ذي اليدين وحده.

روى أبو سعيد الخدري، قال: كنا في مجلس عند أبي بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مغضبا حتى وقف، فقال: أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول: «**الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك، وإلا فارجع**» قال أبي: وما ذاك؟ قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات، فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه، فأخبرته، أني جئت أمس فسلمت ثلاثا، ثم انصرفت. قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ قال: فو الله، لأوجعن ظهرك وبطنك، أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا، فقال أبي بن كعب: فو الله، لا يقوم معك إلا أحدثنا سنا، قم، يا أبا سعيد، فقمت حتى أتيت عمر، فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا" (١).

فعمر رضي الله عنه لم يقبل خبر أبي موسى وحده.

الجواب عن هذه المناقشة من وجهين:

الوجه الأول: أن الصديق رضي الله عنه لما قال المغيرة: "شهدت رسول الله ﷺ يقضي لها بالسدس"، فقال: هل سمع ذلك معك أحد؟ فقام محمد بن مسلمة، فقال: "شهدت رسول الله ﷺ يقضي لها بالسدس" "فأعطاها أبو بكر السدس"(٢)، أن انضمام محمد بن مسلمة إلى المغيرة لم يبلغ حد التواتر، وأن

=

ومسلم (٥٧٣)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له.

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٩٤) كتاب الآداب، باب الاستئذان (٢١٥٣).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٤٩٣)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

انضمام أبي سعيد إلى أبي موسى لم يبلغ حد التواتر.

الوجه الثاني: أن توقفهم كان لمعان مخصوصة.

فالنبي ﷺ توقف في خبر ذي اليدين كما قال النووي: أن الواحد إذا ادعى شيئا جرى بحضرة جمع كثير لا يخفى عليهم سئلوا عنه ولا يعمل بقوله من غير سؤال (١).

بل قد عمل النبي ﷺ - بخبر أبي بكر وعمر وغيرهما مع خبر ذي اليدين عمل بخبر لم ينته إلى حد التواتر، وهو موضع النزاع، في تسليمه تسليم المطلوب.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد فعل ذلك ليتثبت الناس في رواية الحديث فصرح لأبي موسى وقال: إني لم أتهمك، ولكن الحديث عن رسول الله ﷺ شديد (٢).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾(٣).

وجه الدلالة: أن الله تعالى قد شرط في التبين والتثبت: كون المخبر فاسقًا، فبان من هذا أن خبر العدل يقبل بدون تثبت؛ لأنه لو كانت حالة الفاسق والعدل سواء لم يكن لذكر الفسق معنى.

الدليل الثالث: أن النبي ﷺ كان يبعث آحاد الصحابة إلى البلاد النائية ليعلمهم الأحكام الشرعية: مثل ما بعث مصعب بن عمير إلى المدينة، وعتاب

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥/ ٧١).

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧/ ٤٨٢) ٥١٨٣ قال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٣) سورة الحجرات، من الآية: ٦.

بن أسيد إلى مكة، وعلياً ومعاذا إلى اليمن، وابن حزم إلى نجران، وبعث سعاته لجباية الصدقات، وتعليم أرباب الأموال ما يجب عليهم من الزكاة، فكان السامعين يقبلون ذلك بلا تردد، فثبت أن خبرهم - وإن كانوا آحاداً - مقبول؛ إذ لو كان قول الواحد غير مقبول لما بعثهم النبي ﷺ، ولما قبل السامعون لهم الأحكام التي جاءوا بها من النبي ﷺ إلا بعد التأكد والتثبت.

الدليل الرابع: قياس الرواية على الفتوى، بيان ذلك: أن المفتي إذا أفتى شخصاً بحكم شرعي، فإنه يجب على المستفتي أن يصدق ذلك المفتي ويعمل بفتواه، مع أن ذلك المفتي ربما يخبر عن ظنه، فإذا كان الأمر كذلك في الفتوى فإنه إذا أخبر هذا المفتي بخبر سمعه، فكذلك يجب قبول خبزه وتصديقه، ولا فرق بينهما، والجامع: أن كلًّا منهما يجوز عليه الغلط، أي: يجوز الغلط على المفتي كما يجوز على الراوي، بل الغلط على المفتي أقرب منه على

الراوي؛ لأن الفتوى لا تجوز إلا إذا سمع المفتي دليل ذلك الحكم، وعرف كيفية الاستدلال به، وذلك دقيق، أما الرواية فلا تحتاج إلا إلى السماع، فثبت أنه إذا كانت الفتوى مقبولة من الواحد، فمن باب أَوْلى أن تكون الرواية مقبولة.

الدليل الخامس: قياس الرواية على الشهادة، بيان ذلك:

إذا وجب العمل بشهادة الشاهدين العدلين، فيجب العمل بخبر العدلين عن الرسول ﷺ، ولا فرق بينهما، والجامع: أن كلًّا منهما يفيد الظن (١).

---

(١) يُنظر هذه الشبهات والجواب عنها: شرح مختصر الروضة (٢/ ١١٩)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ٤٥)، التمهيد في أصول الفقه (٣/ ٣٦)، المستصفى (ص: ١١٦)، المهذب في علم أصول الفقه المقارن (٢/ ٦٨٩).

الشبهة الحادية عشرة:الزعم بأنَّ الله تكفل بحفظ القرآن دون السُنَّة(١).

قالوا: قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾(٢).

يدل على أنَّ الله تكفل بحفظ القرآن دون السُنَّة، ولو كانت دليلاً وحُجَّةً كالقرآن لتكفَّل بحفظها(٣).

الجواب عن هذه الشبهة

أنَّ ما وعد الله من حفظ الذكر لا يقتصر على القرآن وحده بل المراد به شرع الله ودينه الذي بعث به رسوله وهو أَعَمُّ من أنْ يكون قرآنًا أو سُنَّةً ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ ﴾(٤).

قال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن، أراد فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، إن كنتم لا تعلمون (٥).

وقوله ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا (٦).

---

(١) ينظر: السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ٩٤) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٣٣٣)، السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (١/ ١٥٣) الرد على من ينكر حجية السنة (ص: ٤٠٣).

(٢) سورة الحجر: آية: ٩.

(٣)" السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي ": ص ١٥٣.

(٤) سورة النحل: من الآية: ٤٣.

(٥) تفسير البغوي – إحياء التراث (٣/ ٢٨٤).

(٦) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢١٤)

وَقد كَانَ الرَّسُول مُبينًا للوحي، وَقد قَالَ أهل الْعلم: إِن بَيَان الْكتاب فِي السّنة [(١)].

فلا ريب أن الله تعالى حفظ السنة كما حفظ القرآن، فهي المبينة للكتاب، وقد أمر الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ، فلو جاز أنها غير محفوظة لكان تكليف بما لايستطاع، وكيف وهو النبي الخاتم.

قال السيوطي: "الواضعون إن خفي حالهم على كثير من الناس، فإنه لم يخف على جهابذة الحديث، ونقاده.

وقد قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة، فقال: تعيش لها الجهابذة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[(٢)] "[(٣)].

وقال ابن رجب خلال كلامه عن حديث معلول: "وإنما يحمل مثل هذه الأحاديث على تقدير صحتها على معرفة أئمة أهل الحديث الجهابذة النقاد الذين كثرت دراستهم لكلام النبي ﷺ ولكلام غيره لحال رواة الأحاديث ونقلة الأخبار ومعرفتهم بصدقهم وكذبهم وضبطهم وحفظهم. فإن هؤلاء لهم نقد خاص في الحديث مختصون بمعرفته كما يختص البصير الحاذق بمعرفة النقود جيّدها ورديئها وخالصها ومشوبها، والجوهري الحاذق في معرفة الجوهر بإنقاد الجواهر وكل من هؤلاء لا يمكن أن يعبر عن سبب معرفته ولا يقيم عليه دليلا لغيره، وآية ذلك أنه يعرض الحديث الواحد على جماعة ممن يعلم هذا العلم

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ١٧٤).

(٢) سورة الحجر: آية: ٩.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٣٣٣).

فيتفقون على الجواب فيه من غيرمواطأة [(١)].

قال سفيان الثوري: "الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض" وقال يزيد بن زريع: "لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد" وروينا عن ابن المبارك أنه قيل له: هذه الأحاديث الموضوعة؟ فقال تعيش لها الجهابذة (قلت) وذكر الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ أن الرشيد أخذ زنديقا ليقتله فقال: أين أنت من ألف حديث وضعتها فقال: أين أنت يا عدو الله من أبى إسحق الفزاري وابن المبارك يتخللانها فيخرجانها حرفا حرفا [(٢)].

وهكذا بارك الله في جهود علماء الحديث حتى غدوا سدًا منيعًا وصخرة صلبة تكسرت عليها نصال الفتن وسهام الأهواء فرد كيد الكائدين وتم للبشرية لأول مرة في تاريخها إحصاء الكلمات والعبارات والأفعال والإشارات وأسماء الصغار والكبار والكذبة والأخيار، ومن حل ومن ارتحل؛ كل هذا -وغيره كثير- دُوِّنَ وصُنّفَ وضُبِطَ بقواعد دقيقة لم تعرفها أمة قبل، حتى أصبح لكل راو من الرواة سجل تفصيلي يحدد مرتبته بين الرواة وطبقاتهم؛ سواء من حيث العدالة والضبط، أو الجرح والوهم أو الغفلة.

ولم يفت كبار أعلام الحديث أن الثقة العدل مهما علت مكانته وسمت مرتبته فإنّه معرض للخطأ والوهم، وأن هذا وإن كان نادرًا إلا أنه من الثقة العدل خطر؛ لأن روايته مقبولة عند الناس، وهو حجة عندهم في جميع منقولاته،

---

(١) الضعفاء لأبي زرعة الرازي في أجوبته على أسئلة البرذعي - أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية (١/ ٢٤٤).

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/ ١٦).

ولمثل هذا أوجد علم العلل (١).

وقد رد ابن حزم على من زعم أن المراد بالذكر في الآية وحده فقال: «هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان وتخصيص للذكر بلا دليل ... والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سنة وحي يبين بها القرآن وأيضا فإن الله تعالى يقول: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٢)، فصح أنه - عليه الصلاة والسلام - مأمور ببيان القرآن للناس، وفي القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم ... فإذا كان بيانه ﷺ لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه فإذا لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها» (٣).

الشبهة الثانية عشرة: الزعم بأن اتباع السنة والقضاء يؤدي إلى الاشراك في الحكم

أن اتباع السنة والقضاء بوفقها يؤدي إلى الاشتراك في الحكم وقد نهى القرآن عنه: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾(٤).

يقول صاحب افتراء تعامل: «البعض على أقوال الرسل وأفعالهم وتقريراتهم مع وجود كتاب الله علة قديمة قدم الزمن وقد برأ الله رسله وأنبياءه

(١) بغية النقاد النقلة (الدراسة/ ١١).
(٢)سورة النحل: آية: ٤٤.
(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ١٢٢).
(٤) سورة يوسف: من الآية: ٤٠.

من هذه الأحاديث بل جعل تلك الأحاديث كفرا وشركا» (١).

ويقول الخواجه أحمد الدين في شرح هذه الشبهة ما نصه: «قد وضع الناس لإحياء الشرك طرقا متعددة فقالوا إنا لنؤمن أن الله هو الأصل المطاع غير أن الله أمرنا باتباع رسوله، فهو اتباع مضاف إلى الأصل المطاع وبناء على هذا الدليل الفاسد يصححون جميع أنواع الشرك، فهل يصبح الأجنبي زوجا لمتزوجة يقول زوجها إنها زوجته إلا أن الله لم يأمر بمثل ذلك: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾(٢)(٣).

الجواب عن هذه الشبهة:

ما أقبح هذه الحجة وما أبعد هذا الاستدلال وهل الله تعالى بعث رسله لإحياء الشرك أم لمحوه وهل اتباع السنة والحكم بوفقها إلا اتباع وتطبيق لأحكام القرآن، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾(٤)، يقسم الرب – جل وعلا – في هذه الآية بذاته بأن لن يذوق أحد طعم الإيمان ما لم يرض بقضائك يا محمد ﷺ ثم لا يشعر المتحاكمون إليك بحرج أو ضيق في أنفسهم بما قضيت فيهم.

---

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: ص:٢١٩، السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ١٠٦).

(٢) سورة يوسف: من الآية: ٤٠.

(٣) تفسير بيان للناس ٢/ ٣٩٥ – ٤٤٥ نقلا عن: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: ص:٢١٩.

(٤) سورة النساء: الآية: ٦٥.

فهل يؤدي حكمه بعد هذا الخبر الإلهي في القضاء وفصل الخصومات إلى الشرك بل حكمه عين التوحيد وامتثال للأحكام الإلهية بل هو حكم الله تعالى: ولو اقتضت الإرادة الإلهية عدم التحاكم إلى السنة كما يزعم هؤلاء لما صح مجيء كاف الخطاب في قوله: ﴿ يُحَكِّمُوكَ ﴾ ولما جاءت تاء الخطاب في ﴿قَضَيْتَ﴾ للتنصيص على ذلك. وقد تكرر هذا المفهوم في آيات متعددة من القرآن الكريم بل علقت بعض الآيات الهداية والفلاح والإيمان بالتسليم لحكمه وطاعته – عَلَيْهِ السَّلَامُ –. قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[1].

وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١ ﴾[2].

ويقول في آية أخرى محذرا من مغبة عدم اتباعه ﷺ نافيا الإيمان عن أولئك:

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٧ ﴾[3].

وأما استدلالهم بقوله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[4]؛لإخراج السنة عن كونها حكما إلهيا فهو استدلال في غير محله. لأن هذه الجملة القرآنية وردت في ثلاثة مواضع من كتاب الله، ففى الأنعام جاءت ردا على طلب الكفار من النبي ﷺ

(١) سورة لنور: من الآية: ٥٤.

(٢) سورة لنور: آية: ٥٠.

(٣) سورة لنور: آية: ٤٧.

(٤) سورة يوسف: من الآية: ٤٠.

إنزال الآيات والإسراع بها، فرد الله على هذا الطلب موضحا أن ذلك مرجعه إلى الله لا إلى رسوله، وأن الله هو المتفرد في هذه الشؤون لا شريك له فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧ ﴾(١).

والموضعان الأخيران في سورة يوسف، أولهما حكاية عن قول يوسف لصاحبه في السجن ونصحه له بترك الشرك وأن عبادة الأوثان افتراء واختلاق على الله وأن الله هو المتفرد في الحكم والعبادة، قال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ ﴾(٢).

والموضع الأخير جاء حكاية عن قول يعقوب عليه السلام ينصح أبناءه ويعلمهم آداب الدخول على الملوك وأنه إن وقع لهم ما يكرهون في الحياة فهو قضاء وقدر وأنه لا يملك لهم من الله شيئا، وأن هذا لهو مسلك عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (٣).

والمواضع الثلاثة – كما ترى – لا تشير إلى ما ذهب إليه هؤلاء بل إنها تأمر العبد بالرضاء بما قدره الله له أو عليه وأن الله هو المتفرد في حكمه، وهذا لا يتنافى مع الاحتكام إلى السنة ولا يوصل من حكم بها أو تحاكم إليها إلى دائرة الشرك بل هو عين التوحيد لأن الحكم بالسنة مستمد من الله بواسطة رسوله ﷺ

(١) سورة الأنعام: آية٥٧.
(٢) سورة يوسف: من الآية: ٤٠.
(٣) سورة يوسف: من الآية: ٦٧.

فالحكم بها في الحقيقة والواقع حكم لله المتفرد في شؤون خلقه، فال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾(١).

وإنما كان يصح الاستدلال بهذه الآية إذا كان الرسول ﷺ يحكم ويأمر من عند نفسه وحسب هواه - وحاشاه ذلك - أما أنه لا ينطق عن الهوى وإنما يأمر بما أمره الله فإن الاستدلال بهذه الآية لا يستقيم، قال تعالى: ﴿**قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ**﴾(٢).

بل إن الشرك يلزم هؤلاء فقد جعلوا طاعة نبيه شركا وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ (٣)(٤).

الشبهة الثالثة عشرة: الزعم بأن طاعة الرسول ﷺ كانت طاعة مُقَيَّدَة بزمنه(٥).

قالوا: «إِنَّ طاعة الرسول ﷺ كانت طاعة مُقَيَّدَةً بزمنه، وامتثال أحكامه لا يتجاوز حياته، وقد أوصد هذا الباب منذ وفاته ﷺ»(٦).

---

(١) سورة النساء: من الآية: ٨٠.

(٢) سورة الأعراف: من الآية: ٢٠٣.

(٣) سورة لنور: آية: ٤٧.

(٤)القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: ص:٢١٩- ٢٢٣، السنة في مواجهة الأباطيل (ص:١٠٦ - ١٠٩)

(٥)الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص: ١٢٧)، شبهات القرآنيين (ص: ٥٨)، السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ١١٣).

(٦) شبهات القرآنيين (ص: ٥٨)، السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ١١٣).

ويشرح صاحب "تبليغ القرآن" هذه الشُبْهَة بقوله: «لقد كانت إرشاداته ﷺ - تصدر وفق ظروف أصحابه ولو كنا موجودين في تلك الآونة لوجب علينا اتباع أقواله وإرشاداته عليه السلام ... كما أنَّ خطاب القرآن عام عندنا غير أنَّ المخاطبين بالأحاديث أمَّة خاصة وهم العرب»(١).

الجواب عن هذه الشبهة:

هذه دعوى جديدة لا أصل لها إلاَّ خيال كاتبها وإلاَّ فمن أين لهم أَنَّ طاعته عليه السلام كانت مُقَيَّدَةً بزمنه، أليس الله قد أرسل رسوله للناس كافة: ﴿ **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾(٢).

مع أنَّ العديد من آيات القرآن فيها خطاب خاص لمشركي العرب الذين أقاموا الحواجز في طريق الدعوة فأصدر أحكامًا في أولئك الصادين حسب مسلكهم الخاص ولا تنحصر تلك الأحكام بإجماع في أولئك الأفراد بل تتجاوز إلى من يماثلهم في تصرفاتهم العوجاء. فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما هو معروف في الأصول.

فإذا كان حكم آيات القرآن لا يختص بزمن ولا بأشخاص معدودين فكذلك السُنَّة إذ لا فرق بين أحكام الكتاب وأحكام السُنَّة لصدورها من مصدر واحد، لذا كان الإيمان بمحمد رسول الله هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، ثم ما هو الدليل على هذا التفريق بين القرآن والسُنَّة حتى صار خطاب القرآن عامًا وخطاب السُنَّة خاصًا بأُمَّة العرب؟.

---

(١) "فرقة أهل القرآن": ص ١٠٧، نقلا عن: السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ١١٤)
(٢) سورة الأعراف: من الآية: ١٥٨.

ولو كانت سُنَّتُهُ ﷺ خاصة بأولئك الأفراد ففيم يكون تصديقه بعد وفاته وفيم يكون اتِّبَاعَهُ لجلب المحبة الربانية المنصوص عليها في قوله: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[١].

لذا اتفق المسلمون على أنَّ خطاب القرآن والسُنَّة وأحكامهما عامان شاملان لا يختصان بأمة ولا بزمن لأن عموم خطاب القرآن مستلزم لعموم خطاب السُنَّة: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾[٢].

وتخصيص أوامره ﷺ وإرشاداته محدودة أو بزمن معين تخصيص بغير مخصص لا يستند إلى دليل، فلا فرق بين هداية القرآن وهداية المصطفى عليه السلام فَإِنْ كانتا مؤقتتين ومحدودتين فهمًا معًا وإنْ كانتا دائمتين وعالميتين فَهُمَا مَعًا..

مثال من السنة، من تدبره بوعي تجده يمزق حدود الظرفية الزمانية، والمكانية، التي يدعى منكرو السنة تقييدها بها، فمثلاً – قوله ﷺ: **"أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس"**[٣] فهذا الحديث من جوامع الكلم، وترى فيه تفجير لطاقات الخير الكامنة في أهل المرءوة والفضل من الناس. وحين يتمكن هذا التوجيه في القلوب تصبح الحياة ساحة للتنافس في صنع الخير، ليكون صانع الخير مع الناس أحب عباد الله إلى الله، وفي شيوع الخير في المجتمع محو للشرور والأنانية البغيضة التي تولد الضغائن بين الناس، حتى يصبح كل إنسان حربًا على الآخر، ويزول كل طعم جميل للحياة، ونسأل منكري السنة هذا

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: ٣١.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والأصبهاني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٩٧)(١٧٦).

السؤال ونتركه بلا جواب، لأنه معروف.

هل هذا الحديث أصبح الآن "عملة زائفة"، أو هو روح فياضة بالتراحم والتآلف؟[١].

❑❑❑❑

(١) السنة في مواجهة الأباطيل (ص: ١١٥)، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونق
ض (ص: ١٢٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك حق، والنبيون حق، ونبينا محمد ﷺ حق. وبعد:

فإني أحمد الله عز وجل على ما منّ به عليّ من الإعانة والتوفيق لإتمام هذا البحث الموسوم بـ

١- من أبرز الشبهات التي يستند إليها منكرو السنة النبوية تأخر تدوين السنة، ولا بد من التفريق بين التدوين الذي يعني: تقييد المتفرق وجمع المشتت في ديوان، وبين التصنيف الذى هو تصنيف الكتب مرتبة على الفصول والأبواب، وبذلك يزول الإشكال حول بداية تدوين الحديث، وما ورد في ذلك من النصوص ظاهرها التعارض، حيث حُمل قولهم: إن تدوين الحديث قد بدأ في حياته ﷺ وفي عصر الصحابة على معنى جمع الأحاديث في الصحف والأجزاء بدون ترتيب ولا تصنيف، وقولهم: إن أول من بدأ التدوين الإمام الزهري بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز حُمل على معنى الجمع العام، والتصنيف والترتيب.

٢- إثبات أن كتابة الحديث كانت في زمن رسول الله ﷺ وزمن الصحابة وكبار التابعين، وإن ما ورد من كراهة ذلك أو النهي عنه إما أنه لا يصح، وإما أنه محمول على أسباب ثم زالت، وهاتان النتيجتان قد جلاَّهما بوضوح الحافظ

أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في كتابه الموسوم بـ "تقييد العلم".

٣ - إن كل ما تعلق به أصحاب الأهواء والفرق المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة من شكوك أو شبهات لا يخرج عن:

أ- معارضة السُّنَّة بعقولهم القاصرة الناقصة المتناقضة.

ب- أو الطعن في رواة السُّنَّة بالهوى والبهتان.

ج- الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ والقول على الله وعلى رسوله ﷺ بغير علم [١].

٤ - تنمية التواصل بين علماء الحديث فى العالم الإسلامى، والحرص على عقد المؤتمرات لدراسة الجهود المبذولة فى نشر كتب السنة المشرفة قديمًا وحديثًا، وطرق تطويرها وتحسينها فى واقعنا المعاصر، كُلَّمَا أمكن ذلك، وفى أى مكان تتوافر فيه الإمكانات والكوادر المؤَهَّلة لذلك.

٥ - إنشاء مجمع لكبار علماء الحديث من شتى الأقطار العربية والإسلامية تحت مظلة الأزهر الشريف، لمناقشة القضايا المتصلة بالسنة النبوية حاضرًا ومستقبلاً، وبداخله هيئة علمية تشرف على ما ينشر من كتب السنة؛ للتحذير من النشرات التجارية المخربة والمفسدة والمنتحلة لتراث السنة، ومواجهة الشبهات المعاصرة حول السنة والسيرة النبوية.

الرد على المطاعن والأكاذيب دون ترديدها؛ إذ إن ترديد أي أكذوبة يعطيها

---

(١) تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري (ص: ٢٥٣).

قوة إعلامية، ويكاد يضعها في مرتبة الحقائق المسلم بها (١).

٦ - ضرورة التنسيق بين مهندسى الحاسبات العاملين فى هذا الحقل الشريف والباحثين والمحققين المختصين بعلوم السنة النبوية، وذلك لتخرج الأعمال الموسوعية دقيقةً متميزةً من الناحية العلمية، مع الإفادة فى الوقت نفسه من التقنية الحديثة فى مجال السنة (٢).

٧ - إشاعة الثقافة الالكترونية بين أساتذة الجامعات وحثهم على الإفادة منها وإقامة الدورات التدريبية لهم، فلا يزال عدد كبير من أساتذة الجامعات لا يولون مثل هذه الثقافة شأنا وقد يجعلونها في خانة المحرمات لقلة علمهم بفوائدها وخدماتها النافعة القيمة. وعلى مشاركة مثل هؤلاء الأساتذة المتخصصين التعويل في تطوير خدمات هذه المواقع بما يقدمونه من توجيهات وآراء قيمة (٣).

٧ - اعتبار الصحيحين حمًى غيرَ قابل للطعن فيه بأى حال من الأحوال.

---

(١) ينظر: مؤتمر السنة النبوية بين الواقع والمأمول (ص: ٠)، دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية (ص: ٨١).

(٢) من المواقع الهامة على شبكة المعلومات الدولية:

١. موقع الإسلام. http://hadith.al-islam.com

٢. موقع الدرر السنية. http://www.dorar.net/mhadith.asp

٣. ملتقى أهل الحديث: www.ahlalhdeeth.com

٤. موقع المحدث. http://www.muhaddith.org

٥. موقع جامع الحديث النبوي: www.sonnh.com الجهود العلمية لخدمة السنة على الانترنت (ص: ٢)

(٣) الجهود العلمية لخدمة السنة على الانترنت (ص: ٢٧).

٨ – التأكيد على أن باب الاجتهاد فى الحكم والتعليق على أحاديث غير الصحيحين بابٌ مفتوحٌ لعلماء الأمة المتخصصين بشرط امتلاك ملكات ذلك الأمر، وتطبيق القواعد المتبعة فيه تطبيقًا علميًّا دقيقًا.

٩ – التنبيه ونشر الوعي أن الحكم على الحديث لا ينبغى أن يصدر إلا من العالم المجتهد المتخصص فى علوم السنة [١].

---

(١) مؤتمر السنة النبوية بين الواقع والمأمول (ص: ٠)، قررت جمعية جمعية المكنز الإسلامى أن تخطو خطوة جديدة لخدمة السنة النبوية؛ فعقدت مؤتمرها الدولى الأول بعنوان (السنة النبوية بين الواقع والمأمول)، لدراسة الجهود المبذولة فى نشر كتب السنة المشرفة قديمًا وحديثًا، وطرق تطويرها وتحسينها فى واقعنا المعاصر. وكان هذا المؤتمر تحت رعاية الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد الطيب. والأمين العام للمؤتمر الأستاذ الدكتور: أحمد معبد عبد الكريم، رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين سابقًا. ومقرر المؤتمر الدكتور: كيلانى خليفة. مدير مشروع السنة المشرفة بجمعية المكنز الإسلامى.

مكان ووقت انعقاده

عقد المؤتمر بمركز الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر، فى الفترة من ١٥ إلى ١٧ يناير ٢٠١٢ م، الموافق ٢١ إلى ٢٣ صفر ١٤٣٣هـ.

أهدافه

وكان هدف جمعية المكنز الإسلامى من خلال عقد هذا المؤتمر هو:

١ – تنمية التواصل بين علماء الحديث فى العالم الإسلامى.

٢ – تفعيل دور الشبكة العالمية لدراسة الحديث (إحسان) فى تحقيق التعاون فى مجال خدمة السنة النبوية.

٣ – تبادل الآراء مع المدعوين من علماء وأساتذة الحديث الشريف، والاستفادة من خبراتهم فى هذا المجال، ومعرفة ما يأملونه من خدمات لكتب السنة النبوية.

محاوره

١ – منهج تحقيق كتب الحديث الشريف قديمًا وحديثًا.

=

١٠ - إنشاء مركز عالمي لترجمة كتب السنة والسيرة النبوية للغات العالمية يكون من أهدافه إعداد المؤتمرات والبحوث للرد على أعداء الإسلام وما يكتبونه ويكون من مهام هذا المركز أيضا العمل على وضع معجم كبير للغة الانجليزية وآخر باللغة الفرنسية يضم مصطلحات علوم الحديث المختلفة، ويكون من مهام هذا المركز أيضا العمل على إعداد كوادر متخصصة فى مجال ترجمة السنة وشروحها مع الاتصال بالعلماء في بلدان العالم المختلفة ممن يتقنون لغات بلدانهم إلى جانب إتقان اللغة العربية للعمل معا فى هذا المشروع الكبير [1].

١١ - قيام العلماء المتخصصين في السُنَّةِ وعلومها، بقراءة كتب الأحاديث والسنن في المساجد على منهاج ما كان يقوم به العلماء المحدثون في القرون الأولى ابتغاء وجه الله تعالى لا رغبة في مال ولا في وظيفة، فهذا يقرأ "صحيح البخاري"، بسنده ومتنه، وبيان ما فيه من فوائد حديثية ويشرح غريبه، وما فيه

=
٢ - أهمية جمع المخطوطات فى تحقيق كتب السنة وضوابط اختيارها.
٣ - أهمية الكتب المساعدة فى تحقيق كتب السنة وضوابط اعتمادها.
٤ - النشرات التجارية لكتب السنة وبيان أضرارها.
٥ - الأعمال التكميلية لتحقيق كتب السنة.
٦ - جهود أهل العلم فى نشر كتب السنة النبوية.
٧ - الأعمال الموسوعية وأهميتها فى خدمة السنة النبوية.
٨ - أثر التقنية الحديثة فى خدمة السنة النبوية.
٩ - دور السنة النبوية فى تأصيل الوسطية والاعتدال فكرًا وسلوكًا.
١٠ - مواجهة الشبهات المعاصرة حول السنة والسيرة النبوية.

(١) نظرات حول ترجمة السنة النبوية (ص: ٣) عامر النجار، أستاذ بقسم العقيدة المذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

من فقه، وعلم، وتوجيهات تربوية واجتماعية وخلقية، ونفسية، وذاك يقرأ "صحيح مسلم"، وهكذا كل كتاب من كتب الحديث يقوم بدراسته حق الدراسة عالم خبير به أو جملة من العلماء، فإن نشر العلم أعظم صخرة تتحطم عليها الشبهات(١).

١٢- تشجيع الأبحاث والرسائل العلمية التي تفضح القرآنيين وتبين فساد أصولهم وتدحض شبهاتهم.

١٣- تشجيع الأبحاث والرسائل العلمية التي توضح ضعف منهج المغالين في الاحتجاج على الأحكام الشرعية بسنن ضعيفة وكيف أنها أوجدت في الفقه الإسلامي أحكاما شاذة لا ينبغي الاعتداد بها (٢).

١٤ - ضرورة إنشاء أقسام للدراسات الاستشراقية في كُبْرَى الجامعات الإسلامية، حتى يمكن تكوين جيل قادر على المواجهة الفكرية الجَادَّةِ لشُبُهات المُسْتَشْرِقِينَ - وما أكثرها - مع مراعاة الحوار بأدب الإسلام مع المعتدلين من المُسْتَشْرِقِينَ (٣).

١٥ - جهود المستشرقين والمنصِّرين في موقفهم من رسول الله ﷺ تحتاج إلى عناية بالرصد أولًا، ثم بالردود على الشبهات (بلغة علمية رصينة، ثم إيصال هذه الردود إلى مراكز البحث العلمي في الغرب، والعناية بترجمة هذه الردود

(١) ينظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مكتبة السنة (ص: ٣٩٢)، دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية (ص: ٨١).
(٢) السنة النبوية ومكانتها - نور قاروت (ص: ٦٧).
(٣) المستشرقون والسنة (ص: ٦١)، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: ٩٤).

إلى اللغات المنتشرة[١].

واللهَ نسألُ أن يوفقنا جميعًا لخدمة سنة المصطفى ﷺ- الذي في طاعته الهداية- وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يعتق رقابنا، ورقاب آبائنا، وأمهاتنا، وعلمائنا، وعموم المسلمين من النار، وأسأله العلم النافع والعمل الصالح، وأن يبارك في هذا البحث، وأن يتقبله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❑❑❑❑

(١)أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ (ص: ٥)

فهرس المصادر والمراجع

أ) القرآن الكريم

ب) المراجع على ترتيب حروف الهجاء

١. إمكان التاريخ وواقعية السنة من تشييد الإطار إلى إبطال الإنكار، د. عبد الله بن سعيد الشهري، الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث، لندن – الطبعة الثالثة: ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.

٢. الابتعاث ومخاطره، أبو لطفي، محمَّد بن لطفي، بن عبد اللطيف، بن عمر الصبَّاغ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣. الإبهاج في شرح المنهاج (شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ)، المؤلف: شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦ هـ) وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي – الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٤. أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية– كتاب الضعفاء: لأبي زرعة الرازي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥. أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ، علي بن إبراهيم الحمد النملة، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية - مجلة علمية محكمة تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ١٤٧، تاريخ النشر:١٤٣٠ هـ.

٦. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى : ١٤٢٥هـ)، دار القلم – دمشق، الطبعة الثامنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

٨. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٩. اختصار علوم الحديث، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية.

١٠. أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١١. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم

رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

١٢. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ت.: الشيخ أحمد عزو، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٣. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، ت: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤. الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي.

١٥. الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبد المنعم محمد حسنين، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م.

١٦. الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح بن محمد بن فالح الصغير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٧. الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ محمود شلتوت– نشر دار الشروق ط الواحد والعشرون سنة ٢٠١٥م.

١٨. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود

وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

١٩. أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، دار المعارف، الطبعة السادسة، بدون ذكر العام.

٢٠. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: ١٣٤١هـ)، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

٢١. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - ٢٠٠٢ م.

٢٢. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، ت: السيد أحمد صقر، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس، الطبعة: الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م.

٢٣. الأم، للشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٤. الإمامة وأثرها على السنة النبوية الشريفة، تركمان أوغلو، الطبعة الأولى.

٢٥. إنكار السنة تاريخه وفرقه ودوافعه، سيد عبد الماجد الغوري، الناشر: معهد دراسات الحديث الشريف، سلانجور- ماليزيا، عام النشر: ٢٠١٧م.

٢٦. الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٢٧. أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، المحقق: أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن البصارة الكويتي، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٨. البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٩. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم بن ضياء العمري، بساط – بيروت، الطبعة: الرابعة

٣٠. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٣١. بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب «البيان» وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف بن فرج بن صاف المراكشي المالكي المعروف بابن المواق (المتوفى: ٦٤٢ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق:

الدكتور محمد خرشافي، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٣٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،الناشر: دار الهداية.

٣٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت:عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٣٤. التدوين المبكر للسنة بين الدكتور صبحي الصالح والمستشرقين - قراءة في كتاب «علوم الحديث ومصطلحه»، المؤلف: الدكتور ماجد أحمد نيازي الدرويش، أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الجنان - طرابلس

٣٥. الناشر: بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي حول معالم التجديد في فكر الدكتور صُبْحِي الصَّالِح - رَحِمَهُ اللَّهُ - (المنعقد في جامعة الجنان ٣ و ٤ تشرين الثاني ٢٠٠٦ م).

٣٦. التاريخ السري لتأمر بريطانيا مع الأصوليين، مارك كورتيس، المترجم: كمال السيد، الناشر: المركز القومى للترجمة، الطبعة: الأولى:٢٠١٢ م.

٣٧. تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٦ - ١٩٩٥ م)، محمد خير رمضان يوسف، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ، الناشر: دار ابن حزم، بيروت.

٣٨. تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين، أحمد بن يوسف السيد،

الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث، لندن– الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٣٩. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

٤٠. تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهجرة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، لطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤١. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٢. تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج (تخريج منهاج الأصول للبيضاوي)، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٤٣. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، ت: د/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم– بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٤٤. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن

يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٥. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٦. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٤٧. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٤٨. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤٩. تقييد العلم للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، إحياء السنة النبوية – بيروت.

٥٠. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

٥١. تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير،جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي [٥٠٨هـ - ٥٩٧هـ]، شركة دار الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى.

٥٢. التمهيد في أصول الفقه، لمحفوظ بن أحمد بن الحسن أَبي الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)،، ت.: مفيد محمد أبو عمشة، محمد بن علي بن إبراهيم، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

٥٣. التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: أبو عمشة، ابن إبراهيم، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

٥٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: مصطفى العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٥٥. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، نور الدين، علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني (المتوفى: ٩٦٣هـ)،

المحقق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله الغماري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٥٦. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٥٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠م.

٥٨. الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، (المتوفى: ١٥٣هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٩. الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨ م.

٦٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٦١. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد

البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٦٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، ت: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٦٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.

٦٤. الجهود العلمية لخدمة السنة على الانترنت، المؤلف: جمال بن أحمد بادي، الشاملة الذهبية، ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، الأربعاء والخميس ٢٥ - ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ٤ - ٥/ ٥/ ٢٠٠٥ م.

٦٥. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (جلال الدين المحلي، وتلميذه النجيب جلال الدين السيوطى)، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، (المتوفى: ١٢٤١ هـ).

٦٦. حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الرابعة: فبراير١٩٧٢م.

٦٧. حجية السنة، أبو الكمال - أو أبو الحسن - عبد الغني بن محمد عبد الخالق بن حسن بن مصطفى المصري القاهري (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي،الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٦٨. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، نخبة من العلماء، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام النشر: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م.

٦٩. دراسات أصولية في السنة النبوية للدكتور محمد الحفناوي ص ١٤، ط . دار الفاروق، المنصورة، مصر.

٧٠. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، "دراسات في السنَّة النبوِيَّة"- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.(محسن عيسى)

٧١. دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٢. دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية، المؤلف: صالح بن غانم بن عبد الله السدلان، بدون تاريخ للنشر.

٧٣. الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٧٤. الرسالة، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع

بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)،ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.

٧٥. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (المتوفى: ١٣٠٤هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٧٦. السلسلة الصحيحة الكاملة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).

٧٧. السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، نور بنت حسن قاروت، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٧٨. السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل، رقية بنت نصر الله نياز، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٧٩. السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، نور حسن قاروت، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة.

٨٠. السنة النبوية وشبهات المنكرين، المؤلف: أبي عبد الرحمن حامد بن محمد غانم.

٨١. السنة النبوية وحي، خليل بن إبراهيم ملا خاطر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٨٢. السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، الناشر: دعوة الحق (سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي - السَنَة الثانية: ١٤٠٢ هـ ربيع الأول العدد "١٢" [مطبوعات رابطة العالم الإسلامي].

٨٣. السُنَّة في مواجهة شُبُهات الاستشراق (ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسُنَّة النبوية)، أحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٨٤. السنة قبل التدوين، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط. الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٨٥. السُنَّةُ كُلُّهَا تَشْرِيعٌ، موسى شاهين لاشين (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، بحث بمجلة كلية الشريعة بجامعة قطر العدد العاشر.

٨٦. السنة والتشريع، موسى شاهين لاشين (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (هدية شهر شعبان ١٤١١ هـ - مجلة الأزهر).

٨٧. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (بيروت).

٨٨. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، عبد الحليم محمود (المتوفى: ١٣٩٧هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٨٩.

٩٠. سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية،الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٩١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٩٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٩٣. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ – ١٩٦٦م، ت: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٩٤. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥ هـ)، طبع بعناية:

محمد احمد دهمان – دمشق.

٩٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٩٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٩٧. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ت: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٩٨. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم – دمشق، الطبعة الثامنة - ١٤٢٧ هـ.

٩٩. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ.

١٠٠. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض،عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٠١. شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، محمود محمد مزروعة،

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٠٢. شبهات حول السنة، عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،١٤٢٥هـ

١٠٣. شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

١٠٤. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، ت: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٠٥. شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، ت:الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار - الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠٦. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : ٧١٦هـ)، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٠٧. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي

(المتوفى: ٣٦٠هـ)، ت: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٠٨. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٠٩. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، لأبي الحسن الحسني الندوي، دار الندوة – لبنان، ط. الثانية: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

١١٠. الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١١١. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)،ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع

١١٢. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)،ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.

١١٣. العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، لعلي بن إبراهيم بن داود بن سلمان، أبي الحسن، علاء الدين ابن العطار (ت ٧٢٤ هـ)، وقف على طبعه: نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشائر للطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١١٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن

حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١١٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

١١٦. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

١١٧. فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١١٨. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

١١٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة.

١٢٠. فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم –

دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٢١. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، مكتبة وهبه، الطبعة: العاشرة.

١٢٢. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٣. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق، الطائف – السعودية- الطبعة الثانية ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٢٤. القرآنيون، نشأتهم - عقائدهم – أدلتهم، علي محمد زينو، دار القبس، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٢٥. قواعد الترجيح عند الأصوليين، الدكتور/ إسماعيل محمد علي عبد الرحمن، أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة الأزهر.

١٢٦. الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥ هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة / السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ

١٢٧. كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية، أحمد بن عمر بن إبراهيم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة.

١٢٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، المكتبة العصرية، ت: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٩. الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

١٣٠. كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف عبد الله القرضاوي، دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط.الثالثة١٤١٤هـ.

١٣٢. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، محمد البهي (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، مطبعة الأزهر.

١٣٣. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

١٣٤. مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف: الرئاسة العامة

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد الثامن والعشرون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤١٠هـ.

١٣٥. مجلة التوحيد، جماعة أنصار السنة المحمدية –مصر، من أول عدد صدر في ١٣٩٣ هـ إلى آخر عدد صدر في شهر صفر ١٤٣٢ هـ.

١٣٦. مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدا)، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة.

١٣٧. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٣٨. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٣٩. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٤٠. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، ت: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٤١. المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين

التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ت.: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٤٢. المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥ هـ)، عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤ هـ -١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

١٤٣. المدرسة العقلية الحديثة في البوسنة و الهرسك و موقفها من السنة النبوية، د. أحمد عبد الكريم نجيب.

١٤٤. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ)، ت: مجموعة من الباحثين، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

١٤٥. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، نشر دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

١٤٦. المستشرقون والدّراسات القرآنيّة، الدكتور محمد حسين علي الصّغير، دار المؤرّخ العربي، ط. الأولى، تاريخ النشر: ١٤٢٠ هـ.

١٤٧. المستشرقون والسُنَّة، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي، مكتبة المنار

الإسلامية ومؤسسة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: بدون تاريخ.

١٤٨. المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٦ هـ.

١٤٩. المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، الشيخ / إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنَّ الله عليه بالإسلام)، الناشر: دار الوعي العربي.

١٥٠. المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، المؤلف: الشيخ / إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنَّ الله عليه بالإسلام)، الناشر: دار الوعي العربي.

١٥١. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٥٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٥٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٤. المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم، المؤلف:

د. محمد بهاء الدِّين حسين، أستاذ مشارك بقسم الدِّراسات القرآنية والحديثية بالجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.

١٥٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت

١٥٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١٥٧. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

١٥٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

١٥٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦٠. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، ت: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦١. معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، ت: السيد معظم حسين،دار الكتب العلمية – بيروت، ط الثانية، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

١٦٢. المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ)، ت:أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.الثانية، ١٤٠١ هـ.

١٦٣. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٦٤. مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٦٥. المقنع في علوم الحديث، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، ت: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٦٦. مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين، المؤلف: مثل الجانب الإسلامي في المناظرة: الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء أحمد عبد الوهاب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٦٧ . مناقب الإمام الشافعي، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١ هـ).

١٦٨ . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٦٩ . الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٧٠ . الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٧١ . موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٧٢ . مؤتمر السنة النبوية بين الواقع والمأمول، المؤلف: مجموعة من الباحثين، الناشر: جمعية المكنز الإسلامى.

١٧٣ . موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي - سورية - دمشق - الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٧٤ . الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين – الاسكندرية،

دار الفتح الإسلامي.

١٧٥. موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، دار إيلاف الدولية للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

١٧٦. الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧٧. موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديما وحديثا، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

١٧٨. النجم الوهاج في شرح المنهاج، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، دار المنهاج (جدة)، ت: لجنة علمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٧٩. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ت: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨٠. نظرات حول ترجمة السنة النبوية، المؤلف: عامر النجار، أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض – جامعة ابن سعود، المصدر: الشاملة

الذهبية.

١٨١. نهاية السول شرح منهاج الوصول، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبي محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٨٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

١٨٣. الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، ت: د. عبد اللطيف محمد العبد.



فهرس الموضوعات


تم بحمد الله


اللؤلؤة
لخدمات الطباعة
بإشراف مكتب اللؤلؤة لخدمات الطباعة
01007868983 - 01033336232